

د. عبد الرحمن بن صالح العثماوي

بلادنا والتميز

مقالات نثرية

مكتبة العبيكان

٢٢ / ٤٩٢٩

ديوي ٠٨١

٢٢ / ٤٩٢٩

ردمك : ٠ - ١٢٠ - ٤٠ - ٩٩٦٠

أ - العنوان

١ - المقالات العربية - السعودية

٣١٥ ص ؛ ٢١ × ١٤ سم

بلادنا والتميز . - ط ٢ . - الرياض

العشماوي ، عبدالرحمن

مكتبة العبيكان ، ١٤٢٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

رقم الإيداع : ٢٢ / ٤٩٢٩

ردمك : ٠ - ١٢٠ - ٤٠ - ٩٩٦٠

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الخواطر

سيجد القارئ الكريم في صفحات هذا الكتاب خواطر متنوعة كتبت في مواقف مختلفة، ولكنه لن يعدم أن يرى خيطاً يربط بينها ويصل بدايتها بنهايتها ..

إنها خواطر إنسان مسلم يعيش في هذا العصر، عصر الذرة والفضاء، عصر الطائفة والصاروخ، والمدفع والرشاش، عصر وسائل الاتصال الحديثة التي تلملم أطراف الكرة الأرضية، فترى في شرقها ما يجري في غربها، وترى في جنوبها ما يحدث في شمالها .

عصر السياسة التي تنقض بالشمال ما تبرمه اليمين، والتي تفتح أمامك نافذةً ما لتشغلك عن مئات النوافذ التي تتسلل منها إلى كيانك!

نعم هذه الخواطر التي يحملها هذا الكتاب متأثرة متنوعة، ولكنها تتفق في أنها خرجت من قلب واحد، حاملةً معها مشاعره وأشواقه، وأفراحه وأحزانه، وتتفق في أنها تمزج بين هموم خاصة وهموم عامة، هموم فرد وهموم أمة، وتتفق

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

أخيراً في أنها تهدف إلى غايةٍ واحدةٍ؛ وهي أن يبقى لأمة الإسلام تميُّزها الحقيقي المتمثل في «الرؤية الإسلامية» لكل ما يجري في هذه الحياة.

هذه بعض خواطري أقدمها بين يدي إخوتي وأخواتي القراء لعلهم يجدون فيها - أو في بعضها - ما يعوِّضون به جزءاً من وقتهم الذي سيقضونه في قراءتها.

والله المستعان



بلادنا ... والتميز

كل بلدٍ في العالم يسعى إلى التميُّز ... الانفراد بشيءٍ يذكره في العالمين... والذي يتتبع خطوات الأمم والشعوب يجدها تسعى إلى هذا التميُّز، وتلحُّ عليه، وتجعل منه هدفاً أسما من أهدافها العُلُيا التي تضعها نصب عينيها .

وفي عالم اليوم نجد أمم الأرض أشد حرصاً على التميُّز... وأكثر عملاً له، ودأباً عليه... بل إنَّ حروباً قد تشب بين بعض دول العالم من أجل هذا التميُّز، مع كل ما يتبع ذلك من ظلم وعسف... واستبدادٍ وأثرةٍ لا مبرر لها إلا السعي إلى التميُّز.

وإذا استعرضنا تاريخ الأمم القديمة وجدنا لكل أمةٍ منها ما يميِّزها عن الأخرى.

والذي يلفت نظر المتابع الواعي لمسيرة الأمم عبر الأزمان المختلفة منذ القدم، أنَّ الأمة التي تحاول أن تقلد غيرها في كلِّ شيء بما يميِّزها، هي التي تخسر الرهان، وتنتهي إلى ضياع.

والأمة الإسلامية جاء تميزها عن غيرها من الأمم فريداً

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

وعظيماً لأنه منحة من الله لها ... حيث اختارها لحمل رسالة عظيمة، واختار منها أفضل خلقه وخير أنبيائه عليه وعليهم الصلاة والسلام، وأنزل عليها قرآناً عربياً مبيناً متميزاً في كل شيء.. في لفظه ومعناه .. وما اشتمل عليه من أخبار الماضي، وأنباء المستقبل... ثم ختم الله برسولها الرسل، وبقرآنها كتب السماء، وجعلها هي خاتمة الأمم.. وحملها بذلك عبء الرسالة الخاتمة.

وبهذا تهيأ للأمة الإسلامية من التميز ما لم يتهيأ لغيرها... وهو أمرٌ أدركه سلف هذه الأمة خير إدراك، فجاءت أقوالهم وأعمالهم منسجمةً معه تمام الانسجام، وكيف لا يصنعون ذلك وهم يرون أنفسهم بالإسلام ينتقلون من مرحلة الشتات إلى التجمع، ومن الخلاف إلى الوفاق، ومن الانهزام أمام الأمم الأخرى - فارس، والروم - إلى السيادة عليها، لا بالسيف والاعتساف ولكن بالعقيدة التي ميزتهم عن غيرهم.

لذلك كانت كلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي وجهها إلى خالد بن الوليد يوم كانا يتحاوران أمام بعض الصحابة في شأن عزل خالد عن قيادة الجيوش في الشام، كانت كلمة الفاروق دليلاً على وعيه الكبير بمعنى التميز، حيث قال:

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

«دعني من قولك يا خالد، والله لقد كان غاية الشرف عند
أحدنا أن يكون حاجباً على باب كسرى لولا أن أعزنا الله
بالإسلام...»

أرأيتم كيف يكون الإيمان بالتميز الذي جاء به الإسلام
لأمة محمد؟ وما الذي غير حال العرب حتى انتقلوا من مرحلة
الطموح إلى باب كسرى في جاهليتهم ليصلوا إلى مرحلة
امتلاك إيوان كسرى في إسلامهم؟ هل غيرت حالهم الماديات
والمظاهر الزائفة التي كانت عند الفرس والروم؟ أم غيرتها
معالم الظلم والعسف التي عرف بها ملوك ذلك الزمان؟ كلا..
إنما غير حالهم الإسلام الذي به تميزوا.

ولهذا فقد رأينا وصايا خلفاء الإسلام إلى قواد جيوشهم
تتفق جميعاً على الإشارة إلى التميز... ومن يعد إلى كتب
التاريخ والمغازي فإنه سيجد كيف تتفق رسائل الخلفاء - رضي
الله عنهم - إلى قوادهم على هذا الأمر؛ حيث يوصون جيوشهم
بالمحافظة على تميزهم الإسلامي وعدم الوقوع في المعاصي،
فإن ذلك سبب من أسباب الهزيمة، ذلك لأن جيوش الأعداء
تفوق جيوش المسلمين عدداً وعدةً وتنظيماً، وإنما يتميز
الجيش الإسلامي بدينه والتزامه، فإذا فرط في هذا فقد صار
أضعف من العدو وهنا تحصل الهزيمة، وعلى هذا المبدأ

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

صارت الأمة الإسلامية تنشر العدل والخير في الآفاق، وتهزم كل من يحاول أن يحجب نور الإيمان عن العالمين.

وباستقراءنا لتاريخ فترات الضعف والهزيمة في حياة الأمة الإسلامية نصل إلى يقين بأن السبب في ذلك إنما هو تفريط هذه الأمة فيما تميّزت به، وتقصيرها فيه تقصيراً يهز شخصيتها أمام عدوّها الذي يعرف تماماً أن الإسلام هو العامل الأهم في بناء شخصيتها.

ولهذا فإنّ صلاح الدين الأيوبي - مثلاً - كان واعياً كلّ الوعي بدوره الإصلاحية الذي سبق تحركه العسكري الناجح في معركة حطين الشهيرة.

فصلاح الدين قام بحركة تصحيح كبيرة في بلاد الإسلام التي كانت تحت حكمه، حيث فتح المدارس السليمة من الانحراف الديني والفكري، واختار علماء أهل السنة والجماعة الصادقين ليقوموا بالتدريس فيها، وبذل جهداً كبيراً في توحيد المبدأ، وإزالة آثار المذهب الفاطمي من نفوس الناس.

وبعد أن رأى المسلمين يعودون إلى تميّزهم بالإسلام الصحيح غير المحرّف توجه بهم إلى فلسطين وقضى بهم على الصليبيين في معركة من أكبر معارك التاريخ، ولسان حاله

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

يردد ما سبق أن رده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله» وهو قول حكيم يجرى على ألسنتنا كثيراً.

إذن فنحن أمام حقيقة ثابتة تؤكد لنا أن تميز الأمة الإسلامية إنما هو بدينها، مهما ظهر لها من بريقٍ يعشي البصر، من مظاهر التميز المادي «الزائف» في هذا العصر المائج.

وهنا ننتقل إلى كلمات مضيئة وردت في الكتاب الصغير حجماً الكبير معنى الذي ألفه الشيخ الفاضل أبو الحسن الندوي بعد أن عاد من جولة له إلى أمريكا ووجه خطاباً حكيماً إلى العالم الإسلامي بعنوان: «أحاديث من أمريكا».

كلمات لخص بها الكاتب ما أشرنا إليه من معنى التميز في حياة الأمة الإسلامية، فأشار إلى أن أمريكا تنهار من داخلها.. أخلاقياً، وروحياً، وفكرياً.. كما ذكر أن ذلك لا يعني أن مثلها في ضخامتها وسعة نفوذها سيهوي بين يوم وليلة، ولكنها تسير إلى الهاوية.. ثم انعطفت بحديثه إلى الأمة الإسلامية يذكرها بتمييزها الروحي، ويحذرها من نتيجة الانشغال بملاحقة أعدائنا في المجالات المادية ملاحقة تتسبب لنا الأساس الذي تميزنا به، ولا يمكن أن نتميز بغيره.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

وأشار إلى أهمية الوعي بهذه النقطة عند المسلمين اليوم كما وعاما أسلافهم، فإذا كان العدو يملك زمام الماديات في هذا الزمن، وهو حريص كل الحرص على بقائها في يده، فإن الأمة الإسلامية تملك زمام الروح، والمادة بدون الروح هباء، نعم.. هباء وفراغ قاتل، وإلا لما رأينا رجالاً في أوروبا وأمريكا لهم باع طويل في مجال العلم المادي.. يلقون بأيديهم في تخاذل وانكسار بين يدي ساحرٍ أو عرافة.. هرباً من الفراغ الروحي القاتل.

وهنا ننتقل نقلةً أخرى... نشير إلى التميُّز في بلادنا.. في هذه الجزيرة المباركة التي انبثق من أرضها نور الإسلام.

هذه البلاد تميّزت عن سواها من بلاد الدنيا منذ أن ترك فيها إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل وأمّه في أرض غير ذي زرع، حيث تفجّرت في أرضها مياه «زمزم»، وبنيت فيها الكعبة، البيت الحرام مثابة للناس وأمناً.

ثم ميّزها الله بخاتم الأنبياء - عليه وعليهم الصلاة والسلام - وبالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعلها أمةً وسطاً فهي خير أمة أخرجت للناس.

هذه هي الميزة الكبرى لبلادنا التي لا تضاهيها فيها أمة من الأمم الأخرى.

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

وإن أنس شيئاً فلن أنسى ذلك الشعور الغامر من إخوة الإسلام في الجزائر أثناء انعقاد الأسبوع الثقافي السعودي هناك عام ١٤٠٢هـ... حيث وزع الوفد السعودي ماء زمزم على الناس في حفل الافتتاح... حينها التفت إليّ شاب جزائري والدموع تترقرق في عينيه قائلاً: «هذا والله الشرف الذي ما بعده شرف أن تكون جزيرتكم مهوى أفئدة المسلمين في كل مكان».

وهذا التميّز العظيم لبلادنا يجعل مسؤولياتها كبيرة جداً في الحفاظ عليه قولاً وعملاً... فهو ركن ركين يحفظ كيانها ويرفع مكانتها في العالمين.

وإنّ بلداً هذه مكانته الروحية، وهذا تميّزه لجدير أن يخضع كلّ وسيلة من وسائل الحياة المادية لخدمة هذه المكانة والحفاظ على هذا التميّز.

لقد كثرت في الآونة الأخيرة اتهامات الحاقدين على أمتنا وديننا وعلى بلادنا بالذات... فكثيراً ما نسمع مصطلحات «الانغلاق»، و«الأحادية»، و«التزمّت»، و«التطرّف الديني»، تطلق هذه المصطلحات بطريقة عجيبة، فيها خلط كبير بين الحق والباطل، وفيها محاولة واضحة لشنّ حرب نفسية ضدّ المسلمين الملتزمين، الذين يحافظون «على تميّزهم» بدينهم..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

ونحن هنا أجدر الناس أن نعي تماماً حقيقة دعاوى المبطلين،
وأن نسعى جاهدين إلى التخلُّص من «أوهام المدنيَّة المعاصرة»
بكل ما فيها من .. تحلُّ وانحراف عن جادة السبيل.

نحن أمة يميِّزها دينها... فهل لنا أن نستوعب ذلك حتى لا
تضل بنا السبيل، وحتى لا يبلغ أعداؤنا ما يريدون؟ أرجو ذلك .



زهور بستاننا أجمل

١٤٠٦/٦/١٤هـ

إذا رأيت من بني الإنسان رجلاً له بستانٌ جميلٌ نضير...
تزاخمت فيه الأزاهير حتى غدت تهزأ كل زهرة بجارتها نضارةً
وجمالاً.. وتعانقت فيه الأشجارُ عناق حبٍ وعشقٍ، وكانت تلك
الأشجار تتج في ذلك البستان روائح الثمار.. فلا أشهى من
ثمارة ولا أذًى.. ثم إنك رأيت صاحب ذلك البستان ينظر إلى
بستان جاره نظرة الطامع فيه وليس في بستان هذا الجار إلا
ذوابل الزهور، وليس فيه إلا يابس الشجر.. فإنك حينئذٍ لا
تتوانى عن وصف صاحب البستان النضير بالطمع والجشع
والغباء.. ثم تستجير بالله من حاله.. وتستعيد بربك من
ضلاله.

عفواً - قارئ الكريم - هذه صورة لحالة فردية، ولكنها
تمثل حالة أعم منها وأشمل.. فربما كنت أنا وأنت كصاحب
ذلك البستان من حيث لا ندري.. وإليك البيان:

عندما تتابع كثيراً مما يكتبه الكاتبون من أبناء العرب
والمسلمين ينالك مما تجد في كتاباتهم عجبٌ. ولأن الصحافة
تمثل الميدان الفسيح للأقلام فإنَّ عجبك ينصرف إليها.. فتري

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

في بعض ما تسطره أقلام بعض كتابها ما يعطيك شبيهاً بتلك الصورة التي بدأت بها هذه المقالة.

كاتب يسألُ قلمه ليكتب عن الغشّ قتره يأخذ أمثلة على رفض الغشّ من تعامل تاجر في أمريكا وآخر في أوروبا.. ويدعو الناس هنا إلى احتذاء هذا المثل الرائع من أمثلة الأمانة.. وهو في ذلك مثل صاحب البستان النضير.. يترك زهور بستانه.. ويطمع في زهور بستان جاره..

ولو التفت صاحب هذا القلم.. إلى تاريخه.. أو إلى واقع التعامل بين كثير من أهل وطنه وملته لرأى بدلاً عن المثل الواحد ألف مثل.. وبدلاً عن القصة ألف قصة..

إنني لا أرى مثلاً أروع ولا أجمل على هذا الجانب - أعني جانب الأمانة ورفض الغش - من قصة تلك الفتاة المسلمة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي قالت لها أمها: اخلطي اللبن بالماء! فقالت الفتاة: إن أمير المؤمنين نهى عن ذلك، فقالت الأم: وأين نحن من أمير المؤمنين إنه لا يرانا.. فقالت الفتاة: ولكن الله يرانا!

«الله يرانا»، هنا تأتي روعة هذا المثل.. بل نضارة هذه الزهرة في بستاننا. التاجر الأمريكي الذي رفض الغش.. رفضه لمصلحة عاجلة.. ولربما رفض الغشّ مرة ولكنه غشّ

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ألف مرة.. أما الفتاة المسلمة فهي ترفض الغشَّ أبداً لأن الله يراها.. يا له من معنى يصفع التعامل البشريَّ الملمَّع في هذا الزمن، ويا لها من أمانة تتطلق من داخل النفس لا من خارجها.

أرأيت - قارئ الكريم - كيف نسعى إلى بساتين غيرنا وليس فيها من الأزهار والأشجار إلا ما يشبه زهور وأشجار الزينة التي نراها تباع في الأسواق... لا حياة فيها ولا رواء؟ ثم أرأيت كيف نحكم على أنفسنا بالغباء والإهمال من حيث لا ندري؟

أحدهم كتب ذات مرة عن «الذوق الرفيع» ومدى مراعاته في الغرب وأخذ يضرب أمثلة بطريقة الأكل.. وتنظيم المنزل.. وتحسين الحدائق.. وغير ذلك من الأمثلة التي أتعب نفسه في سردها، وهو بذلك قد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.. فقد كان جديراً به أن يلتفت إلى «الذوق الإسلامي الرفيع» في كل شيء بعيداً عن تصيُّده في حياة الغرب أو الشرق.. وما أكثر أمثلة الذوق عند أسلافنا وما أروعها.

آداب الجلوس في الإسلام.. آداب الضيافة.. حسن الجوار.. آداب الأكل.. كل ذلك يعطينا أمثلة رائعة على سمو الذوق.

يقول الرسول ﷺ: «لا يمشين أحدكم في نعلين مختلفين ولا في نعل واحدة.. بل لينعلهما جميعاً أو ليحفضهما جميعاً..» أو كما قال ﷺ.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

انظر إلى هذه المراعاة للذوق الإنساني.. إن الإنسان يُنتقد عندما يلبس نعلين مختلفين.. ويُنتقد عندما يلبس حذاءً واحدةً في إحدى رجليه، بل ربما وصفه الناس بالجنون.. وفي النهي عن هذا ذوق وأيُّ ذوق.. ونجد سموَّ الذوق في وصف جبريل عليه السلام عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وعنده أصحابه وسأله عن الساعة.. حيث يقول الحديث: «فطلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، ليس عليه آثار السفر». فتأمل هذا التناسق الرائع الذي وصف به جبريل في هذا الحديث..

في زمن عمر بن الخطاب شكّت امرأةٌ من زوجها إهمالاً في نظافته ومظهره.. فزجره عمر وقال: تزيّنوا للنساء فإنهنَّ يحببن منكم ما تحبون منهن.

ورسول الله ﷺ يقول للغلام الذي طاشت يده في الصحيفة والصحابة يأكلون: «يا غلام سمَّ الله، وكلِّ مما يليك».. والأمثلة على الذوق الرفيع في تراثنا كثيرة لا يمكن حصرها.. فما الذي يجعلنا نفتتن بما عند غيرنا وننسى ما عندنا؟

إن عدم مراعاة الذوق من كثير من المسلمين لا يعني أبداً أن ديننا يشكو نقصاً في هذا الجانب.. وإنما يكمن النقص في

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

نفوس البشر. ويندرج هذا على كثير من جوانب الحياة البشرية.

إن المنطلق الذي ينطلق منه المسلم في مراعاة جوانب الخير في حياته.. يظلُّ منطلقاً أصيلاً لا تدعو إليه منفعة دنيوية عاجلة.. وهذا هو الفارق الكبير بين أفعال الخير عندنا، وهذه الأفعال عند غيرنا.

الرجل الغربي.. يهتم بنظافة أكله خوفاً على صحته ومراعاة لنفسه فقط، أما المسلم فإنه - قبل ذلك - يهتم بالنظافة لأنها تشكل سنةً من سنن دينه حثَّ عليها الرسول ودعا إليها الإسلام.. فهو يؤدي بها واجباً دينياً ومن خلال أدائه لهذا الواجب تحصل المنفعة الدنيوية.

وهذا الفارق كبير وجوهري يجب ألا يغفل عنه المسلم.. إن حسن الجوار أمرٌ يدعو إليه الناس جميعاً. ولو جاورت رجلاً في الغرب جواراً حسناً لبادلك بمثل ذلك.. ولكنك لو أسأت إليه مرة لما تحمّل منك الإساءة مهما كانت صغيرة.. وإن تحمّلها مرةً فلن يتحمّلها أخرى.. وهذا ما يعطينا دليلاً على ضابط «المصلحة الشخصية» في التعامل بين الناس هناك.. لكن الأمر يختلف تماماً عندنا نحن المسلمين.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

فحسن الجوار واجب أوصى به الله سبحانه ورسوله الكريم..
«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، «ما
آمن، ما آمن، ما آمن. قالوا: مَنْ يا رسول الله؟ قال: من بات
شبعانَ وجاره جائع»، وقد تجسّد هذا في فعل الرسول ﷺ
وفعل سلفنا الصالح.. فقصته مع جاره اليهودي الذي كان
يؤذيه معروفة.. وقصة أحمد بن حنبل مع جاره النصراني
الذي كان يزعجه بصياحه إذا سكر في الليل معروفة.. وبين
القصتين فترة زمنية طويلة؛ ولكنّ الجوهر الذي يكمن فيهما
واحد.. ذلك لأنهما ينطلقان من مشكاة النبوة.

ولعلّ هذا الأمر يندرج على الفكر والثقافة والأدب من
جانبٍ آخر.. فكم من مفكري المسلمين ومثقفهم وأدبائهم من
يتابع مذاهب الغرب والشرق شغفاً بها وتعلُّقاً بجديدها، وكأنّ
الجديد لا يأتي إلا من هناك، إنها ازدواجية أخرى يقع فيها
كثير من أدباء العالم الإسلامي.. تذكّرنا بطمع صاحب البستان
النضير وجشعه وغبائه..

كل الجوانب الفنية التي ننشدها بصلفٍ وانجرافٍ عند
غيرنا يمكن أن تتبع من أدبنا.. ولكنّه الافتتان.. والسعي وراء
البريق الإعلامي والصحفي.. حتى ولو كان هذا البريق على
حساب القيم الفكرية والأدبية.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

التأمل في آفاق الكون الواسعة..

الإيحاء بالفكرة والطرح التصويري لها..

التحليق في أجواء الخيال والإبداع..

روح القصة المؤثرة..

الكلمات التي تنبثق منها المعاني جديدةً جميلة

كلُّ ذلك يمكن أن يصل إليه الأديب العربي انطلاقاً من
قاعدته الأدبية القوية.. مع إمكانية الإفادة من الآداب الأخرى.

إن النظرة الفاحصة المتأملّة إلى كتاب الله الكريم وسنة
الرسول ﷺ تعطينا أكبر دليل على الاهتمام بجانب التصوير
الفني.. والاعتماد على ظلال الكلمة العربية وإيحاءاتها.. وهذا
ما يؤكد لنا الخطأ الذي وقع فيه الأدب العربي بعد عصر
صدر الإسلام من الابتعاد عن هذا الجانب الفني الذي يُوحى
به أسلوب القرآن والحديث النبوي، ولعلَّ نقائص جرير
والفرزدق تعطينا المثل الواضح على ذلك الابتعاد عن جوانب
التأمل والإيحاء والتصوير.. مما جرف الشعر العربي إلى طرق
ملتوية عادت به إلى أسلوب الشعر الجاهلي، وحرمته قروناً
طويلة من «روعة الأسلوب القرآني».

الذي دفعنا إلى هذه الانعطافة هو الرغبة في تأكيد ما
ذهبنا إليه من أن عوامل التجديد كامنة في لغتنا وأدبنا.. وأنه
من الخطل أن نبحث عنها عند غيرنا..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

إن التجديد غير التمرد.. المتمرد يأتي بجديد ولكنه جديد
يجرفه ويجرف غيره.. أما المجدد الواعي - في مجال الأدب -
فهو الذي يفجر طاقات الفن من خلال أصالته الأدبية.. وهذا
ما فعله أبو تمام في شعره مما لا يخفى على المتبعين

إنَّ البذرة التي يبذرها الأديب الغربي في أرضية أدبه بذرة
ملائمة لتلك الأرضية ولأجوائها.. ولكنها لو نقلت إلى أرضية
أدبنا لماتت.

وإن بستاننا الأدبي لمليء بالأشجار الباسقة وبالأزهار..
وإنَّ في تربته بذوراً لو وَجَدت من يحسن التقاطها وبذرها
بطريقة جديدة لأثمرت ثمراً طيباً بعيداً عن تلك الثمار التي
نحاول أن نقطفها من بساتين روزنتال، ومكليش..
وجاكوبسون، وإليوت وغيرهم.

ولو راجعنا أنفسنا في هذا الجانب.. لما وجدنا فينا من
يقول: «الحدائث في الشعر إبداع وخروج به على ما سلف» بهذا
التعميم والتعتيم. ولما وجدنا من يقول: «الشعر فن.. والفن لا
غاية له غير التعبير الجميل عن الذات في لحظة الكشف
والرؤيا»، ولما وجدنا من يقول: «حركة الشعر العربي الحديث
حركة ثورية» و«القصيدة تنطلق من اللاوعي»، وغير ذلك من

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز
الأقوال التي تخرج بكلمة «التجديد» عن معناها الحقيقي
وتسلك بها طرقاً شتى.

إنَّ الحديقة العظيمة التي أنشأتها دعوة الإسلام الخالدة،
وأنبتت فيها جذور الخير في كل مجالات الحياة الفكرية
والاجتماعية والأدبية لجديرة منا بكل اهتمامٍ وتركيز حتى
ننتقل منها إلى استتبات أزهارٍ وأشجار لها ثمارها الحلوة..
وأذواقها المتجددة، ولها جذورها الراسخة.

وقفة:

يقول الدكتور عبَّاس محجوب في كتابه «مشكلات الشباب.
الحلول المطروحة. والحل الإسلامي» وهو الكتاب الحادي عشر
من كتاب الأمة:

«يقتضي الإنصاف أن نقرر أن لكل إنسان الحق في
مناقشة قضية المرأة، ولكن ليس لأحد الحق أن يناقش القضية
خارج الأطر العلمية التي تعطي المناقشة قيمة، وتجعل لها
هدفاً، وتتطلق من المسلمات الأساسية التي تعالج من خلالها
القضايا الاجتماعية وفق ثقافة الأمة ومكوناتها الأصلية
وأهدافها في الحياة».

بيت من الشعر:

ما كلُّ مَنْ صَفَّقَتْ كَفَّاهُ مَحْتَفِلاً ولا على كلِّ غُصْنٍ يَطْلُعُ الثَّمَرُ

مركبة الثقافة .. إلى أين تتجه؟؟

«خدمة الوطن .. وكلمة الحق»...

هذه الشجرة العريقة التي توغل في أعماق تربة التاريخ...
وتستقي جذورها من أنهار العزة والكرامة... هذه الشجرة
العريقة التي تفرّعت غصونها وصافحت فروعها السامقة عنان
السماء... هذه الشجرة التي ثبتت في وجه عواصف الفتن
وأعاصير الضلال... وأعدت جيوش اليأس مهزومة كليلة،
وصبرت على لسعات الشتاء.. ولهيب القيظ، وظلّت كذلك؛
تزداد في تربة التاريخ عمقاً، وفي سماء المجد سموقاً .. حتى
إذا فتح لها الأمل نوافذه، ومهد لها المجد طرقه، نظرت إلى
الآفاق من حولها نظرة ثقةٍ وحبٍّ، وهزّت فروعها فتناثرت منها
أشهى ثمار الخير.

هذه الشجرة العريقة (الجزيرة العربية)، الأرض التي تضم بين
جوانحها نوراً ميّزها الله به، وجعلها بإشراقته سيّدة الدنيا،
وعروق الكون.

إنها تستحق من قلوبنا أصفى المشاعر، ومن عقولنا أسمى
أنواع التفكير، ومن سواعدنا أصدق عمل وأخلصه للرقى بها..
وهي الآن لا تريد منا ذلك وحده.. بل تطلب منا قبله أن نؤمن

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

بالعقيدة التي رفعتها أولاً، ثم بصدق القول والعمل، وصدق
النصح ثانياً.

عندما نحب الوطن.. فإننا لا نحب ترابه فقط.. ولا نحب
أرضه وسماؤه فقط، ولكننا نحب عراقته.. ونحب عقيدة
الإسلام التي بزغ نورها في أرضه، وانطلقت مواكب الدعوة
إليها من رحابه، ولا بد أن تتعانق هذه المعاني في قلوبنا في
ترتيب لا يقبل الخلل، حب العقيدة الإسلامية، إيماناً بالله
وكتبه ورسله، ثم حب الأرض التي يتحقق لنا فيها تطبيق ما
تأمر به تلك العقيدة حباً يجعلنا نخدم .. وندافع.. بل
ونستमित في سبيل الحماية والدفاع. خدمة الوطن ليست
كلاماً ينشر، ولا شعراً ينظم، ولا خطباً تدبج وتلقى في
المناسبات..

خدمة الوطن.. حبُّ له، وسعي إلى ما ينفع أهله، ويحقق له
شخصيته، ويحفظ له كيانه، وذلك كله مرتبط عندنا بعقيدة
الإسلام التي يقوم وطننا على أسسٍ راسخةٍ منها.. هذه أمور
لا مجال لإنكارها أو التشكيك فيها.. بل هي من أوجب
واجبات المسلم نحو دينه ووطنه وأمته، فهل يدرك ذلك بعض
المثقفين؟



قضية تستحق النقاش ...

١٧/١/١٤٠٤هـ

كما تحتاج الأرض إلى الغيث من السماء، وكما يحتاج
البلبل إلى ضياء الفجر ليبعث شدوه الجميل، وكما يحتاج
القلب الحزين إلى لمسة «حانية» تبعث فيه الفرحه والهناء،
كذلك تحتاج أمتنا إلى زادها الأول وغذائها «الإلهي» العظيم
«القرآن الكريم» ليبعث فيها الحياة والحركة، وليبني شخصيتها
القوية الصامدة.

هكذا إذن؟

فلماذا لا تحرص الأمة على هذا الزاد «الإلهي»؟ وإذا كانت
حريصة عليه فما الداعي إلى توجيه هذه الكلمات؟ ماذا نقول؟
وبماذا نجيب؟

إن نظرة فاحصة إلى واقع الأمة الإسلامية اليوم توحى
بأن بعداً مقصوداً أو غير مقصود عن فهم كتاب الله وعن
تدبره تدبراً صادقاً.. وعن وعيه وعياً ينقله من حيز القول إلى
حيز العمل، ومن جانب النظرية إلى جانب التطبيق، أقول: إن
تلك النظرة توحى بأن هذا البعد عن كتاب الله يسري في
أوصال هذه الأمة بصورة تبعث في نفوس الحريصين على
مستقبلها كثيراً من المخاوف.

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

وعلى النطاق المحلي عندنا هنا في المملكة العربية السعودية يشعر المتتبع لحركة التعليم بتطور كبير في وسائله، وبتشجيع كبير أيضاً من الدولة للأجيال الناشئة لإتاحة فرص التعليم أمامهم، مما جعل القفزة في مجال التعليم قفزة كبيرة تستحق الإعجاب.

ولكن المتتبع لحركة التعليم عندما ينظر إلى المستوى العلمي.. وخاصة مجال العلوم الدينية يقف قليلاً... ويعيد حساباته، ويتساءل:

أيهما أهم، التعليم الديني على اختلاف أنواعه، أم التعليم الديني؟

أليس من الواجب أن يكون تطورنا العلمي المدني مبنياً على أساس من القرآن الكريم؟
أحب أن أقف هنا قليلاً لأقول:

إن مناقشة هذا الموضوع تحتاج إلى متخصصين يديرونه بينهم على أسس موضوعية توصلهم إلى رأي علمي نزيه...

لكنني - هنا - سأشير إلى جزء من القضية، وهو أهم أجزائها على الإطلاق.. بل هو الأساس الذي يجب أن يحظى باهتمامنا ورعايتنا مهما كانت الظروف، ومهما تجددت وسائل

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

الحياة.. ذلك لأنه الروح، وكيف نتخيل إنساناً سويماً إيجابياً يعطي بلا روح؟

«القرآن الكريم» بما فيه من علوم عظيمة، وبما فيه من دعوة إلى التفكير السليم، وبما فيه من روح «متألقة» لا توجد في سواه، وبما فيه من بناء للشخصية الإسلامية القوية، وبما فيه من تقويم للألسنة، ومن ثروة لغوية لا تعدلها ثروة، هذا القرآن، ما موقفنا منه في رحلتنا التعليمية المعاصرة، وماذا عملنا في خططنا التعليمية لنجعل منه أساساً لشخصية أجيالنا، عليه يرتكزون في انطلاقتهم العلمية وبه يستتيرون في رحلتهم عبر دروب الحياة..5.

ربما تبادر إلى ذهن أحد الأخوة القراء جواب سريع على هذا السؤال، وهو أن مدارس تحفيظ القرآن متوافرة - والحمد لله - وأقول: نعم هي كذلك، وهي خطوة مباركة رائعة تشكر عليها حكومتنا، ولكن ما أريده شيء آخر.. يتعلق بكل متعلم في بلادنا.. يتعلق بالطالب في مدرسته، وبالاستاذ في تخصصه، يتعلق بالمهندس والطبيب، وبصورة أشمل.. يتعلق بكل فرد منا..

مدارس تحفيظ القرآن خَرَجَتْ وَسَتُخَرِّجُ - إن شاء الله - أجيالاً من حافظي كتاب الله تعالى، سيؤدون دورهم المنتظر منهم في هذا الجانب.. ولكن الطلاب في المدارس العامة

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

والمدرسين كذلك، وكثيراً من المتخصصين في العلوم المختلفة.. كل هؤلاء يحتاجون إلى وقفة من حيث المستوى في قراءة القرآن واستيعاب معانيه العامة.. وعندما أقول المستوى فأنا أعني المستوى الأدنى المطلوب من المسلم في فهم كتاب الله.

أليس من الكارثة أن تستمع إلى أستاذ في المرحلة الثانوية وهو يقرأ سورة الهمزة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ «بضم الميم في همزة ولمزة» ثم يقول: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ «بضم اللام في كلمة ماله»؟

بل أليس من المؤلم حقاً أن تستمع إلى مهندس جامعي يقرأ سورة التكاثر فيقول في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾. بمد اللام في لترون الأولى والثانية.. وقس على ذلك سواه..

ولعل خطورة الأمر تكمن في أن أصحاب التخصصات المختلفة راضون بهذا المستوى المتدني في فهم القرآن. بل ويدافعون عنه ويقول قائلهم بدون خجل ولا مبالاة: «لست متخصصاً في القرآن».. يا سبحان الله.. وهل تحتاج معرفة المسلم بالقرآن إلى تخصص...؟

أحدهم كان يشاركنا في مجلس فدار نقاش حول جمال

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

التشبيهات في كتاب الله، فجرت على لساني آية من القرآن الكريم حتى إذا وصلت إلى قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾، فنظر إليّ بعين مبخلقة وقال: «أعد الآية لو سمحت» فأعدتها عليه وفي نفسي أنه سيصح لي خطأ وقعت فيه، وإذا به يقول - وليته ما قال -: «هل تصدق أنني لم أكن أتصور أن هذه آية من القرآن».. فضحك بعض الحاضرين - وشر البلية ما يضحك كما يقولون -.. وبخاصة أن صاحبنا من الجامعيين.

والحقيقة أن هذا المستوى المؤلم يشكل خطورة كبيرة على شخصيتنا الإسلامية المتزنة القوية.. ولهذا فإن إعادة النظر في تصنيف المناهج في مدارسنا واجب علمي لا يجوز تجاهله. فليس من العدل في شيء أن نجعل نصيب القرآن من الحصص في الأسبوع حصة واحدة، بينما تتال بعض العلوم الأخرى نصيب الأسد من الحصص، ولا بد لي - هنا - من التنبية إلى أن كلامي هذا لا يعني أبداً تجاهل العلوم الأخرى.. بل إن تجاهلها يعني - في نظري - أننا متخلفون ذهنياً عن استيعاب مقومات الحياة المختلفة.. ونحن - بإذن الله - أوعى من ذلك.

ولكن الذي نعنيه هو وجوب التركيز على أساس حياتنا وإلا فكيف نبني حياة بغير أساس؟

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

كلنا ندرك ضعف أبنائنا علمياً في هذا العصر.. على الرغم من توافر وسائل التعليم على اختلاف أصنافه وتخصصاته.. على عكس ما كان في الماضي، كما ندرك أن الطالب يتخرج - هذه الأيام - من الثانوية وهو لا يكاد يقيم أسلوبه لا شفهيّاً ولا كتابياً.. نعم ندرك هذا ونتحدث به في مجالسنا، ولو تأملنا هذا الموضوع لعلمنا أن التهاون في تعليم القرآن تعليماً يقوم على ركيزة من اهتمام وصدق نية هو السبب المباشر في ذلك الضعف.

أحدهم غضب وزمجر عندما رسب ابنه في القرآن وذهب إلى المدرسة وقال: كيف يرسب ابني في القرآن وهو أسهل المواد؟ وعبثاً حاول مدرس القرآن أن يقنعه بأن القرآن ليس سهلاً كما يتصور، بل إنه يحتاج إلى وعي وتدبر، ثم أثبت المدرس للأب ضعف ابنه بأن طلب منه القراءة أمام أبيه، فكان منه في تفسير آيات القرآن ما كان.

نعم.. القرآن سهل وميسور على من يسره الله عليه.. على من يتعب نفسه في قراءته.. على من يتعهد دائماً بالقراءة والدراسة.. ولكنه صعب ثقيل على المتهاونين، وما أروع وصف الرسول ﷺ بأنه يتفقت من المسلم - إذا لم يكن على صلة به - كما تفقت الإبل من عقالها.. ونحن بهذا الحديث لا نركب

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

الناس شططاً، ولا نطلب من المهندس - مثلاً - أن يكون عالماً في التفسير، ولكننا نريد منه أن يكون على صلة بكتاب ربه وما أسعدنا عندما نرى المهندس المسلم بحق، والطبيب المسلم بحق، والصحفي المسلم بحق.. والمزارع المسلم بحق..

إن عجز كثير من المتعلمين تعليماً عالياً عن التعبير السليم عن أفكارهم.. وركونهم إلى العامية عندما يقفون موقفاً علمياً أو أدبياً يتحدثون فيه، وإذا أرادوا التحدث بالفصحى فإنهم يأتون بلغة «ممسوخة» تثير في نفس السامع الوعي إحساساً بسوء الحالة التي وصلت إليها هذه اللغة.. أقول إن ذلك العجز يعد نتيجة من نتائج الإهمال في قراءة القرآن ليس غير..

وبعد،

فإن كبار الكتاب العرب وأجودهم لغة، وأقومهم أسلوباً، وأروعهم تصويراً كانوا على صلة في مرحلة من مراحل حياتهم بالقرآن.. وما سيد قطب، ومصطفى صادق الرافعي عنا ببعيد.. حتى إن طه حسين قد أسندَ الفضل في جمال أسلوبه إلى حفظه القرآن الكريم وهو صغير.

وبعد أيضاً:

فإن المشكلة قائمة.. وإثباتها لا يحتاج إلى كثير جهد،

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

وأعتقد أن من الواجب علينا أن نعمل على حلها، والحل - في نظري - يرتكز على أساسين:

١- تعليم الصغار من طلاب المدارس الابتدائية والمتوسطة.. وهذا يحتاج إلى تكثيف حصص القرآن عندهم مع إيجاد المدرسين الجيدين في هذا الجانب لينتزعوا من السنة الطلاب هذه الرطانة العامية التي تنشأ معهم، ولا سبيل لانتزاعها إلا بتعويدهم على قراءة القرآن، وليبنوا فيهم شخصية المسلم الإيجابي الملتزم.

٢- الكبار من طلاب الثانوية وما فوقها، ومعهم المتخرجون من مدرسين وموظفين على اختلاف فئاتهم.. وهؤلاء بإمكانهم أن يقوموا لغتهم بأنفسهم وما عليهم إلا أن يضعوا لأنفسهم برنامجاً يكونون به على صلة بالقرآن وسيرون كيف تكون النتائج.

وأخيراً، فما أصدق قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾، وما أصدق قول الرسول ﷺ فيما معناه: «اقرأوا القرآن فإن لكم بكل حرف حسنة لا أقول: ﴿ أَلَمْ ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

فضائل لو وعيناها بنينا بها مجداً وصرنا السابقينا
ولكننا تعامينا فصرنا أمام عدونا متخاذلينا



إلى أين ... يا عزيزتي؟!

١٩/٢/١٤٠٤هـ

لم تكن عيناك زائغتين كما أراهما اليوم، ولم تكن
ابتسامتك صفراوية باهتة كما أراها اليوم.. حتى صوتك الذي
كان يتسلل إلى أعماق نفسي كما يتسلل الندى في صبيحة يوم
ربيعي إلى أعماق زهرة تبتسم لضياء الفجر.. ذلك الصوت
العذب الجميل لم يعد ينبث في كل زاوية من زوايا قلبي ليشيع
في حناياه السعادة والهناء...
لقد أصبحت شيئاً آخر.

أصبحت تثيرين في نفسي ألماً جارفاً يصل في حناياها
ويجول.. لقد بنيت للألم في قلبي أساساً قوياً.. لماذا..؟
وكيف..؟

لقد كنت أحس.. من قبل بمقدمات ذلك التغير الرهيب
في حياة الزهرة التي عرفت..
تغيرٌ رهيبٌ..!؟

نعم.. لأنَّ الزهرة قد تحولت إلى حنظلة..
حنظلة..!؟

نعم.. ويالها من حنظلة مرة المذاق..

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ستقولين: إنك تتجنى وتقسو.. لا عليك.. فقد تعودنا في زماننا هذا على هذه التهمة.. فالذي يقول الحق وينطق به يقسو، ويتجنى، ولا يداري مشاعر الناس.. أما الذي يخنق صوت ضميره وينافق، ويداجي فهو المتحضر المتمدن.. إنه - يا عزيزتي - خلل يجري في أذهان البشر.. وماذا نصنع إزاء هذا الخلل؟ من أي باب نخرج؟ ومن أي نافذة نطل؟

ستقولين: إنك جامد الفكر، ميت الطموح - لا عليك.. فقد تعودنا في زماننا هذا على مثل هذه التهمة... فالتمسك بأصالته جامد، والواقف عند حدوده غير طموح، أما.. المنفلت من قيمه.. والمتجاوز لحدوده فهو المتحرك الطموح.

قولي - إذن - في شأني ما تريدان.. ودعيني أستعيد معك شريطاً من الزمن.. ليس بالقصير ولا بالطويل.. ولكنه يحمل من المشاهد المتناقضة والصور المتأججة بين العلو والهبوط ما الله به عليم.

كنت أنت قبل «الانزلاق»، واسمحي لي أن أستخدم هنا كلمة «الانزلاق»؛ فإنها في نظري أصدق كلمة في التعبير عما جرى لك.. كنت تسألين كثيراً..

سألتني عن الحرية.. لم يكن سؤالك طبيعياً.. بل أحسست أنك تزفينه إليّ ومعه زوبعة هائلة من الانفعال

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

والتأثر.. عرفتُ ذلك من خلال تلك الرعدة التي سرت في جسدك وأنت تسألين.. ومن خلال ذلك الجفاف الذي غطى شفتيك بطبقة بيضاء لم يستطع ريقك أن يزيلها.. لقد تشاغلْتُ - حينها - عنك لأ تيح لك فرصة تلمين فيها شتات فكرك.. وتتخلصين فيها من ذلك الانفعال والاضطراب.. ولكنك - لشيء في النفس - ظننت تشاغلي تجاهلاً وصرختِ بي: لماذا لا تتحدث..! هكذا أنتم أيها الرجال تتجاهلون مشاعر النساء.

عزيزتي... لقد تحول وجهك حينها إلى صفحة تمتزج فيها الألوان، حمرة الخدين مع زرقة الشفتين.. مع سواد خفيف لا يكاد يظهر، يشيع في آفاق وجهك، وقد ساعد على تمازج هذه الألوان ذلك العرق الذي كان يتصبب غزيراً غزيراً..

لقد قلت لك بهدوء: لماذا الانفعال يا عزيزتي؟

هدأت قليلاً وقلت لي: لأنك تجاهلت سؤالي...

ومع ذلك فقد أجبتك.. قلت لك.. الحرية - يا عزيزتي - كلمة عظيمة في معناها ومدلولها.. إنها أكبر من تفسيرات المفسرين.. ومن تشدق المتشدقين، الحرية.. كلمة.. لها من الظلال والإيحاءات ما لا يدركه المدَّعون المخادعون.. الحرية وحدها.. كما قال أمين الريحاني - هي سيف ذو حدين..

عبد الرحمن بن صالح العشاوي ————— بلادنا والتميز

والحرية - مع التهذيب - نبراس ذو نورين .. نور يضيء
الطريق خارجاً، ونور يضيء ويظهر باطناً ..

ثم استعرضت معك بطلان دعوى الحضارات البشرية
قديماً، وحديثها بأنها تسعى لتحقيق الحرية للناس .. وقلت:
إنها تتشدد بالحرية وهي لا تكاد تدرك معناها الصحيح وكان
الإسلام هو الدين الذي راعى الحرية وهذبها وجعل صلتها
بواقع البشر قوية عميقة الجذور. وإن أنس شيئاً .. فلن أنسى
ثورتك عليّ عندما قلتُ لك: الحرية بمدلولها الصحيح في
عالم البشر .. هي أن ينال الإنسان كل ما يستحق في حياته
بضوابط .. والضوابط هي الخيط الرفيع .. والجدار السميك
في آنٍ واحد .. الذي يفرق بين الحرية والانحلال ..

لقد كانت ثورتك عارمة .. وكلماتك قاسية .. عندما قلت
لي: إنك جاهل! .. كيف تجمع بين الحرية والضوابط ..!

وبعد جدالٍ لا أدري بماذا أصفه .. ولكن - على أي حال -
كان جدالاً عقيماً .. لأنك كنت تجادلين وتساألين لا لتعرفي
حقائق الأمور .. ولا لتجدي مدخلاً إلى فائدة تستفيدينها ..
ولكنك كنت تسألين .. وفي ذهنك فكرة، كانت قد رسخت
وأخذت مكانها واستولت على كيائك، كنت تسألين .. للتحايل
على صوت ضميرك «الحي»، أو الذي كان بالأمس حياً ..

بلادنا والتميز _____ عبد الرحمن بن صالح العثماوي

تسألين لتجدي مخرجاً من رقابة الضمير.. لا لتجدي خلاصاً
لذهنك من فكرته الوافدة.. ولضميرك من غفوته القاسية.

وظللت يا عزيزتي.. تسألين، وتسألين.. وجاءت لحظة
النقلة الخطيرة في حياتك، لحظة الخروج من النور إلى
الظلمات؛ من الرياض الغنّاء إلى الصحراء القاحلة، من الأرض
الصلبة إلى أرضٍ رخوة تفوص فيها الأقدام، من الحياة إلى
الموت... أتذكرين تلك اللحظة..!٩.

سألتني حينها عن موضوع خطير، سألتني بعد أن تقلبت
زمناً - كما عرفتُ ذلك فيما بعد - بين أحضان شذاذ الكتاب
والمفكرين.. بعد أن وقعت في شرك الهابطين من الأدباء
والشعراء والمتحذلقين.. سألتني، وفي ذهنك ركام من
القصص، وأخبار الانحلال، وخليط عجيب من أفكار المذاهب
الغريبة على اختلاف ألوانها وأنواعها.

سألتني، وكنت قد وضعت رجلك في طريقك الجديد، لم
أكن أعلم - حينها - بهذا الاتجاه الذي سلكته، وإلا لوفرت على
نفسي ذلك التعب الذي أحسست به وأنا أجيب عن سؤالك
الخطير.. ذلك السؤال الذي قذفت به إليّ من بين شفطيك
المتيبستين جامداً جافاً، لا لون له ولا طعم ولا رائحة.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ما رأيك في عمل المرأة جنباً إلى جنب مع الرجل..!؟
سؤال كبير كالبحر الذي لا شاطئ له، أو كالصحراء التي لا
حدود لها.. لم أجيبك عن هذا السؤال مباشرة.. ولكنني آثرت -
حينها - أن أتحدث إليك بما كنت مقتنعاً به - ولا زلت -، وهو
أن الإنسان لا يحق له أن يضع أوامر دينه القطعية تحت طائلة
الأخذ والرد، والسفسطة العائمة.. وذكرت لك أن حكم الله
تعالى مقدم على حكم الهوى والنفس ، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ ، «لا يؤمن أحدكم حتى يكون
هواه تبعاً لما جئت به» .

ثم أوضحت لك عظمة التوازن - في ديننا - بين متطلبات
الروح والجسد.. ووصلت معك إلى نتيجة مهمة بنيناها على
مقدمات مقنعة، وعلى تجارب جرت في مجتمعات قريبة منا
بعيدة عنا.. وهي أن اختلاط المرأة بالرجل شر لا خير فيه،
ولعلك تذكرين أننا قد وصلنا - سوياً - إلى هذا الحكم بعد
استقراء لواقع المجتمعات البشرية المعاصرة التي تغوص حتى
أذنيها في أوحال الرذيلة والفساد..

إلى هذه النتيجة وصلنا، ولكنك - كما قلت - لم تناقشي

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

هذه القضية إلا بعد أن اخترت الطريق وحملت الفكرة، وهذا ما لم أعرفه إلا بعد فوات الأوان.

ولهذا.. فقد كان نبأ انزلاقك مؤلماً.. وكان مفاجأة لم تخطر لي على بال.. لقد غامت سماؤك وكانت صحواً، أجذبت أرضك وكانت خصبة، وجف نبعك وكان معطاءً!.

عزيزتي...

أتدريين لماذا وجهت إليك هذه الكلمات بعد أن ابتلعها الصمت زمناً غير قصير..!؟

بلغني ما وصلت إليه بعد رحلتك التعيسة.. علمت أن حماسك صارت فتوراً، وشدتك صارت ضعفاً، وأحلامك الوردية صارت كوايبس مؤلمة لا يقر لنفسك معها قرار.. الأيدي التي لوّحت لك صارت تلطمك، العيون التي رمقتك صارت تقتحمك، الألسن التي مدحتك صارت تذكك.. هل انتهى كل شيء بعد هذا..!؟

كلا لم ينته كل شيء.. أقول ذلك، على الرغم من أنك قد فارقت الحياة.. فارقت الحياة..!؟

نعم يا عزيزتي فإنك قد مت ميتتك الأولى، ولا تسأليني:

كيف يموت من هو على قيد الحياة، فإن كثيراً من الناس يموتون مرتين، الأولى - وهي الأخطر - حين تموت ضمائرهم.. والثانية حين تنتقل أرواحهم عن عالمهم الدنيوي إلى العالم الأخرى، وهذا هو الموت الطبيعي الذي يمر على كل إنسان، ولربما عاش الإنسان بعده في أذهان الناس فكان حياً برغم موته.. أما موت الضمير فإنه الكارثة الماحقة، يموت الإنسان وهو حي!. يا لها من مأساة تتفطر لها القلوب...

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

نعم... لقد شيعتك إلى قبر الضلال، حين أعلنت خروجك من حياة الهدى، فكنت بذلك ميتة وحية في آن واحد.. ميتة بكل ما تحمله كلمة الموت من معنى، وحية بمعنى واحد فقط، هو معنى الحيوانية الهابطة..

ومع ذلك فإنني أقول لك لم ينته كل شيء.. فالطريق إلى الحياة لا يزال مفتوحاً، وبريق الأمل لا يزال يلمع في ظلام اليأس، وليس بينك وبين الحياة إلا حركة شفة ونبضة قلب، وخطوة قصيرة تتجاوزين بها أرضك المجذبة إلى أرض خصبة معطاء..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

أنا لا أكتمك.. إن صورتك قد غامت في عيني.. لم أعد أعرفك الآن.. أنا أعرف فتاة كالزهرة، كانت تفيض بالأمل.. والعفة.. والعطاء.. ثم ماتت.. تلك الفتاة «الزهرة» في أعماقك.. قتلتها أنت بيدك.. وأسكنت في مكانها فتاة أخرى.. مختلفة الملامح.. غريبة الوجه واليد واللسان.. كما أنني لا أكتمك.. أنني منذ شيعت تلك «الزهرة».. وأنا أحس بأنها ستعود.. ستجد لها تربة ملائمة تنمو فيها من جديد، صحيح أن الرياح قد عصفت بها.. ولكن لها جذور لا تزال راسخة في تلك الأرض الطيبة.. وهأنذا.. أشعر بتباشير الفجر بعد احتدام الظلام.

الطريق مفتوح، والنور يشع في جوانبه، وما عليك إلا أن تسلكي.. وما دمنا قد وصلنا إلى الأمل.. وعرجنا على ساحة الرجاء.. فلا بأس أن أقص عليك خبراً، أو أخبرك بقصة لعلها تدفعك إلى أن تضعي قدمك في الطريق الصحيح..

كانت القاعة مكتظة بالناس، ولعل الواقفين فيها كانوا أكثر من الجالسين، وفي صدر القاعة الكبيرة يستقر مسرح كبير تحاصره أعين الحاضرين وهي ترقب ظهور عارضة الأزياء الشهيرة.. وكان من بين الجالسين فتى يتخطى العشرين

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

بسنتين وبجواره فتاة تحول بينها وبين العشرين سنتان.. كانا ينظران إلى المسرح مع الناظرين.. وكانت نظراتهما تتميز بشدة التلهف، ذلك لأنهما لم يعهدا مثل ذلك الأمر في بلدهما.. وفي خضم هتاف الحاضرين وتصفيقهم التفتت فاطمة إلى أخيها محمد وقالت: انظر هكذا تكون الحرية.. ألا ترى تلك الابتسامة على شفثيها؟ إنها تعبر بها عن سعادة غامرة لا حدود لها.

أما محمد فقد كان في شأن آخر.. بهرته تلك العارضة بجمالها وأناقته.. وذهب به فكره كل مذهب.. ورحلت به أمانيه في دروب أحلام لا نهاية لها.. إنه «الانزلاق» يا عزيزتي جرّ محمدًا وفاطمة إلى ذلك المكان.

ولك أن تسألني الآن، وماذا بعد..؟ هل وقفت القصة عند هذا الحد..؟

كلا.. فقد التقى محمد وأخته بالعارضة الجميلة «السعيدة» في نظرهما.. وحصل بعد ذلك بأيام لقاء بين الثلاثة على موعد حدّده..

كان اللقاء مشحوناً بالتساؤلات.. فاطمة تلح بالسؤال تلو السؤال، والعارضة تجيب وفي صوتها رنة الصدق، وعلى

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

ملامحها صورة الجد.. تحدثت عن «الحرية» في بلادها، عن حقيقة وضع المرأة.. وكانت تلحق كل كلمة بتهيدة.. ثم حانت منها التفاتة إلى محمد وإذا به يلهب جسدها بنظرات مريبة، وقد بدا عليه عدم الرضا لهذا الجو الجاد الذي يحول بينه وبين ما يريد.. وهنا صرخت في وجهه قائلة: أنت لا تختلف عن بقية الرجال الهابطين.. تنظر إليّ بعيني ذئب، تنظر مني إلى الإطار الخارجي.. تلهب جسدي بهذه النظرات اللاهثة، لا يهملك أمر الإنسانية التي تعيش في داخلي.. لا تهملك روحها، ولا أشواقها، ولا مشاعرها، لا يهملك أن تموت مرة أو مرتين، أن يعصرها الأسى ألف مرة.. آه من هذه الحياة التي أجبرتني على أن ألقى بنفسي بين وحوش لا تعرف للإنسانية معنى..

ثم اتجهت العارضة وهي في ثورة عارمة بالحديث إلى فاطمة وسألتها بعنف واستتكار.. ألسنت يا فاطمة مسلمة كما تقولين..؟ قالت: بلى.. فسألتها أو قل لطمتها بسؤال كان بالنسبة إلى فاطمة بمثابة نداء قوي هزها من الأعماق: فلماذا إذن تتحللين عندنا هنا..؟! عن أي شيء تبحثين في حياتنا..؟ هل تريدين الضياع كما ضعنا..؟ هل تريدين الموت كما متنا..؟! ماذا تريدين بالله عليك من حياة قوم أضاعوا كرامتهم وشرفهم ومزقوا أسرهم باسم الحرية والتطور الزائف..؟ ولم

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

تجب فاطمة عن هذه الأسئلة، بل استولى عليها صمت
طويل ..

أما محمد فقد نظر إلى العارضة بعد حديثها هذا،
وانجلى عن قلبه غبار رغبته الحيوانية .. وسألها: وأنت ماذا
تريدين ..؟ ونظرت بعينين دامعتين وقالت: أريد إنساناً يعرف
أنني لست جسداً فحسب، أريد إنساناً يوقظ في أعماقي
امرأة نائمة تعشق الفضيلة والاستقرار، أريد إنساناً ينتشني
من هذا المجتمع الزائف الذي يطحنني طحناً، ويسلبني أغلى
ما لدي .. يسلبني إنسانيتي وعفتي .. أريد هذا الإنسان من أي
جنس أو لون كان، وسأمنحه كل ما أملك من حب وعطف
وحنان .. ولم تترك لها دموعها مجالاً للحديث .. أتدرين - يا
عزيزتي - ماذا صارت بعد ذلك .. لقد أصبحت تلك العارضة
تحمل اسم «عائشة» زوجة «محمد» أم «خالد»، وصارت مثلاً
للعفة والاستقامة، بعد أن هربت من جحيم الانحلال، إلى نعيم
الحرية الإسلامية، وإلى ظلالها الوارفة، لقد هربت من زيف
العالم الذي آثرت أن تفرِّي إليه يا عزيزتي! ..



أيتها الزهرة

١٤٠٦/٤/٩ هـ

الفجر ينساب في آفاق الكون ببطء وحذر... والليل يللمم
أطراف ثوبه الأسود في خوف وذعر.. والشمس تغزل خيوط
ضياؤها من وراء الأفق وتطلُّ في حياءٍ على الأرض.. وزهور
الوادي في حالة نشوةٍ تعيش فيها أسمى أنواع العشق مع
خيوط الضياء.. وقطرات الندى.. ما أجمل هذا المنظر وما
أروع!.. ليل هارب.. وفجر حالم.. وشمس تنهياً للإشراق،
وزهور مبتسمة، وطلُّ يبدو على أوراقها لامعاً يعكس ضوء
الفجر كأنه قطرات من العرق على جبين زهرةٍ رائعة من زهور
البشر.

وانساب النظر في آفاق الوادي يتقل من زهرةٍ إلى زهرة،
ويبدو عليه ذهولٌ واستغراب.. وتتطق النظرات بقدرٍ كبيرٍ من
اللهفة والشوق.. والترقب، وتصير بعد زمن أسئلةٌ بدأت هادئةً
ثم التهبت.

أين الزهرة؟

ما بال الوادي يبدو في عينيّ واجماً.. حائراً؟.. ما بال
الأزهار تبدو أمامي باهتةً لا حياة فيها ولا رواء؟ مع أنها تحمل

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

من معاني الحياة أجملها وأرقها وأسمها؟!!

أين الزهرة؟

عفواً أيها السائل الحيران.. فزهور الوادي لا تُحصى
عدداً، انظر وتأمل واقطف ما شئت.. هل خلت الدنيا إلا من
تلك الزهرة؟.. ما بالك تغلق أبواباً قد فُتحت.. وتصر على
نافذةٍ أغلقها في وجهك تدبير لا تعرف فحواه؟

اغمض عينيك قليلاً.. وارسم في ذهنك آلاف الصور
لآلاف الأزهار، ثم افتح عينيك لترى من بين زهور الوادي
زهرتك المفقودة.. الأوراق هي الأوراق.. والساق هو الساق،
والطلّ هو الطلّ.. فلماذا لا تتخير من أزهار الوادي إلا زهرة
واحدة؟

أي سؤال هذا؟

الإنسان كتلة من المشاعر.. الإنسان قلبٌ نابض.. والعبرة
بالإحساس، العبرة بالقلب وخفقانه لا بتشابه تلك الأزهار.

أيتها الزهرة..

قد تلمح عيني من أزهار الوادي أصنافاً لا تُحصى.. لكنك
أنت الزهرة.. أنت الوادي.. أنت الطلّ.. أنت ضياء الفجر،

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى
فكأنَّ الفجر ينبثق من أوراقك.. وكأنَّ الشمس تسير إلى الأفق
الأبعد منطلقاً منك... وكأني لا أدخل عالم أشواقي إلا من
خلالك.. أنتِ بوابة الأمل.. بل أنتِ الأمل المشرق، فلماذا أبقى
في شوق للإشراق.. وعندك نَبْع الإشراق!؟

وقفه:

أنتِ يا عصفورة تشدو على أغصان حبي
أينما طرتِ ستلقيني فإنَّ العشَّ قلبي

رويدك يا قلمي

أيها الناظر دم القلب.. يا من تذوق طعم مشاعري
وأحاسيسي، وتسمع نبضات وجداني قبل أن تصل إلى الناس..
يا من تطيع أصابعي حين تسير بك على سطور الورقة أملاً
مشرقاً، أو المأ يفيض به القلب.. صفاءً تسعد به النفس.. أو
شقاءً يسدُّ عليها الطريق إلى البسمة الجميلة.

أيها القلم .. إلى أين تسير..؟ أما تحسُّ بلهب المشاعر؟
أما ترى لون المعاناة؟ أما تسمع صدى الحنين؟.. فلماذا إذن
ترسم لي صوراً مختلفة لقلبي على الورق؟ أما من شفقة بهذا
الطائر الذي يحلُّق في كلِّ سماءٍ وهو في قفصه.. ويحمل
هموم الدنيا وهو ساكنٌ، إلا من نبضاتٍ يعبر بها عن كل ما فيه
من مشاعر متناقضة؟.

رويدك يا قلمي...

فأنت رسول قلب.. سفير عالم متكامل من الأحاسيس،
أنت جسرٌ يصل بين قلبي وقلوبٍ أخرى تشعر وتتفاعل.. تحب
وتكره.. تشقى وتسعد. أنت منظم هذا اللقاء الغرامي بين
الكلمات الصادقة والنفوس المتعطّشة إلى الصدق.. فلماذا لا
تهداً قليلاً حتى لا تختلط عليك معالم الكلمة؟

معالم الكلمة؟

نعم أيها القلم الحبيب.. إن للكلمة معالم وحدوداً.. وإن لها دوراً كبيراً في حياة البشر.. الكلمة يا قلمي ليست عالماً «فوضوياً» لا نظام له، وليست جسداً فارغاً من الروح.. وليست غباراً يثور من صحراء «اللاوعي» يحول بين الناظر وبين الرؤية الواضحة للأشياء.

الكلمة يا قلمي أكبر من ذلك وأعظم.

رويدك يا قلمي...

وسجّل معي قول الرسول ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً تهوي به في جهنم سبعين خريفاً»، أرايت إلى هذا الإحساس العظيم بقيمة الكلمة وعظمة دورها؟ إنك يا قلمي وأنت تتعامل مع الكلمة.. تتعامل مع أمرٍ خطير.. ربما صرت به قلماً نزيهاً ثابتاً في دربك الطويل.. وربما صرت قلماً ينطلق كالسهم المسموم إلى قلوبٍ تصير ضحايا لك من حيث لا تدري.. وهنا تكمن المأساة، وهنا أراني مضطراً إلى أن أقول لك بصدق:

رويدك يا قلمي..

وما أصدق ما قال أحد الحكماء: «القلم أنف الضمير إذا

رعف القلب كتب القلم».

كذلك يجب أن تكون الكلمة نزفاً للقلب لا تقليداً أعمى.

الموروث الشعبي ... إلى أين ؟

١٤٠٧/٨/٨هـ

عندما تعقد ندوة في «المملكة العربية السعودية» موئل اللغة العربية ومهبط الوحي، ومنطلق الرسالة الإسلامية الخالدة.. فإن أول ما يفترض في هذه الندوة أن تكون موافقة لمكانة هذه الجزيرة الدينية، وملائمة لرسالتها الخالدة التي لا يجوز بحالٍ من الأحوال أن تتفصل عن عقيدة الإسلام.

هذا المعنى أكدّه بصورة جميلة صاحب السموّ الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وليّ العهد حينما استضاف الشخصيات التي دعيت إلى مهرجان الجنادرية قائلاً: «نحن نرحب بكل رأي وفكر فيما لا يمس الدين والوطن».

وهذا المعنى هو الذي نركّز عليه نحن من قبل ومن بعد، إيماناً منا بأن الأساس المتين الذي نشأت عليه هذه المملكة الفتية إنما هو الالتزام بشريعة الحق، في وقت تعددت فيه التوجّهات واضطربت فيه الأفكار.. وذهبت بلاد إسلامية كثيرة ضحية الغرب والشرق. الجنادرية.. خطوة طيبة في جانبها الوطني الذي يهدف إلى تذكير الناس بحياة سابقةٍ كلها عناء وشقاء حتى يحمّدوا الله على حياة حاضرةٍ كلها نعيم ورخاء..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

ولكنَّ مهرجان الجنادرية في جانبه الآخر «الجانب
التثويري» يحتاج إلى وقفةٍ طويلةٍ متأنية، تدرس فيها الأفكار
بموضوعية وشمول على ضوء «الرسالة السامية» التي تضطلع
بها بلادنا والتي أشرنا إليها سابقاً.

إن ندوة الموروث الشعبي التي عُقدت في مهرجان
الجنادرية ندوة مهمة لأنها وضعت بين أيدينا صورةً واضحة
للفكر الذي تنطلق منه ورقات العمل المقدمة من بعض
الأشخاص المشاركين في تلك الندوة.

ونحن هنا لن نتعرض للتاريخ الفكري الخاص ببعض
الأشخاص الذين حضروا مهرجان الجنادرية من خارج
المملكة.. ولن نتعرض لإنتاجهم الأدبي والصحفي السابق
لانعقاد المهرجان، ذلك لأن هذا الأمر لا يهمنا الآن.. وربما
كان مهماً لنا فيما بعد.

ولكن الذي نريد أن نتعرض له هنا هو تلك الأفكار التي
طُرحت في ورقات العمل المقدمة.. تحت عنوان «الموروث
الشعبي»، وهي أفكار مطروحة نُشرت في أكثر من صحيفةٍ
ومجلة يستطيع القارئ أن يعود إليها بيسرٍ وسهولة.

الموروث الشعبي...

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

كلمة لها ظلال ولها جوانب إيجابٍ كثيرة.. وربما كانت
- لذلك - كلمة لا تخلو نفس المتأمل فيها من دهشة أو خوف،
وقد عبّر عن هذا الدكتور فهد الحارثي حين قال: «وأجد قلبي
يرتفع وينخفض بين هجمة الخوف والتماعة الدهشة».

الخوف والدهشة.. من ماذا؟!

من الكلمة نفسها؟ كلا.. فهي كلمة جميلة الحروف، عذبة
الإيقاع، إنما الخوف من مدلول الكلمة وظلالها البعيدة.. ذلك
لأنها كلمة تذكرنا بكلمات أخرى سبقتها بأعوامٍ طويلة في
بعض أنحاء العالم الإسلامي.. العامية.. اللهجة الشعبية..
الشعر العامي.. اللغة الثالثة «لغة الصحافة».. اللهجات
الإقليمية.. كل هذه المصطلحات تأتي سياقاً لكلمة «الموروث
الشعبي» فهل نشأ الخوف والدهشة من هذا الجانب؟..

لندع هذا السؤال الآن حتى نتمكن من الدخول في
الموضوع بصورة أعمق، ونبدأ بعرض سريع لبعض الأفكار
والآراء التي طرحت في ندوة «الموروث الشعبي» في الجنادرية.
فقد تحدث في تلك الندوة بعض الأشخاص منهم أحمد
عبد المعطي حجازي، وشربل داغر، ود/سعد الصويان.

أما ورقة شربل داغر فلا أدري كيف تسلّلت إلى الندوة،

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

بالرغم من ركاكة أسلوبها، ومن اللّت والعجن في معانيها وأفكارها.. وبالرغم أيضاً من ضعف واضح في لغتها.

وقد بدأ شريل داغر ورقته بقوله: «الجنادرية منبرٌ للموروث الشعبي، وهي أمنية طالما تمنّاها الدارسون» ثم يدعو إلى أن تكون الجنادرية منتدىً عربياً واسعاً لدراسة الموروث الشعبي، وينتقد الدارسين العرب بأنهم أهملوا؛ فهو يقول منتقداً: «محمد عمارة يقتصر في مصطلح الحديث على التراث الفكري العربي الإسلامي في حركاته واتجاهاته» وكان داغراً بهذا الانتقاد يريد أن يجعل الأدب العامي جزءاً مهماً من تراث الأمة العربية الإسلامية، ولذلك فهو يقول في ورقته: «إن لطرح هذه الجوانب التراثية الشعبية أهمية مبدئية في سياق التصدي لقضايا الثورة الثقافية في الوطن العربي في قاعها الاجتماعي».

ولا أدري ما معنى «الثورة الثقافية هنا»، ليس جهلاً مني بها ولكن حيرة في أي جوانبها يعنيه الكاتب.. فنحن نعلم أن التغريب كان ينادى به تحت مسمى «الثورة الثقافية».. وأن إهمال التراث العربي الإسلامي المستمد من لغة العرب التي هي لغة القرآن كان ينادى به تحت مسمى «الثورة الثقافية» ولا يزال.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

هل وقف وعينا نحن أبناء هذه البلاد .. دون إدراك هذه المعاني التي يطرحها داغر في ورقته المقدمة إلى مهرجان الجنادرية؟ كلاً - والله - إن وعينا بمعنى كلمة التراث وإدراكنا لمعانيها ومدلولاتها يجعلنا في غنى عن مثل هذه الأفكار المتأثرة التي لو قدّمت إلى لجنة فاحصة مدققة لما قبلت؛ لأنها - بحق - دون مستوى المشاركة بها في ندوة أدبية يفترض فيها أن تكون عميقة دقيقة.

يقول شربل داغر في ورقته متحدثاً عن اتجاه بعض الأدباء العرب إلى إحياء التراث الشعبي واستخدام رموزه فيقول: «ومنهم من عاد إلى رموز أسطورية سابقة على الحضارة العربية الإسلامية فهو يعيد صياغة وجداننا الحضاري صياغة تاريخية تنظر إلى بابل وآشور وفينيقيا ومصر القديمة كما ننظر إلى الأسفار الشعرية في التوراة والإنجيل والقرآن».

أستغفر الله من هذا الخلط.

تأمل - أيها القارئ الكريم - هذه العبارة، ثم اعجب كل العجب كيف يُسمح لمثل هذا الكاتب أن يقول بملء فمه في بلاد الإسلام «الأسفار الشعرية في التوراة والإنجيل والقرآن»؟!

هل في القرآن شعر؟!

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

نحن لا نلوم شربل داغر فهو نصراني قد يبيح لنفسه أن يقول في القرآن هذا القول، ولكننا نلوم من اختاره ليكون أحد المنظرين لقضية الموروث الشعبي.. نلوم الذين قاموا على هذه الندوة من أبناء هذا البلد كيف يبيحون لأنفسهم هذا الاختيار؟!

إنه أمر خطير لا بد أن نقف بإزائه وقفة صادقة لا نتجنى بها على أحد، وإنما ندافع بها عن دستورنا.

كيف نسمح لمن يقول إن في القرآن أسفاراً شعرية كما في التوراة والإنجيل أن يتقدم بهذا الكلام إلينا ثم نسمعه صامتين، بل وننشر ورقته في صحفنا، ونرحب به ضيفاً علينا، ونضعه في قائمة الأشخاص الذين سيشاركون في الندوة مستقبلاً؟!

إن كل كلام جاء في ورقة داغر بعد هذا الكلام إنما يؤكد هذا الذي ذهب إليه، ولذلك فهو يستشهد بأدباء لا يرعون للدين مكاناً.. ثم يؤكد بوضوح أن «الشعر الفصيح خصوصاً لا يتناسب تماماً مع مادة الموروث الشعبي»، ثم يشير إلى أهمية التقاليد ذات الطبيعة الاعتقادية؛ مثل الزار، ونحر الذبائح، وتلاوة الرُقَى، واستخدام الأحجبة والتمائم والتعاويذ، وتقديم النذور، وزيارة المقابر والأضرحة...

انظروا إلى هذه العبارة المنتنة، وتأملوا الأشياء التي سردها داغر، فسوف تجدونها جميعاً مرفوضة عندنا دينياً، كما أنها مرفوضة عند غير المسلمين من العقلاء الواعين.. ومع ذلك فقد ذكرت كلها في مهرجان الجنادرية، وربما صفاً لصاحبها بعض الحاضرين ممن قد يعلمون وقد لا يعلمون.

ثم تشير هذه الورقة إلى أن المشكلة هي البحث عن الذات وتعيين هويتها الحضارية، ويرى داغر أن الموروث الشعبي يحقق هويتنا الحضارية، ونحن نقول له كلاً.. فقد أصبحت هويتنا الحضارية محققة بالإسلام رضي بذلك أعداؤه أم لم يرضوا.. هذا الكلام يقال لغير المسلمين، ولغير أهل هذه الجزيرة التي طهرها الله من دنس الشرك فعرف أهلها ذاتهم، وهم لا ينتظرون من أحد أن يبحث لهم عن ذواتهم. من المسؤول عن دعوة مثل هذا الكاتب؟.

أما عن ورقة أحمد عبد المعطي حجازي والتي قدمها بعنوان «قراءة مفتوحة للشعر الجاهلي» فقد جاءت مبنية على افتراضات وخيالات ليس لها أدلة علمية تؤيدها.. وقد استمدت ورقته أفكارها بطريقة غير مباشرة من أفكار الذين قالوا بانتحال الشعر الجاهلي.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

وقد أشار في ورقته إلى أن الشعر الجاهلي جماعي لا فردي، وهو أقدم من الفصحى، وأنه نوع من الأغاني الفلكلورية، وحجازي يعني بالشعبية في ورقته العناصر الشعائرية أو الطقوسية وليس المقصود بها السذاجة والبساطة.. ثم يقول: إن للعرب شعراً قبل القرن الخامس الميلادي، ولكنه لم يكن بالفصحى..

عجباً، هكذا يقول دفعة واحدة وبكل سهولة إن الشعر العربي لم يكن بالفصحى. ما الذي يثبت هذا؟ وعلى أي دليل يقوم؟ إن الأمر لا يعدو أن يكون تخميناً ممن أشاروا إليه من المحققين، فكيف يصير عند حجازي ثابتاً قطعياً؟!

ثم يقول: «إن الشكل الأقرب إلى الشعر الجاهلي هو الأغنية الفلكلورية وليس القصيدة الكلاسيكية»..

كلها آراء متهاففة يظهر فيها التهور والرغبة في أن يقول صاحبها ما يريد، فهي فرصة له أن يدعى إلى ندوة كبيرة في المملكة العربية السعودية.. فما عليه لو قال ما أراد دون تحقيق أو تمحيص.. وما عليه لو جعل الشعر الجاهلي هو اللغة المقدسة للروح العربية في مواجعتها للحياة والمصير على حد قوله..

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

شيء غريبٌ فعلاً.. هل ننسى القرآن الذي أعطى أمتنا
تأشيرة دخول إلى عالم الحضارة الإنسانية الراقية.. ومنحها
القوة العظيمة لمواجهة صعوبات الحياة وقوى الباطل؟

يجيب عن هذا السؤال حجازي في ورقته بقوله: «نعم
فالعقائد الدينية والذكريات الأسطورية هي الكنز الذهبي
الحافظ لوجود الجماعة الأخلاقي والراعي الأمين الذي
سيقودها نحو مستقبلها المجهول».

كلام معجون لا أساس له في واقع حياة المسلمين الذين
أعزَّهم الله بالإسلام، ومهما طلبوا العزة في غيره أذلَّهم الله.

نحن لا نرفض الدراسة الأدبية الواعية المعتمدة على
حقائق وأدلة صائبة، ولكننا نرفض الدراسة الوهمية الإنشائية
والتي - فوق ذلك - تمسُّ ديننا من قريبٍ أو بعيد..

نرفضها.. ونطرحها هنا لإخواننا القراء.. حتى يكون
الرفض لها رفضاً واضحاً صريحاً.. وحتى لا تتكرر هذه
الصورة في الأعوام المقبلة.

وأحب أن أنادي في هذا المكان المسؤولين عن تنظيم
مهرجان الجنادرية.. والمشرفين على ندوة الموروث الشعبي، أن
ينظروا إلى الموضوع بعين البصيرة، لا بعين الانفعال العاطفي

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

الذي لا ينفع ولا يجدي.

فمثل هذه الندوات لا مجال فيها للمجاملات.. ولا مجال فيها للتركيز على الأصدقاء و«المعارف».. فالندوة لها جانبها العلمي، ولها منطلقها الفكري، فمن الواجب أن توجه الدعوة فيها إلى المتخصصين في مجال اللغة، وليس إلى الصحفيين والإنشائيين من الكتاب والأدباء.

ثم يجب أن يكون الاختيار منصّباً على الأشخاص الذين يتميزون بوضوح الفكر، وصفاء السريرة... وبالأمانة العلمية والأدبية، وهم كثيرون في عالمنا العربي والإسلامي.

وهنا أقترح على الجهات المسؤولة في بلادنا أن تختار لجنة من الأساتذة المتخصصين في مجال اللغة والأدب، وأن يكون اختيار هذه اللجنة دقيقاً حتى يسند إليها اختيار الأشخاص الذين يمكن أن يشاركوا في الندوة مستقبلاً.

إننا في غنى عن كلمة قد يكتبها عنا كاتب أو شاعرٌ لا يتلاءم فكره مع أفكارنا.. ولا تتلاءم أهدافه مع أهدافنا.. فبلادنا بإنجازاتها الكبيرة لا تحتاج إلى الأقلام التي ترهلت وتقادم عهدها، إنما هي بحاجة إلى من يشعر بعظمة إنجازها الإسلامي، ممن يقدرّون هذا الإنجاز ويفرحون به، وليس من

عبد الرحمن بن صالح العثماوى بلادنا والتميز
يسخرون منه.

هذا ولعلي أتمكن في مقال آخر أن أتناول الأفكار التي
طُرحت حول الموروث الشعبي في الورقات الأخرى..

سائلاً المولى عز وجل أن يطهر قلوبنا، وأن يُصفي نفوسنا
من كل ضلال وانحراف، وأن يرزقنا وعياً كاملاً يضيء لنا
الطريق.



أطفال الحروب ... إلى أين؟!

١٤٠٤/٦/٦هـ

«الحرب» هذا الاسم الرهيب الذي يرمز إلى أبشع أسلوب يتعامل به البشر.. الحرب.. هذه «الغول» التي تلتهم كل شيء.. لا تفرق بين بريء ومذنب، ولا بين صالح وطالح، ولا بين كبير وصغير.. هذه الغول لا تزال تلتهم أمننا.. وراحتنا.. وطمانينتنا في عالمنا الإسلامي.. لا تزال تدوس رقابنا.. وتشتت شملنا.. وتلتهم أطفالنا الأبرياء.

وهنا مربط الفرس.. كما يقولون...

أطفالنا الأبرياء..!؟

نعم.. تلك البراعم التي تمضفها الأحداث مضافاً في فلسطين ولبنان.. وفي العراق وإيران.. وفي بلادنا المنكوبة في أفغانستان.

براعمنا ضحية الحروب.. يمارس العدوان في حقهم أشنع الجرائم، وما من سامع لنداءاتهم أو مجيب.

القتل أصبح وسيلة الكبار في هذا الزمن.. امتصاص الدماء وإهدار الحريات أصبح شعار الكبار في هذا الزمن..

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ترمل النساء وتشريد الأطفال أصبح أمراً عادياً في عرف
طغاة هذا الزمن...

أطفالنا الأبرياء..

رأيناهم في صبرا وشاتيلا جثثاً هامدة فبكينا.. ورأيناهم
في طرابلس عيوناً حائرة فبكينا.. ورأيناهم على ساحة الحرب
التائهة بين العراق وإيران ضحايا وأشلاء فبكينا.. بكينا
فأبكينا.. ثم ماذا بعد؟!

هل هنالك ما هو أبشع من طعن صدور الأطفال، وبقر
بطونهم بالسكاكين كما حدث في صبرا وشاتيلا...؟!

هل هناك ما هو أشنع من تمزيق جثة طفل بريء أمام
عيني والدته؟!

كل ذلك مؤلم وشنيع.

كل ذلك دليل على حيوانية الحضارة المادية، ووحشيتها...
كل ذلك دليل على ضياع العالم المتهم بالتعامل الحضاري..

كل ذلك..

وماذا أقول بعد..؟!

أي حضارة إنسانية تمارس هذه الأعمال الوحشية..؟ على

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

أي مبدأ تسيرو؟ ومن أي ينبوع تستقي..؟!

أطفالنا الأبرياء..

هذه الزهور الندية.. وهذه الوجوه البريئة.. وهذه

الابتسامات الصادقة.

أطفالنا الأبرياء..

هذه الأكباد التي تمشي على الأرض.. ماذا دها عالم

اليوم..؟ تهب عليهم عواصف الإرهاب، تدوسهم عربات

الدمار.. تشرب من دمائهم سكاكين الفدر.. يحصدهم

الرصاص.. كل ذلك يجري لهم والعالم ينظر إليهم بعيون

الحيرة والضياع...

أواه من جاهلية القرن العشرين.

أواه من جاهلية أمريكا وروسيا وإسرائيل..

أواه من جاهلية المسلمين السائرين في ركاب المستعمرين.

يالها من جاهلية هابطة، أفضل منها تلك الجاهلية التي

سبقت الإسلام، ولم لا؟ والشاعر يقول:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لا تمتعت عيني عن الغمض

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

نعم لو هبَّت الريح..

أما جاهلية هذا القرن فإن العواصف تهب على أطفالنا..
والرصاص يحصدهم، ومع هذا فإن نومها عميق، وغفوتها بلا
حدود..

أطفال الحروب..

وأطفال المسلمين على وجه الخصوص.. ذلك لأن الحروب
قد غرست في أرضهم غرساً، وجاء طلعتها المشؤوم كأنه رؤوس
الشياطين!.

هؤلاء الأطفال.. يمارس معهم الأعداء أسلوباً آخر لا يقل
شناعة عن أسلوب القتل.. والتمثيل بالجثث وتمزيق الأشلاء..
ولكنه أسلوب يمتاز عن تلك الأساليب.. بالصمت.

نعم.. بالصمت الرهيب.. إنه كالطاعون يخفى عن الإنسان
حين يستشري في جسده على حد قول الشاعر اليمني
المعاصر عبد الله البردوني:

غزاة اليوم كالطاعون يخفى حين يستشري

لا تسألوني عن هذا الأسلوب..

ولكن.. اسألوا أطفال لبنان.. وأطفال أفغانستان.. اسألوا
أطفال الهند من المسلمين.. وأطفال جنوب الفلبين.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

بل.. فاسألوا عن ذلك الأسلوب نصارى الغرب، اسألوا الكنائس والأديرة.. اسألوا الجامعات والمدارس.. اسألوا الملاجئ والجمعيات « الخيرية»..!! اسألوا جمعية الصليب الأحمر.. اسألوا الرهبان والقساوسة، اسألوا كل هؤلاء عن الأسلوب الجديد الذي يستخدم مع أطفال الحروب من المسلمين ونحن عنه غافلون.

اسألوا ذلك الطفل اللبناني «مصطفى حاوي» بعينيه الصغيرتين الباحثتين عن مكان آمن بعد أن طحنت الحرب بيته وقتلت أباه وأمه.

اسألوا «مصطفى حاوي» الطفل الذي تبنته الحكومة الإيطالية «الحنون» - وأين الحنان..!؟ - وجمعه بلاعب كرة القدم الإيطالي «زيكو» لأن مصطفى كان معجباً به.. ثم .. أدخلته في إحدى مدارسها التبشيرية.

لماذا أقول لكم اسألوا مصطفى..!؟.

لأنه كان يمثل حلقةً في سلسلة، وعوداً في حزمة.

هكذا يعمل الأعداء.. بعد أن شغلونا بقتل بعضنا.. بعد أن مسخوا شخصياتنا الإسلامية المتميزة.. عمدوا إلى أساس مستقبلنا.. إلى السواعد التي ننتظر منها أن تعيد أمجادنا،

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

عمدوا بأساليبهم المختلفة، وهم بذلك يستطيعون أن يصوغوا
لأمتنا طريقة حياتها في المرحلة القادمة.

يا إلهي!. ما بالنا نغفو.. وإذا صحونا.. فبنصف عين
نصحو..!!٩.

يا إلهي!. ما بالنا ننسى.. وإذا ذكرنا.. فبنصف قلب
نذكر.. والنصف كثير..!!٩.

أطفال أفغانستان.. يواجهون ذلك الأسلوب.. وهم لاجئون
إلى الباكستان، لاجئون هرباً من قسوة الشيوعية الحمراء
الحاقدة.. لاجئون هرباً من الرصاص الطائش والمدافع
المجنونة.

ومع ذلك فجمعيات التبشير ممثلة في الهيئات الصحية
المختلفة تحاول أن تلتهم.. تحاول أن تبني في كياناتهم أساساً
للأفكار الغربية والمبادئ النصرانية.. وإنهم ليحققون نجاحاً
بعد نجاح.. بسبب تلك الحالة السيئة التي يعيشها اللاجئون
من جوع وعطش وعري وخوف.

أطفالكم أيها المسلمون..

أطفالكم.. قبل فوات الأوان..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

أطفالكم قبل أن تخسروا خسارتين؛ خسارة الأموال والأرواح من جانب ثم خسارة الجيل الذي يمكن - لو انتشلناه من براثن التبشير - أن يعيد لأمتنا مجدها وكيانها..

أطفالكم أيها المسلمون..

نشئوهم على مبادئ الخير المستمدة من دينكم الإسلامي العظيم.. قبل أن تعضوا على أصابع الندم.. وماذا ينفع الندم بعد فوات الأوان؟!

لا تنظروا إلى ما في يد الأعداء.. فإنكم إن شغلتم أنفسكم بتتبع ما لديهم خسرتم ما عندكم ولم تجدوا مما أردتم شيئاً.. فينطبق عليكم قول الشاعر العربي القديم..

وكنت كالعير غداً يبتغي قرناً فلم يرجع بأذنين!

أو قول الآخر:

ومازلت أقطع عرض الفلاة من المشرقين إلى المغربين
وأطوي وأنشر ثوب الهموم إلى أن رجعت بخفي حنين!

أطفالكم أيها المسلمون...

تذكروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

عبد الرحمن بن صالح العثماوى بلادنا والتميز

عندكم الإمكانيات المادية... والطاقات البشرية... والبلاد
الواسعة... فلماذا لا تحتضنون أطفال الحروب من أبناءكم
المنكوبين على أسس تربوية سليمة.. وبنية خالصة صادقة..؟

وأخيراً أهديكم قول الشاعر العربي:

رأيتُ أخا الدنيا وإن بات آمناً

على سَفَر يسرى به وهو لا يدري

اللهم إنى قد بلغت فاشهد..



وراء كل عظيم امرأة

١٤٠٦/١/٢٥ هـ.

تضاءل الليل في خيالها، حتى غدا كأنه نقطة خالٍ سوداء
في وجه أحلامها العراض، وتضخمت النجوم في عينيها حتى
غدت كأنها بحاراً من الضياء لا شواطئ لها.. كانت تحسُّ
بأنها ذرة تائهة في هذا الكون الفسيح... ولكنها - في هذه
اللحظة - أصبحت تحسُّ بأن الكون ذرة تائهة في وجدانها
الكبير..

وقلبت الصفحة الأولى من كتاب كان بين يديها.. قلبتها
دون قصد، فإذا بعينيها تتسمران عند جملة في أول
الصفحة... «وراء كل عظيم امرأة».

وأخذت تُوغل بتفكيرها بين حروف هذه الجملة... وهجم
عليها سؤال دون سابق إنذار... يا إلهي أيمن أن أكون وراء
عظيم من العظماء؟ وجمد السؤال على شفثتها.
وجمدت نظراتها على أحرف تلك الجملة.

وهيمن الصمت عليها لحظة من الزمان... لم تلبث بعدها
أن أسلمت ذهنها لأسئلة كثيرة... يا ترى من ذلك العظيم الذي

سأدفع به إلى عالم المجد؟ أهو فارس الأحلام الذي أنتظر قدومه من وراء الأفق؟ أم أنه ذلك الطفل الجميل الذي رسمتُ له في ذهني ألفَ صورةٍ وصورة؟ وصممت قليلاً... كان صممتها بوابة على عالمٍ من التفكير لا حدود له.. لم تلبث بعده أن قالت - في يقين -: لا.. بل سأكون وراء عددٍ غير قليل من العظماء.. همتي الكبيرة.. نفسي التي تتوق إلى المجد.. ذهني الذي لا يكلُّ من التفكير.. صدق مشاعري.. دفء شوقي.. كل هذه الأمور ستكون من أعظم عوامل نجاحي في مهمتي..

وأطبَّق عليها الصمت مرّةً أخرى.. كانت صامتةً وفي أعماقها ضجيج.. حيرة.. وصراخ واضطراب.. معركة حامية بين رغباتها الجامحة وضميرها الوقور.. ومنافذ فكرها تُدخل إلى نفسها أفكاراً غريبةً من كلِّ حذبٍ وصوب.. ومسارب الذكرى تسوق إلى نفسها صوراً من ماضٍ قريب كانت تعيشه.. كانت تحمل فيه راية الخروج على كلِّ مألوفٍ في حياة أسرتها ولم تكن تتورّع عن رفع صوتها في وجه والدتها بكل صراحة وثقة.. مكانك أنت في المنزل.. أما أنا.. فإنَّ علمي وثقافتي واطلاعي تؤهلني لأنَّ أنطلق في خضمِّ الحياة.. لأثبت للرجال المتسلّطين أنني قادرة على سلوك الطريق الذي يسلكون.. بل..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

وقادرة على التفوق في كل مجالات الحياة التي يستأثرون بها..
كانت تصرخ في وجه أمها بحماسةٍ وعنف.. وأمها تستقبل
عنفها برقةٍ ولين.

إلى هذا المنعطف المؤلم من ماضيها قادها التفكير.. إنها
ماضٍ مشحون بمشاعر الثورة على كل شيء.. حتى على تلك
العباءة السوداء التي كانت ترى فيها ليلاً حالماً من الهروب
والتضعُّع عن إشراقة الحياة.. وكم كانت تشعر بالسعادة
عندما تلقي عباؤها عن كاهلها في قاعة الدراسة.. وإن تنسى
شيئاً فلن تنسى تلك الصفة القوية التي وجهها إليها أبوها،
عندما صرخت في وجهه بغضب: لماذا تجبرني على لبس هذا
الكفن الأسود.. بينما ترضى أن تلبس خادمتنا هذا الفستان
القصير؟

سؤال قويٌّ صارخ.. أحسَّ الأب بأنه كالطلقة الموجهة إلى
أعماق قلبه.. ولكنه لم يدع لابنته فرصة للتغلب عليه بهذا
المنطق، فوجه إليها صفعته القوية، وفي أعماقه إحساس كبير
بقيمة هذا السؤال الذي نطقت به ابنته، ولكنه أجاب عن
الأسئلة الصارخة التي هجمت عليه بقول أحسَّ بأن فيه
مخرجاً من شعوره بالهزيمة.. إنها كلمة حقٌ أريد بها باطل!

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ونظر إلى ابنته التي لم تزل يدها على مكان الصفحة من وجهها، وقال لها: معك حق من واجبي أن أجعل الخادمة تحتشم لعلك تريدين ذلك؟..

كلُّ ما تذكره الآن من إحساسها بعد تلك الصفحة وهذه الكلمات من أبيها.. أنها سكتت.. ولكنه سكوت البركان الذي ينتظر لحظة الانفجار.. وهدأت بعدها.. وقلَّ حديثها وكثر انزواؤها ووحدتها.. حيث ظلَّت تتحاشى نظرات أبيها القاسية.. وهنا تقف عجلة أفكارها.. وتقلب لها من ماضيها صفحةً أخرى.. حيث تذكرت ذلك اليوم الذي أحدث في حياتها تحولاً خطيراً.. لم يكن يخطر لها على بال.

استدعت الخادمة.. وأخذت تسألها.. والخادمة تجيب.. حتى سألتها: لماذا تعملين خادمة مع أنك تقرئين وتكتبين؟.. أثار السؤال شجون الخادمة.. فاهتزت نفسها وربت حتى أصبحت وكأنها امرأة أخرى لا تمتُّ إلى الخادمة بصلة.. وقالت: لأنَّ أعمل خادمة هنا في هذا البلد الآمن المطمئن خيرٌ لي من المتاجرة بنفسي في مجتمعات لا تعرف من حقوق المرأة إلا أنها جسدٌ للذة.. ووسيلة للدعاية والإعلان.. لقد هربت من لهيب النفوس المريضة.. وآثرتُ أن أعمل خادمة هنا.. واسترسلت الخادمة في حديث صادقٍ ممزوجٍ بالدموع..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

والفتاة تستمع.. ومسارب قلبها تتفتح لحديث الخادمة الشائق.. كما تتفتح الأزهار لاستقبال ضوء الفجر كل يوم جديد.. كانت دموع الفتاة تتوارى خلف نظرات حائرة إلى تلك الخادمة التي أخذت تجري الكلمات على لسانها في انسيابٍ عجيب.. وكأن الله قد حباها لساناً آخر غير الذي كانت تتطق به.

هكذا مرَّ شريط الذكريات أمام عينيها، شريط سريع ولكنه مليءٌ بصورٍ متناقضة، أعادت لها جزءاً من حياة صاخبة.. ولم تلبث أن عاودها الصمت مرةً أخرى، ولعلَّ ذكرياتها كانت ستنهال عليها من جديد، لولا أنها سمعت صوت أمها تنادىها للخروج إلى بيت عمها.. وتحسست الفتاة عباؤها السوداء وجللت بها جسمها في ثقةٍ ويقين، وقامت إلى أمها وهي تقول: من خلف هذه العباءة.. ومن بين جدران هذا المنزل.. سأقدم لمجتمعي سواعد قويةً للبناء.. ثم نظرت إلى الكتاب الذي وقع - عند نهوضها - على الأرض.. وقلبت صفحته الأولى فوقعت عيناها على أول جملةٍ فيها.. ثم أطبقت الكتاب وهي ترددُّ.. نعم.. وراء كل عظيم امرأة.. وراء كل عظيم امرأة..



شهداء الأمة ... واستهلاك الكلمة

لاتزال كلمة الشهادة توزع توزيعاً «فوضوياً» في هذا الزمن.. فلان ينتحر فيقال بأنه شهيد.. بل يوضع في مقدمة الشهداء.. لأنه قد ضحى بنفسه، وأهدر دمه من أجل قضية آمن بها.. علماً بأن الانتحار هزيمة.. وتفريط في النفس لا يرضى به الله.

فلانة.. تموت فتسمى شهيدة الفن.. وتغدو كلمة «الشهادة» وساماً يعلقه من شاء على من شاء..

نحن هنا لا ندعي أننا قادرون على تحديد مستحقي الشهادة وتعيينهم بين من يموت من الناس، فذلك أمرٌ ليس في أيدينا ولا في يد أحدٍ من البشر، ولكننا نود الإشارة إلى أن كلمة «الشهادة» كلمة عظيمة لها مدلولها العظيم، ولها حدودها التي أشار إليها القرآن الكريم وبينها رسول الله ﷺ.

ثم إن الشهادة بهذا المعنى السامي لا تتحقق إلا لمن آمن بالله تعالى حق الإيمان، وتمثل ذلك الإيمان في شؤون حياته كلها.. ومن هذا المنطلق فإن استهلاك هذه الكلمة جديرٌ بوقفة متأملة منا.. لا لأننا نرفض استخدامها، ولكن لأنها تحتاج إلى وعي كامل بمدلولها الإسلامي الكبير.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

الشهداء... من أعلى الناس مراتب يوم القيامة، هم أحياء
عند ربهم يُرزقون ولكن من هم الشهداء ؟..

في عهد الرسول ﷺ سقط بعض الرجال في ميادين
القتال فهناهم الناس بالشهادة، ولكن رسول الله ﷺ نبه الناس
إلى أن الأمر أبعد مرمى مما يتصورون.. فربما ظن الناس أن
فلاناً قد مات شهيداً، بينما هو أبعد ما يكون عن الشهادة
بمعناها الإسلامي.. في وادي القرى سقط خادمٌ لرسول الله
ﷺ.. قتيلاً فقال الناس هنيئاً له الشهادة.. فقال ﷺ.. إن
الشملة التي غلّها من غنائم خيبر لتشتعل عليه ناراً.. وكانت
الشملة لا تساوى قيمتها أكثر من ثلاثة دراهم. لا يعني ذلك
أننا نسعى إلى تضيق واسع أو تحطيم أملٍ في النفوس..
ولكننا نريد أن نحفظ لبعض المصطلحات الإسلامية ماء
وجهها.. وأن نستخدم الكلمات في أماكنها.. والله أعلم بما
تضمّر النفوس.



في ظل اليقين ... تتبدد المخاوف

١٤٠٦/١/٢٥ هـ

على رسلك أيها الليل...

هذا الظلام الذي تلفُّ به الكون.. هذا السكون الذي
تتشره على وديان قرينتنا وجبالها.. هذه الرهبة التي تجلبها لنا
بعد أن تتجح في طرد النهار وطمس معالمه.. هذا السهر الذي
يُضنيننا فيك.. هذا الأرق الذي يقف حاجزاً بين أجفاننا وبين
لذّة النعاس.. هذه الأفكار التي تتراكم.. هذه الأوهام التي
تتداعى على النفوس السهارى كما تداعى الأكلة على
قصعتها.. هذه الأشباح التي تستمد من ظلامك وسكونك
وحشيتها.

كلُّ هذه الجوانب بما فيها من صورةٍ معتمةٍ لا تستطيع أن
تتخلَّل أو تتسلَّل إلى أعماقِ قلبٍ يستقرُّ فيه اليقين.

على رسلك أيها الليل.

اليقين شمعة تضيء جوانب النفس.. ولا تبالي بجبال
الظلام التي تلقيها أنت على صدر هذا الكون الفسيح.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

اليقين - أيها الليل - روضة يانعة الثمار، نديّة طرية، لا
يُخفي جمالها ظلامك.. ولا يستر روعتها ثوبك الأسود الطويل
الفضفاض...

على رسلك أيها الليل..

إنّ ظلامك وسكونك ورهبتك والأرق المعشّش بين أهدابك،
كل هذه الأشياء لا تستطيع أن تحجب عن عينيّ وجه القمر..
ولا ضياء النجوم.. ذلك لأن اليقين الذي يستمد منه القلب
قوّته وصبره وثباته كفيلاً بأن يفتح للعين نافذةً للنور من خلال
جدار ظلامك.. تطلُّ على عالم الأمل والحبّ والوفاء..

بل إنك أحياناً تُسهم بدورٍ كبيرٍ في لحظات الصفاء التي
يعيشها القلب...

عضواً أيها الليل.. ربما كان هذا دون علمٍ منك.. ولكنّ
ذلك ما يحدث حقيقةً.. نعم.. كم في حياة البشر من لحظات
شقاء تتولّد عنها لحظات صفاء.. وكم في حياتهم من لحظات
صفاء تتولّد عنها لحظات شقاء.. هذه من تلك.. وتلك من هذه.

ألا ترى أنّ القمر عندما يكون في قمة نشوته باكتماله
يبدأ دبيب النقص في جسده المضيء؟ ثم ألا ترى أنّ القمر
- أيضاً - عندما يكون في حضيض شعوره بالضعف، عندما

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

يغدو كالعرجون القديم.. يبدأ دبب الاكتمال والنمو في جسده
المضيء؟

سبحان الله العظيم!. ما أعجب هذه الحياة وما أغربها..
بل ما أعجب حياة الإنسان فيها وما أغربها!.

على رسلك أيها الليل..

ألا ترى أنك بكل جبروتك وكبريائك تمنح هذا اليراع قوة
تسيل من ريشته مع كل حرف يكتبه.. بل إنك تمنحه عزماً
على الكتابة من حيث تشعر أو لا تشعر.

أنا لا أنكر أنك تنتصر أحياناً على ضعف الإنسان.. ولكنه
الانتصار الباهت الذي لا معنى له.. فما أظنك أيها الليل تفخر
بأنك قد نجحت في تعذيب إنسان حزين النفس كاسف البال،
إذ جلبت إليه هموماً إلى همومه؛ بظلامك الدامس وسكونك
الممض.. لا أظنك تفخر بهذا لأنه يمثل انتصارك على
الضعيف، وهذا - والله - شرُّ انتصار؛ إنَّ الهزيمة خير من هذا
الانتصار.

تماماً كما أن انتصار الإنسان على أخيه الإنسان في لحظة
ضعفٍ لا يعني إلا هزيمة المنتصر وإن بدا للناس أنه منتصر.

الانتصار الحقيقي هو ما يتحقق للقوي في مواجهة القوي، أو

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

ما يتحقق للصابر في مواجهة العنيد المكابر.

ألا ترى - أيها الليل - أن انتصار اليهود على العرب
والمسلمين في هذا العصر لا يشكّل في نظر الحقيقة انتصاراً.
أتدرى لماذا؟ لأن تلك الفئة الضالّة التي كتب الله عليها الذلّة
والمسكنة.. لا تتصر أبداً، ولكنها تستغل لحظات الضعف
والانهيار والخلاف والفرقة التي تمرُّ بها أمتنا.. ومن هنا فإنها
تتهزم وهي تتصر.. ذلك لأن الضعيف في لحظات ضعفه
يبحث عن عوامل قوته ليستعيدّها.. ليقوى بها.. ليواجه بها..
وعند ذلك يكون قوياً، وحين يصير قوياً تتلاشى أمامه قوى
الشرّ التي كانت تستغلُّ ضعفه.

عفواً - أيها الليل - فلربما شطح القلم بنا قليلاً في هذا
المنعطف.. ولكنها زوايا الكلام وجوانبه يفتح بعضها بعضاً..
ويتيح بعضها الفرصة لبعض.. إنَّ الكلمة.. تفتح مغاليق
الأخرى.. حتى يرى القلم نفسه أحياناً في محيطٍ من الكلمات
لا شاطئ له.

على رسلك أيها الليل..

فما أردت إرهابك ولا إزهاق روحك، ولو فعلت ذلك لما
ظلمتُ لأنك ترهقني أحياناً.. فيكون إرهابي لك من باب

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

التقاضي.. ومن ذلك فإنَّ موقفي منك الليلة موقف الحبِّ
والتقدير.. لأنك - كما ذكرت - تفتح أمامي أبواباً تسدُّها
أمامي ضوءاً النهار ومشاغله وتبعات السعى في مناكب
الدنيا .

أرأيت أيها الليل كيف اتسع الخرق على الراقع؟ وكيف
أخذت الحروف تتمطى.. والكلمات تتوالد بطريقة عجيبة..؟
هونٌ عليك فسأحدُّ من هذا التوالد في الكلمات.. على طريقة
«تحديد النسل» في المجتمعات البشرية؛ هذه البدعة الخبيثة
التي يدعو إليها إنسان هذا العصر المسكين خوفاً من
المجاعات.. ومن الانفجار السكاني.. إلى غير ذلك من الحجج
الواهية.. أتدري لماذا يحدث هذا؟

إنه ضعف اليقين.. ضعف الصلة بخالق هذا الكون
وبارئته.. الذي يخلق من عباده من يشاء.. ويكتب لكلِّ نفسٍ
رزقها قبل أن تُؤلِّد.. عفواً أيها الليل.. فهزائم إنسان هذا
العصر كثيرة.. وجوانب ضياعه وحسرتة متعددة.. وكلها ناتجة
عن ضعف «اليقين».. اليقين؟ نعم - والله - هذه الشمعة
المضيئة أبداً.. هذه المركبة التي ينجو بها الإنسان من جبروت
الطوفان.. وسطوة الأمواج.. نعم - أيها الليل - اليقين الذي
جعل ربيَّ بن عامر - رحمه الله - يقول لرسّتم قائد الفرس:

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

«جئنا لنخرجكم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.. ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.. ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

كلمات مُضيئات..

اليقين هو الذي أملاها.. ولسان ربي هو الذي نطقها..
ومن هنا كانت دهشة رستم دهشة كبيرة وهو يرى هذا الرجل
بشبابه المتواضعة يهزُّ عروش الفرس بهذه الكلمات.

ألم أقل لك - أيها الليل - بأن اليقين قادرٌ على أن يحطّم
كلَّ جواجز الحياة وأوهامها؟

لا أدري لماذا أشعر الآن بأنني في حاجة إلى العودة إلى
فقرة سبقت، ألا وهي موقف «اليهود» من أمتنا في هذا
العصر..!؟

ربما كان ذلك لأن «اليقين» يشكّل ما يشبه العمود الفقري
لهذه القضية الكبرى..

أتظن «الدولة الصهيونية» كانت ستصل إلى ما وصلت إليه
تجبراً واستكباراً لو أن أمتنا لم تتكّب طريق «اليقين»؟.

كلّاً والله... ما كان لدولةٍ نشأت في بلدٍ إسلامي عزيز أن

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

تسفي هذا الرماد في وجوهنا لو أننا سلكنا طريق اليقين...

وما أحسن قول القائل:

لستُ أشكو جور اللئيم، ولكنْ
كلّ ما أشتكيه ضعف الكريم

هذا جوهر القضية.

ومعرفة هذا الجوهر هي الخطوة الأولى إلى طريق النجاة.

على رسلك أيها الليل.

فإني أشعر بأجفانك تضعف.. وبقواك تخور.. وبوجهك

وقد صار لوحةً من الشحوب والوجوم.. لماذا يا ترى..؟!

لقد فهمت أيها الليل..

إنني أرى بوادر الفجر تلوح، ولست تستطيع برغم قوتك

وجبروتك أن تصمد أمامها.. رأيت.. إنه درس عمليّ لما

ذكرناه..

الفجر... هذا اليقين الذي لا يعرف الشك ولا الممارسة، هو

الذي يستطيع أن يبدد ظلامك الدّامس.

وعلى هذا نقيس حالة أمتنا الإسلامية في عصرنا هذا..

لو أنها أيقنت وآمنت بمقوماتها الأساسية يقيناً وإيماناً الفجر

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي
بنوره لتبدد عنها ليل « الصهيونية»، ولتمزق ستار الظلام
«القاتل» الذي يسيطر على أقطارها.. أعني ظلام التفرق
والخلاف والبعد عن منهج الله.

أيها الليل.. سبحان الله! أين كنت؟ لقد كنت ماثلاً أمامي
ظلاماً دامساً، وسكوناً مخيماً إلا من أزيز هذا القلم اللأهث؟
أين أنت أيها الليل؟..

وذهب سؤالي أدراج الرياح.. إلا أن ضياء الفجر كان جواباً
شافياً كافياً.

أواه.. متى يكون فجر اليقين في أمتنا الإسلامية جواباً
شافياً كافياً؟.
سيكون ذلك قريباً إن شاء الله.



هكذا يصنعون فماذا نصنع؟

١٤٠٦هـ

اللهم إنا نحمدك..

نقلُّ صفحات الصحف والمجلات التي تصدر في أنحاء العالم اليوم فنجد أخبار الرعب، وأنباء ظُلم الإنسان لأخيه الإنسان تطفئ على كلِّ الأخبار.

تفرح عندما تقرأ خبراً عن اكتشاف علمي.. أو طبي.. يخدم البشرية، ولكن فرحتك تتلاشى أمام حزنك العاصف من جراء ما تقرأ من نبأ غارة تُشنُّ في بلدٍ على الأبرياء.. أو من خبر انفجارٍ تزهق فيه نفوس ليس لها من الأمر شيء.. أو من ظلمٍ واضطهادٍ يمارسه الأعداء على الأقليات المسلمة في أكثر من بلدٍ من بلدان هذا العالم المشهور.

فترى نفسك بين فرحةٍ عابرةٍ وحزنٍ غامر.

اللهم إنا نحمدك..

نسمع الأنباء فنطرب لنبأ ونسعد به.. وننقبض لأنباءٍ ونشقى بها.. ثم يقال بعد ذلك.. إنَّ عصرنا عصر رقي وتقدم.. عصر حضارة لا مثيل لها..!! عصر حرية تجعل

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

الإنسان يفعل ما يشاء - وهذه هي مأساة عصرنا الكبرى..

وإذا أردنا أن نختصر على أنفسنا درب أحزانها لما ترى..
ورجعنا إلى جزءٍ من خارطة العالم.. «إلى العالم الإسلامي»
فإننا سنجد أنفسنا أمام قضية يعيشها عالمنا، وخبوطها
متصلة بقضايا العالم أجمع.. قتال دائر بين المنتمين إلى أرضٍ
واحدةٍ ولغةٍ واحدةٍ ومبدأٍ واحدٍ.. سهمٌ مسموم مفروز، في
خاصرة أمتنا في فلسطين.. مطرقةٌ ثقيلة تضرب المسلمين في
أفغانستان، ومنجلٌ يحصد آمال الأطفال.. وسعادة الرجال
وأمن النساء.. ثم تخرج من رحم هذه القضايا.. قضايا أصغر
ولكنها أخطر.. ما تفرزه الحروب من يتيمٍ وترميلٍ وتشريد..
ينبت لنا أشواكاً مؤذية في طريقنا.

نشأت «قضية الأطفال» البراعم التي تفقد أمنها وراحتها
في الحروب، والتي يستخدمها الأعداء سيفاً آخر لضرب الأمة
في مستقبلها.. الأطفال الذين يُؤخذون إلى مدارس التبشير
والمعاهد، بعد أن يفقدوا أهلهم في أتون الحرب.

الأطفال الذين يشكلون عقبةً أخرى تهون أمامها عقبات
الكبار، أطفال أفغانستان.. كان ولا يزال يُؤخذ منهم عددٌ كبير
لتربيتهم الكنائس في أوروبا.. فيكسبهم عدونا ونخسرهم.
ونحن صامتون.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

أطفال لبنان يباعون سرّاً على يد عصابةٍ يشرف عليها
أحد القساوسة، وعالمهم الإسلامي غافلاً عن ذلك..

وتكبر المأساة في لبنان على المسلمين خاصةً لأنّ أطفالهم
هم الذين يخضعون لتجارة الرقيق في عصر الحرية الزائفة.
وقضية بيع أطفال المسلمين في لبنان أصبحت معروفة
مشهورة بعد أن كشفها الله على يد أمّ فقدت ابنها، فبحثت
عنه وألحّت في البحث، حتى علمت وعلم معها العالم أجمع أنّ
عصابةً من تجار رقيق القرن العشرين قد اختطفوه ليبيعوه
كما باعوا غيره في أوروبا.. بل إنّ الأمر قد تجاوز ذلك إلى حدّ
جعل بعض الأسر تضطر إلى بيع أطفالها خوفاً عليهم من
الموت، وإلى أين يذهبون؟! إلى مدارس التبشير وغيرها من
المؤسسات التي تقوم بغسيل جيد للمخ البشري، حتى يغدو
الإنسان آلةً في أيدي أصحابها يصرفونه كيف يشاؤون،
ويوجهونه أنّى أرادوا.

والدول التي تحرص على الإفادة من مصائب الآخرين
تحصل على نتائج طيبة في مجال التنمية الاقتصادية فيها..
ولكنها تخسر خسارةً كبيرة في مجال الإنسانية والاستقرار
الاجتماعي والبناء الأسري.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

في بلجيكا نشأ جيلٌ من أطفال فيتنام الذين ذهبوا ضحية الحرب الطاحنة التي أهدرت فيها كرامة «أمريكا»، هذا الجيل الفيتنامي «الرقيق» هو الذي قامت على أكتافه المصانع والحقول في بلجيكا.. لكنه جيل ضائع إنسانياً واجتماعياً.. ولا يعرف له أسرةٌ تحقق له ما يتوق إليه من إشباع غريزة الانتماء الأسري التي فُطر عليها الإنسان.. وفي غير بلجيكا نشأت أجيالٌ على هذه الطريقة التي ينتجها عصر الحضارة والعلم والحرية.. هذه قضية.

أما القضية الأخرى التي تتعلق بنا - نحن المسلمين - فهي أشدُّ سوءاً، وأقسى أثراً ألا وهي هذا الإهمال المزري بمثل هذه الأمور التي تتعرض لها أمتنا... الهزيمة عند الأمة اليقظة تجر إلى النصر، وإلى إعداد النفس للمواجهة.. وهذا ما كان جديراً بأن تفعله أمتنا.. أما أن تستخذي وتراجع.. وتهيئ نفسك لضربات الأعداء في سكون وسكوت.. فهذا بلاءٌ لا يوازيه بلاء ذهب أجزاء غالية من أرضنا الإسلامية فهل معنى ذلك أن نغض الطرف حتى تذهب أرضنا كلها؟ وهل معنى ذلك أن نغض الطرف عن المشكلات التي تنبثق عن مشكلتنا الكبرى؟ أطفال المسلمين.. الذين يولدون وينشؤون في ظلِّ الحروب الطاحنة وفي مخيمات اللاجئين.. ويفتحون أعينهم على وسائل الدمار، وقد جعلت من بيوتهم أطلالاً متهدمّة،

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ينادوننا بعيونٍ مكتظة بالدموع « أما من يد حانية تتقذنا؟! »
ويتلاشى نداؤهم ويضيع!..

إن المشكلة تتخذ حجماً كبيراً له خطورته، وله ما وراءه من
أحداثٍ مؤلمةٍ ربما تأتي على أمتنا وتجعل منها مرتعاً لكل
ناعق.

خبر وأيّ خبر:

في مدينة زيورخ - كونا: احتفل أربعة عشر طفلاً
فلسطينياً يتيماً بمرور سنة على وجودهم في تلك المدينة
السويسرية بعيداً عن المذابح والاضطهاد.

ويعيش هؤلاء الأطفال الفلسطينيون في سويسرا بعد أن
تم اختيارهم ليصبحوا من المقيمين في قرية «بستالوزي»
للأطفال، وهي معهد « - خيري -! » أقيم قبل ثلاثين سنة
للعناية بأطفالٍ فقدوا الأم والأب من أنحاء العالم، ويعيش
الأطفال الفلسطينيون سوياً في منزل واحد بالقرية مع أربعة
من الآباء والأمهات الرمزيين.

والفكرة الأساسية من إقامة القرية هي توفير جوّ الأمان
الأسري لأطفالٍ من مختلف الجنسيات، أما مساكن القرية الأخرى
فيقيم فيها أطفال لبنانيون وكمبوديون وأثيوبيون وفيتناميون.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

وفي الوقت الذي يحاول فيه مسؤولو القرية إيجاد الظروف التي تسمح للأطفال بالاندماج في الحياة السويسرية، فإنهم يهتمون بضمان عدم نسيان هؤلاء الأطفال لقوميتهم وهويتهم الثقافية، ولذلك فإن البيت الفلسطيني يحمل اسم القدس وسيصبح بإمكان الأطفال الفلسطينيين الأربعة عشر الذين تتراوح أعمارهم بين ثمان وأربعة عشر سنة حمل الجنسية السويسرية لدى بلوغهم سن الرشد، وقد تم اختيار الأطفال الفلسطينيين الأربعة عشر من مخيمات اللاجئين في جنوب لبنان .

هذا هو الخبر كما تناقلته بعض وكالات الأنباء، ولعل في كل كلمة من كلماته ما يُوحى بحقيقة الوضع في تلك الملاجئ والمدارس التي تسعى لفعل الخير حسب ما يزعم أصحابها.. ويظهر للقارئ تناقض واضح في الخبر السابق؛ فكيف يحرص القائمون على تلك القرية على أن يحتفظ الأطفال بقوميتهم في الوقت الذي تهدف تلك القرية الخيرية في سويسرا إلى دمجهم في المجتمع السويسري؟

وليس هذا هو المهم بالنسبة إلينا.. ولكن المهم هو هذا الإهمال المشاهد من دول العالم الإسلامي في هذا الجانب، وهذا التفريط منا في هؤلاء الأطفال الذين بإمكانهم أن يكونوا قوة عاملة في مجالات متعددة من مجالات التنمية في عالمنا

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

الإسلامي، لو أننا أقمنا لهم جمعيات ومدارس خيرية في بلادنا الإسلامية الواسعة.

ولا أزال أذكر ذلك الطفل اللبناني «مصطفى» الذي نشرت له صورة في بعض الصحف قبل حوالي ثلاث سنوات مع أحد اللاعبين الإيطاليين المشهورين - وجاء في التعليق على الصورة ما يلي... « مصطفى طفلٌ لبناني فقد أسرته وأهله في لبنان فاحتضنته جمعية خيرية إيطالية وقد حققت له إحدى أمنياته وهي أن يلتقي اللاعب الإيطالي «.....» وهذه الصورة تجمع بينهما وعلى ثغر الطفل ابتسامة الفرح - وسوف يتلقى مصطفى تعليمه في إحدى المدارس التبشيرية في إيطاليا».

إنها مأساة كبيرة، ومحنة عظيمة تمر بها الأمة الإسلامية في شتّى ميادين الحياة.. والسبب واضح لكلّ ذي عقل وبصيرة.. ألا وهو البعد عن المنهج الإسلامي.. مما أحدث في صفوف الأمة خلافاً وانشقاقاً بسبب اختلاف الميول والاتجاهات والأهداف.

وقفه إنسانية

أَدْنَيْتُ جَلْبَابِي عَلَى وَجْهِ،
وَأَلْبَسْتُ الْخَطَا ثَوْبَ الْحَذَرِّ..

ودنوتُ أغرسُ في نواحي الكوخ عيني..

ماذا رأيتُ؟

رأيتُ شيئاً كالخيال..

طفلاً يمصُّ أصابعه،

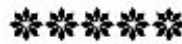
وعلى يمين الطفل «رَكْوَه»

والطفل يُوغل في البكاء،

الطفل طار إلى السماء..

ورجعتُ خاسرةً أسيرُ إلى الورا..

والطفلُ طار إلى السماء.



من الباحة إلى فلسطين وأفغانستان

١٤٠٩/٢/١٠ هـ

لم تستطع جبال الباحة الشامخة الخضراء، ولا وديانها الخصبية، ولا نسيمها العليل، ولا لوزها وزيتونها وعنبها، ولا ريحانها وشيحها وكاديها، ولا ذكريات الطفولة الحلوة في مسقط رأسي « قرية عراء »، كل ذلك لم يستطع أن يصرف فكري عن التفكير في قضايا أمتي الإسلامية، وأن يصرف قلبي عن الإحساس بجراح أمتي على امتداد الوطن الإسلامي كله، وأنى له أن يصرفني، وأنا أوّمن حق الإيمان أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وكيف لجبال الباحة أن تحجب عني رؤية العالم من حولي، وقد هيأت لي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة أن أجوب الدنيا عرضاً وطولاً وأنا جالس في فناء منزلي المتواضع الذي تحتضنه تلك المزرعة الصغيرة في بني ظبيان.

كنت في لحظة من لحظات التفكير ألاحق بخيالي صور الماضي في مزرعتنا «الشعب»، فأرى جدي - رحمه الله - يحرث الأرض ويزرع، وأراني معه طفلاً يتفصّد جبيني عرقاً وأنا أعمل.. أصرف الماء .. وأنقي الأحواض من الحصى

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

والشوائب.. وأشعر بنشوة عندما يهب النسيم البارد، فيجدد النشاط، خيالي يشاهد تلك الصور، وعياني تتابعان التلفاز، فتريان العالم كله.. خبرٌ يجيء من أمريكا عن الانتخابات القادمة، وخبر من روسيا.. عن خطط المستقبل لحكومة «الكرملين»، ومن أفغانستان وفلسطين أخبار دماءٍ ودمار، ومن العراق أخبار عن انفراج أزمة حرب الخليج.. ومن طهران خبر عن قبول الصلح.. ومن باكستان خبر عن اغتيال ضياء الحق.. ومن لبنان متابعة بالصورة لقضية انتخاب الرئيس الجديد.. ومن السودان أخبار عن الفيضانات والهدم والغرق.. ويتوج ذلك كله خبر هجوم الجراد.

يارب عونك.. أين أنا الآن.. هل أنا ذلك الطفل السعيد الذي يعمل مع جده في المزرعة، وفي عينيه أمل مشرق، وفي قلبه طموح كبير؟ أم أنني هذا الرجل الذي تُبحرُ به مركبة العمر من شاطئ الثلاثين لتخوض به السنين القادمة وفي عينيه نظرة طويلة تمتد إلى المستقبل البعيد، وفي قلبه لوعةٌ وأسىٌ لما يراه من أهم أحداث هذا العالم الكئيب.

يا إلهي... كم بين هاتين الصورتين؟ صورة الطفل الراكض في دروب السعادة وصورة الرجل المثقل بالهموم؟ عشرون عاماً... نعم سنوات ليست كثيرة في مقياس الزمن، ولكنها

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

تحمل من متغيرات الحياة.. وظواهر التبدُّل والتطور ما يجعلها
كالقرون طولاً وامتداداً.

ذلك الطفل لم يكن يعرف التلفاز في قريته، ولا يقرأ
صحف العالم، ولا يتابع كل ساعة ما يجري في الدنيا
الفسيحة.. كان يسمع المذياع أحياناً ولا يطيل الاستماع إليه..
وكان يضحك ملء فمه يصطاد العصافير ويعرف أشكالها
وألوانها وأصنافها، وكان يرى قريته الدنيا والدنيا قريته،
يستأنس بأهله.. ويسعد برفقاء طفولته.. ولم يكن يستوعب
كل ما كان يحدثه به جده عن فلسطين والقدس، واليهود،
وتفريق المسلمين... يرى الدموع تترقرق في عيني جده عندما
يحدثه عن ضحايا الاحتلال الصهيوني في فلسطين فيحزن،
ولكنه حزنٌ سريع يمر بقلبه دون أن يثبت فيه.

كم بين هذه الصورة وصورة رجل الثلاثين المثقل بالهموم؟
هذا الذي يرى اليوم كل شيء، يرى ضحايا الاحتلال الذين كان
يسمع عنهم وهو صغير يراهم يضربون أمامه... تُدَقُّ
رؤوسهم.. تُكسَّر عظامهم.. يُداسون بالأرجل كما يداس سقط
المتاع.. يرى فلسطين.. قدسها وخليتها وحيفاها، يرى لبنان؛
جنوبها وشمالها وبيروتها.. يرى كل ذلك بعينه ويسمع صراخ
الأيام.. وبكاء الثكالي.. وأنين الجرحى.. واستغاثات
المستغيثين.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

يا إلهي، يا مجيب دعاء المستغيثين.. ماذا ترى العين،
وماذا تسمع الأذن؟! هذه فاطمة.. امرأة فلسطينية تحمل
رضيعها.. تضمه إلى صدرها.. يحتلُّ وجهها الغائم مساحة
الشاشة الصغيرة أمام أعيننا وهي تصيح ونحن نسمع..
أغيثونا.. أنقذونا! ثم تشير إلى رضيعها وهي تقول: أطعمونا
حتى أربي لكم هذا الصغير، ليكون فارساً من فرسان الأمة في
المستقبل القريب.

يا رب عونك.. إني أرى فاطمة، أسمع صوتها.. أشاهد
دموعها تتدفق «شاللاً» على خدِّها.. ويعتصر قلبي الألم..
وأبكي.. ثم يلطمني السؤال: ماذا ستصنع؟ هل ينقذ فاطمة
بكاؤك؟ هل ينفعها انفعالك؟ ويزداد السؤال حدةً واحترقاً:
ماذا أصابكم؟! المعتصم لم ير تلك التي استغاثت.. ولم يسمع
صوتها، ولكنه سمع الخبر وعرف القصة فكان منه ما كان..
وأنتم ترون وتسمعون فلماذا لا تتحركون؟

ويحك يا رجل الثلاثين المثقل بالهموم.. هذه الشاشة ذاتها
تتقل إليك صوراً دامية من أفغانستان، ها أنت ترى القتلى
وترى المجاهدين يكبرون ويهللون ينادون ببدء الإيمان كل قلب
صادق اليقين.. ها هي طائرات العدو الفاشم تملأ سماءهم
صخباً وضجيجاً، وها هي قنابل العدو ومدافعه تشعل نار

عبد الرحمن بن صالح العثماوى بلادنا والتميز

الموت لهم وهم صامدون، ترى كل ذلك.. وترى هذا المجاهد يسير وليس عليه إلا الأثواب البالية الممزقة.. وليس له حذاء تحمي قدميه من شوك الطريق وحصاها.. وترى آلاف اللاجئين تحضنهم باكستان.. يكاد يسحقهم الفقر والجوع والمرض.. كل ذلك تراه وتسمعه يا رجل الثلاثين المثقل بالهموم.. فماذا ستصنع؟ لا تقلق.. أنت في الباحة في هذا المصيف الجميل من مصايف بلادك الغالية - المملكة العربية السعودية -، ولكن في الوقت ذاته.. في فلسطين، في أفغانستان.. في العراق وإيران.. هذا قدرك يا رجل الثلاثين.

يا إلهي .. عشرون عاماً بين الصورتين.. صورة هذا الرجل وذلك الطفل، ولكنها أعوام مثقلة بالهموم.

عندما بلغ بي الألم منتهاه.. لجأت إلى كتاب الله.. وأسعدتني تلك الطمأنينة التي شاعت في نفسي وأنا أتصل بخالق الكون.. وهدأ قلبي قليلاً.. ثم تناولت عدداً من مجلة الجهاد.. وتصفحتها ويا لروعة ما رأيت. فهذا شهيد يكتب رسالة إلى أهله قبل استشهاده جاء فيها:

«لا تحزنوا عليّ أنا مقبل على عملية كبيرة، فإذا اختارني الله لجواره، فاصبروا ولا تضيعوا الأجر بالجزع، نحن مقبلون على عملية العاصمة «كابل»، وما أدراكم ما «كابل»؟! آخر معقل

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشماوي

من معاقل النظام الشيوعي الغاشم في أفغانستان.. الأوضاع الداخلية في المدينة تشير إلى أن الرعب قد استولى على نفوس الظالمين.. كثر في المدينة السلب والنهب والسراقات التي يرتكبها الجنود السوفييات، وكثير من أعضاء الحكومة الشيوعية يهربون الأموال إلى خارج البلاد.. النصر قريب - إن شاء الله - وموعدنا هناك، عند الذي لا تخفى عليه خافية..

يا لها من رسالة رائعة...

وأقول للقارئ الكريم.. إن موقف العدو الغاشم في أفغانستان أصبح مهزوزاً، فلا تقف متفرجاً، شارك بمالك ودعائك.. وما النصر إلا من عند الله.

وأخيراً.. من الباحة إلى فلسطين، وأفغانستان.

جسرٌ من اليقين.. جسرٌ من الحب والوفاء.



على خشبة المسرح

١٤٠٩/١/٢٥ هـ

كانت المسرحية محكمة.. أدوارها موزعة بإتقان عجيب.. الممثلون أبدعوا في أداء الأدوار.. شيء واحد لم يتغير على خشبة المسرح ألا وهو الأضواء.. كانت خافتة لا تسمح لنا برؤية الممثلين.. ولا بمعرفة سحنات وجوههم.. كانوا يتحركون على المسرح كالأشباح.. أما بطل المسرحية فكان أخفى على أبصارنا من نملة سوداء، على.. صخرة سوداء، في ليلة ليلاء، ولكن المسرحية بالرغم من كل ذلك كانت شديدة الإحكام، لا خلل في أدائها، ولا نقص في جوانبها الفنية.. عفواً.. فهناك شيء آخر لم يتغير في المسرحية ألا وهو الضحكة... شبحها كان ثابتاً نتابعه على المسرح وهو يتلقى الضربات تلو الضربات.. ويركل بالأرجل ركلاً.. ومن أعجب ما رأينا أن هذه الضحكة كانت تضحك.. تضحك وهي تُضرب وتُركل!، وجمهور النظارة يضحكون معها ضحكاً فيه استغراب وتعجب، وفيه سخرية واستهزاء..

المسرحية كانت طويلة الفصول.. ولذلك فقد أشرف على إخراجها مخرجان عظيمان.. أحدهما من غرب الأرض..

والثاني من شرقها.. ومن عجائب أمور هذه المسرحية أن الإخراج كان فيها متناسقاً شديداً التناسق، لا يظهر فيه اختلاف ولا تنافر.. وكان هذا عجيباً؛ لأن الذي نعرفه نحن النظارة أن المُخْرَجِينَ بعيدان كل البعد عن التوافق في الأفكار، فهما مختلفان أشدَّ الاختلاف في مشاربهما الفنية؛ أحدهما ينتمي إلى السريالية الفوضوية، والآخر إلى الواقعية الوصفية، ومع ذلك فقد أخرجنا هذه المسرحية بتوافق عجيب.

والمسرحية عالمية النزعة لا تختص بشعبٍ دون شعب، ولا بمجتمع دون مجتمع، كما أنها متحررة من سيطرة المدارس المسرحية الشائعة فهي تستخدم الحوار ولا تستخدمه، وهي جامدة ومتحركة في آن واحد، وهناك شيء آخر عجيب في هذه المسرحية ألا وهو بقاء ستائر المسرح فيها مسدلة، فالنظارة يلمحون شخوصها أو - على الأصح - أشباحها من وراء الستار، مع خفوت أضواء المسرح، وأعجب من ذلك أن الحضور أدركوا آخر الأمر أن للمسرحية بطلين وليس بطلاً واحداً، ويزيد العجب عندما يدرك الحضور أن المخرجين هما بطلا هذه المسرحية.. كما أن الحضور متاح لكل الناس مجاناً، فليس هناك تذاكر للدخول، ومن أعاجيب هذه المسرحية طول

عبد الرحمن بن صالح العشاوي ————— بلادنا والتميز

مدة عرضها، فقد بدأ العرض منذ عشرات الأعوام وما يزال مستمراً، ولا يزال الإخراج محكماً، وما تزال الفصول تعرض بانتظام.

هل أصف لك فصلاً من فصول هذه المسرحية الكبيرة؟
قدر لي أن أنظر إليه من وراء الستار على أضواء المسرح الخافتة؟

هذا الفصل جرت أحداثه في زاوية من زوايا المسرح، ومن ميزات هذه المسرحية أن إجراء فصولها ينتقل من زاوية إلى أخرى.. اسم هذه الزاوية التي أجري فيها هذا الفصل من فصول المسرحية «جنيف»، نعم جنيف.. زاوية كبيرة اختارها المخرجان بمهارة، ووزَّعا الأدوار فيها بمهارة.. ونفذت الأدوار بمهارة.

عندما أشعلت الأضواء الخافتة جداً وقعت على أشلاء ممزقة ودماء تسيل، وكانت الحرب تدور، وقد برزت في جانب من جوانب المكان لوحة مكتوب عليها (أفغانستان).

وقد كان للمنظر أثر سيئ في نفوس الجمهور، ولكن المخرجين أبدعا في تهدئة نفوس المشاهدين بما رسماه من خطة غامضة لإنهاء الحرب.. حيث أظلم المسرح، وانبعث

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

صوت يقول لا تقلقوا، سوف ينسحب المعتدي وتنتهي الحرب..
وصفّق الحضور فرحاً وقد أرضاهم هذا التصريح، فصرفوا
أذهانهم عن الحرب.. ومضت فترة صمت تلاها ضجيج عنيف
وغبار كثيف.. ثم أعقبها فترة صمت أخرى.. انبعث من
خلالها صوت متهدّج.. يقول انفجرت طائرة المسكين.. ودهش
الحضور وأخذوا يتساءلون.. طائرة من؟ ثم حدّقوا بأنظارهم
عندما برزت لهم من جانب المسرح لوحة كبيرة عليها صورة
«ضياء الحق».. ثم تلا ذلك وجوم رهيب.. أعقبه إعلان من
المخرجين المبدعين بنهاية هذا المشهد من الفصل.. ووعدا
الحضور بإتمام المشاهد الأخرى في وقت لاحق، أليست
مسرحية عجيبة؟! ستقولون: بلى.. وربما تكون أعجب من
خلال مشاهدنا القادمة، فسبحان الله!



لوحتان ... في رمضان

١٤٠٦/٨/٢١هـ

كلّما أحسستُ بخطوات شهر رمضان المبارك تقترب منا
رأيتُ ذهني يعرض أمامي لوحتين.

إحداهما تسوق إلى قلبي سروراً عظيماً، وتبعث في نفسي
أملاً كبيراً، وتجعلني أطيل النظر فيما حوت من روائع الصور،
وكأنني أستمدُّ من محتوياتها سعادة لقلبي، وحيويةً لنفسي،
وراحةً لذهني.. لا توازيها راحة ولا حيوية ولا سعادة.

إنها لوحةٌ ترسمها يد التاريخ، تلك اليد النزيهة التي لم
تلبس خباء الغدر والتشويه.

ما مضمون هذه اللوحة يا ترى؟

مضمونها ذلك الموقف الإيجابي من رسول الله ﷺ
وأصحابه الكرام تجاه شهر رمضان المبارك هذا القادم العزيز.
تعالوا معي لنستعرض بعض ما في هذه اللوحة الرائعة..
«كان رسول الله ﷺ أكرم الناس، وكان أكرم ما يكون في
رمضان».

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

صورة معروضة في لوحتنا، ألوانها بديعة، ظلالها عميقة،
صاحبها ذلك الرجل الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه.

**«كنا ندعو الله ستة أشهر أن يبلغنا صيام رمضان، وكنا
ندعوه ستة أشهر أخرى أن يتقبل منا صيام رمضان».**

صورة أخرى رائعة.. نرى فيها أصحاب رسول الله -
رضوان الله عليهم - وهم يتشوقون من شرفات الأمل إلى
ضيفهم العزيز الغالي ويتحرقون شوقاً إليه.. ثم نراهم وهم
يتابعون بنظرات مملوءة بكل حب واحترام.. وفي كلا
الحالتين.. حالة اللقاء وحالة الوداع.. يرفعون دعاءهم الصادق
إلى الله تعالى أن يبلغهم رمضان وأن يتقبله منهم.

**« كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان
يشد مثزره، ويوقظ أهله، ويجتهد في العبادة والدعاء»**

صورة ثالثة، فيها ملامح واضحة من الجد في العبادة..
والخوف من الله، والرجاء فيما عنده من فضلٍ ومثوبة.

وكل هذه الصور وغيرها تملأ نفس المسلم صفاءً، وتشعره
بقيمة الالتجاء إلى الله، وبضرورة الإحساس الصادق بمواطن
العبادة ومواقفها.. ومعنى ذلك أن كل الصور التي تناقض هذه
الصور المذكورة - أنفأ - تصبح دليلاً على غفلةٍ وتفريط
وضياع.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

وهنا تبرز أمام عيني اللوحة الثانية..

إنها لوحة معتمة تحتوي على عدد كبير من الصور الباهتة التي رسمتها يد الواقع، من خلال حياة المسلمين اليوم.. ومن خلال نظرتهم إلى رمضان.. وتعالوا نستعرض بعض ملامح اللوحة الثانية.

« وجوه مظلمة.. وصدورٌ ضيقة.. نراها أيام رمضان أمام أعيننا وكأن هذا الشهر المبارك قد نزل على رؤوس أصحابها نزول الصاعقة..»

«أناس يذهبون وآخرون يجيئون.. يحملون معهم أصناف الأطعمة وغرائب المأكولات.. رمضان أقبل.. فلا بد من زادٍ يدّخر بكميات كبيرة، وكأن هذا الشهر العظيم قد أصبح ميداناً لعرض المأكولات، وليس مجالاً للعبادة والطاعة والتوبة إلى الله.»

لو عرضنا ما في هذه اللوحة على ما في لوحتنا الأولى فسوف نجد فرقاً كما بين السماوات والأرض.

إذن...

فتحن ننحرف بمسار هذا الشهر.. ونستعد له بما لا يناسبه.. وتنسى أنه فرصة للتوبة الصادقة.. ومراجعة

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

النفس... وليس مجالاً لجمع ما لذّ وطاب من مأكول
ومشروب.

هاتان اللوحتان أراهما أمامي كلّ عام.. وأشعر أن رمضان
يتجسّد أمامي رجلاً صادقاً عطوفاً رحيماً يتحسّر على حالنا
ويدعونا إلى الطريق الصحيح..

جئت بعد الغياب يا رمضانُ وفؤادي كما ترى ولهانُ



العملية الإبداعية عند الشاعر

الشاعر لا يكتب شعره من فراغ.. وأعني بذلك الشاعر الحقّ الذي يشعر بقصيدته تركض في أعماق قلبه، قبل أن تتقيد بقيود الكلمة على الورق.. هذا الشاعر ينبتُ الإبداع الشعري في نفسه ويُسقى بدمه قبل أن يظهر للناس على هيئة قصيدة لها ألفاظها وصورها الشعرية.

العملية الإبداعية عند الشاعر معقدة وميسورة في آنٍ واحد.. أما تعقيدها فإنه ينشأ من كثرة الأحاسيس التي يمتلئ بها قلب الشاعر تجاه موقف من المواقف التي يتعرض لها.. حيث تتضارب في داخله عوامل الانفعال، ويظلُّ مأخوذاً بهذا التضارب فترةً من الزمن يمكن أن يطلق عليها «فترة الإرهاص بالقصيدة»، حيث تتكوّن بطريقة عجيبة يكون فيها الشاعر قلقاً ضيق الصدر.. خائفاً من الإقدام على تجميع تلك الانفعالات وصبّها في بوتقة الشعر.

وهذا الخوف عامل مهم - في نظري - من عوامل نجاح «عملية الإبداع الشعري».. كيف ذلك؟

الشاعر عندما يصل إلى مرحلة الخوف هذه يكون قد أصبح - فعلاً - تحت وطأة الانفعال القوي التي يشعر بحاجة

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

عندها إلى تفرغ ما يعتمل داخل نفسه، وهنا ينشأ الخوف..
حيث يظل الشاعر مضطرب النفس، يقدم رجلاً ويؤخر
أخرى.. وهذا ما يعبر عنه النقاد بصعوبة المطلع في القصيدة،
أو صعوبة الافتتاح في الكتابة.

ولا أريد هنا أن أقول إن العملية الإبداعية عملية «لا
شعورية» تنهياً في لحظة «اللاوعي» عند الإنسان.. حتى لا
ندخل في متاهات تيار «اللاوعي» في الفن، ولكنني - من خلال
التجربة - أرى أن الصورة الإبداعية تتسرّب في لحظة من
لحظات الانفعال التي يخف فيها وعي الإنسان الشاعر بما
حوله، حتى إنه - والحديث هنا عن الشاعر - يعجب لبعض
الصور كيف جاءت في قصيدته.. ولا يستطيع في أحيان كثيرة
أن يحدد موقفه فيها.. وهل فكّر فيها بشكل «مكثف» حتى
واتته أم لا؟

ولكن الشاعر لا يلبث أن يعيش بوعي كامل ظروف
قصيدته.. ويعاود النظر في تجربته الشعرية والفنية.. مما
يدفعه إلى الحذف والتغيير والتقديم والتأخير، وهذه المرحلة
«الترميمية» من أصعب مراحل ولادة القصيدة وليست أصعبها
ذلك أن القصيدة التي تنتج عن تجربة شعورية ضخمة لا تأتي
هكذا دفعة واحدة.. ولكنها تجيء مفرقة، ممزقة الأعضاء

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

موزعة الصور.. ثم بعد ذلك وبعد أن يحس الشاعر بأن ما كتبه قد استنفذ ما كان في نفسه.. تبدأ عملية الترتيب.. ولمّ شتات القصيدة.

إن العملية الإبداعية في الشعر.. لا تختصُّ بشكلٍ معيّن للقصيدة. ولا بالانسياق وراء تيار أدبي معين.. ولا برصف الكلمات رصفاً منهكاً على أي طريق من طرق كتابة الشعر.

إن العملية الإبداعية تتمثل في ذلك الإحساس الصادق الذي ينتج عنه الانفعال الشعوري العميق.. الذي يكون - بدوره - سبباً مهماً من أسباب إبداع الشاعر فيما يكتب.

ثم إنّ هذه العملية الإبداعية تحتاج إلى ثقافة متينة، وإلى إحساس رهيف، وإلى صدقٍ في هذا الإحساس.. وهي بهذا تُخرج من دائرة الشعر كلّ من لا يملك القدرة على هذه العملية مهما طبلّ له المطبلّون، ولّعاه الملمّعون. إنّ جهل كثير من نقاد اليوم بعمق الإبداع في الشعر هو الذي جعلنا نرى بريقاً خادعاً لكثير من «المحسوبين» على الشعر.

وبهذا نخلص إلى نتيجة مهمة وهي: أنّ الفنّ ليس سهلاً، والعملية الإبداعية لا تأتي بالادّعاء ولا بالخداع.

إن المتلقّي الواعي يعرف ما يأخذ وما يدع.. والعمل

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

الإبداعي لا يخطيء مكانه من قلوب الناس أبداً.

إن الشعر عضو رئيس من أعضاء أسرة الفن.. والفن أسرة لها عراققتها، ولها أعضاؤها وطرائق حياتها.. كما أن للفن لغته التي تخاطب مشاعر الإنسان، وتشبع حاسته الجمالية في أي زمنٍ وعلى أي أرض، إن الفن هو اللغة العالمية التي تستطيع البشرية أن تتفاهم بها.. فأنت إذا رأيت لوحة رائعة لفنان تشعر بأنك تتحدث إلى صاحبها من خلالها، دون أن تكون بينك وبينه رابطة من لغة أو فكر أو عقيدة.

والفن في ظل الإسلام يتخذ مسلكاً مميّزاً.. فهو وسيلة مهمة من وسائل إثراء الحس الجمالي عند الإنسان.. ولكنه - بفضل منهج الإسلام السليم - لا يكون غايةً في ذاته.. بل هو وسيلة إلى غايات سامية.. ومن هنا رأينا الفن الإسلامي بكل أصنافه متميّزاً بهذه النظرة الغائية الواعية.. فن العمارة.. فن التحف المعدنية كانت أم زجاجية أم خشبية.. فن تزيين المخطوطات وتهذيبها.. فن الشعر.. إلى غير ذلك من أصناف الفنون.. نجد لها في ظل الإسلام تميّزها ونقاءها.

وإذا كان الإسلام قد فتح للفن أبواباً سامية.. فإنه في الجانب الآخر أغلق أمامه تلك الأبواب السيئة التي كانت تبيح

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

للإنسان استخدام الفن في الطقوس الدينية.. مما يجعل الدين في ذهن الإنسان صوراً فنية تؤدي بطريقة مختلفة.. لقد رفض الإسلام هذا المنهج المنحرف للفن، وربط الإنسان ربطاً مباشراً بالله تعالى.. ثم أشبع حاسة الجمال عنده بما أباحه له من طرق الفن المتعددة.

هذا هو تصوُّري للفن عموماً.. وللعملية الإبداعية في الشعر على وجه الخصوص.



على أبواب كابل

١٤٠٩/٧/٧هـ

مضت قافلة الجهاد الأفغاني تقودها كوكبة من الرجال المسلمين الذين أدركوا ما لديهم من قوة وما عندهم من ذخيرة الإيمان.. فراحوا يصوغون ملاحم الجهاد الإسلامي على مرأى من الناس ومسمع.. فإذا بالعالم كل العالم يسمع بوضوح كلمة «الجهاد»، من خلال وسائل الإعلام طوعاً وكرهاً، وتبرز من خلال عناوين الصحف والكتب، ويشع من حروفها نور الإسلام العظيم الذي كان يظن المعتدون أنهم قد أخمدوه إلى الأبد.

سارت القافلة وانطلقت، وأصوات التكبير تزفها، تعطر الأجواء حولها، انطلقت وعيون أصحابها ترنو إلى السماء، وقلوبهم تهتف قبل ألسنتهم ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

سارت القافلة، كانت هنالك أسئلة كثيرة ترسم في أفق قافلة الجهاد الأفغاني الوفاً من علامات الاستفهام... ماذا يريد القوم؟

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

هل غاب عن بال هذا المجاهد الأعزل عندما انطلق بقافلة
الجهاد ما يتمتع به عدوه من قوة وجبروت؟

هل نسي المجاهد الأفغاني عندما انطلق أنه يواجه إحدى
القوتين العظميين في العالم؟ هل نسي السلاح الفتاك الذي
يملكه عدوه.. المدافع.. الصواريخ.. الطائرات.. الغواصات..
القنابل؟

هل نسي المجاهد عندما ساق قافلة الجهاد أنه يواجه
عدواً قد غزا الفضاء.. وصل القمر.. أقلق الكواكب..
والمجرات؟ ويح المجاهد الأفغاني!.. هل نسي جبروت عدوه في
مذابح المسلمين في المجر، وسيبيريا، وغيرها؟

كانت الأسئلة كثيرة تنهال على المجاهد من كل مكان، وكان
المجاهد يجيب عنها بتصميمه على الجهاد، بثقته بالله ثم
بحرصه على أن يكون جهاده خالصاً لوجه الله، وكان المجاهد
يشفق على أولئك الذين يتساءلون.. يشفق عليهم لأنهم - في
نظره - لم يستطيعوا التخلص من سيطرة الوهم على
أذهانهم.. لم يستطيعوا أن يستوعبوا تماماً معنى أن يتجه
الإنسان إلى ربه واثقاً بنصره، غير مبالٍ بما يراه من قوى
البشر الزائفة التي تحيط به.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

ومضت قافلة الجهاد الإسلامي في أفغانستان تجوب
فيافي هذا العصر المادي، حاملة شعار الإيمان بالله، ساخرة
من كل معاني الزيف التي يعيشها إنسان هذا العصر، مضت
تحمل سلاحاً خفيفاً، ولكنها كانت تحمل يقيناً بالله يهز الجبال
الراسيات.

لم تكن الرحلة سهلة ولا قصيرة.. ولكنها كانت رائعة،
تُحقِّق للمجاهد من اللذة الروحية أضعاف ما تسببه له من
التعب والإرهاق، مضت القافلة تهز العالم هزاً، وتزلزل كيان
الدولة العظمى الغاشمة زلزلةً.. وتقول للمسلمين الغافلين في
أنحاء الدنيا: هذا هو دينكم يواجه بنوره ظلمات العالم المادي
فيمزقها.. يقف به المجاهد الأفغاني حاملاً بندقيته أو
مسدسه أمام أعني وسائل الدمار السوفيتي، ثم يعود
منتصراً.. أو يحظى بالشهادة في سبيل الله.

مضت القافلة المجاهدة عبر وديان أفغانستان وجبالها
الشامخة، تحمل الإيمان في قلبها والسلاح الخفيف في
يدها.. وتهز بتكبيرها وتسبيحها الآفاق من حولها.. لم
تتوقف.. بل سارت - وشهداؤها يعطرون الأجواء بدمائهم
الزكية في سبيل الله.. وأبطالها يسجلون ملاحمهم في دفتر
المجد يوماً بعد يوم.. كانت الجبال الشامخة في هضبة «بامير»

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

تحجب عن عيونهم مدن بلادهم وقراها .. ولكنهم كانوا يرون
بعين البصيرة نهاية الباطل .. وعقبى المعتدين .

مضت قافلة الجهاد لتعيد إلى نفوس المسلمين المهزومة
ثقتها بالله تعالى، وبنصره المؤزر، وكانت قافلة الجهاد تسير
- وما تزال - محاطة بعون الله ورعايته، وبعده من الكرامات
الإلهية التي يخص بها الله المجاهدين الصادقين الصابرين ..
فيزيدها ذلك يقيناً على يقينها، ويزيدها تصميماً على مواصلة
الجهاد، وكأنني بقواد تلك القافلة المباركة وجنودها بيتسمون في
إشفاق عندما يقرؤون تلك الكلمات «التشكيكية التي سطرتها
بعض الأقلام المسلمة من خلال الصحافة .. كلمات تثير
الشكوك في حقيقة الجهاد ونوايا المجاهدين .. وفي صدق ما
يقال عن تلك الكرامات التي يجريها الله لبعض المجاهدين» .

يقرأ المجاهدون كلمات التشكيك تلك وهم بيتسمون،
ويعلمون أن مادية هذا العصر الزائفة قد حجبت حقائق
الإسلام عن عيون كثير من أهله، مما جعل ثقة كثير من
المسلمين - مع الأسف - تهتزُّ في بعض معطيات عقيدتهم
الإسلامية .. فكان ذلك خير مدخل لأعدائهم عليهم .

بيتسم المجاهدون ابتسامة الإشفاق وفي قلوبهم شعور
راسخ بأن جهادهم الصادق هو الذي سيعيد إلى نفوس

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

المسلمين المنهزمين ثققتها بعظمة الإسلام، وبأهمية الإيمان والتعلق بالله في مواجهة المعتدين.

مضت قافلة الجهاد.. تخوض بحر الملاحم الخالدة تسع سنوات، وها هي تقف هذه الأيام على أبواب «كابل» العاصمة.. تنتظر لحظة انسحاب العدو صاغراً يجرجر أذيال الهزيمة والعار، «كابل» تنتظر بفارغ الصبر، والعالم كله عيون ترنو لترى كيف يكون الحصاد.. ومن بين تلك العيون عيون حاقدة لا نشك في أنها ما تزال تبحث عن طريق تهرب من خلاله إحباطها لقافلة الجهاد، ولكن الله لهم بالمرصاد..

ولابد من أن نشير ونحن نرنو بشوق إلى حصاد الجهاد الأفغانى إلى أن النتيجة قد حصلت، والهدف تحقق، مهما كانت النتائج العسكرية.. نعم تحقق الهدف حيث كان الجهاد الأفغانى مدرسة إسلامية تتلمذ على أيدي أساتذتها عشرات بل مئات من أبناء المسلمين في أنحاء العالم، مما أيقظ روح الجهاد في نفوسهم، وأشعرهم بضالة أعدائهم مهما ملكوا من القوى المادية.. وهذه نتيجة عظيمة لو لم يتحقق من مدرسة الجهاد إلا هي لكفى..

لقد قتل الجهاد روح اليأس عند المسلمين، وأعاد إلى أذهانهم الحقيقة الكبرى التي طمستها مادية هذا العصر، ألا

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

وهي أن النصر لعباد الله المؤمنين لا يتوقف على العتاد
والسلاح - بالرغم من أهميته - ، ولكنه يتوقف - أولاً وأخيراً -
على نصر الله وتأييده، فإذا أراد الله لعباده النصر فلسوف
تسحق رصاصة المسدس مدفعية العدو الثقيلة، وتحطم
رصاصة الرشاش الطائرة الحربية الجبّارة، وهذا ما حدث في
أفغانستان، تشهد به جبالها ووادها، وتشهد به بقايا حطام
طائرات العدو ودباباته ومدافعه.. وهذا - تا الله - درس عظيم
تلقتّه البشرية في هذا العصر على يد الجهاد الأفغاني.

يا قافلة الجهاد تقدّمي فإننا ننتظر وصولك إلى «كابل»
لتعني من هناك قيام الدولة الإسلامية في أفغانستان..
ولتقذي أبناء هذا البلد المسلم من الشيوعية وعملائها..
ننتظر الساعة التي ينطلق فيها الأذان من كل مئذنة معطلة في
«كابل».. أبناء المسلمين جميعاً وأبناء هذا البلد - المملكة
العربية السعودية - الذين كان لهم دورهم المشهود في دعم
مسيرة قافلة الجهاد.. ينتظرون تلك الساعة ليزفوا إلى
المجاهدين تهنئة مصحوبة بالدعاء لهم، والشكر لله العلي
القدير.

وإلى اللقاء على ثرى الجهاد يا أبناء الإسلام.

جمعية البر ... ومصحف لكل كفيف

١٤٠٩/٩/٢٧هـ

يفمرك الفرحة.. تغرد عصفير البشرية على أغصان قلبك،
وأنت ترى هذا الإقبال الرائع من أبناء هذا البلد، على
العطاء... الصدقة.. الزكاة.. التبرع للمحتاجين داخل المملكة
وخارجها.

تشعر أن الدنيا بمباهجها تلمم نفسها وتستلقي صاغرة
عند قدمي رجلٍ صاحب مالٍ، يخرج زكاة ماله، ويتبرع فوق
الزكاة ببناء مسجد، أو دعمٍ للجهاد في سبيل الله.. أو رعايةٍ
لأسرة فقيرة مات عائلها.

شيء يثلج الصدر، وأنت ترى صورة التكافل الاجتماعي
تتجلى أمام عينيك مدفوعةً عند «كثير من الناس» بدافع
الرغبة في أجرٍ وفير من ربٍّ قدير، إننا على قناعة من أن
الغني الذي ينفق في سبيل الله إنما يطهر بذلك نفسه وماله،
ويخرج ما للآخرين من حق معلوم في ذلك المال الذي وضعه
الله في يد عبده، ابتلاءً وامتحاناً، نحن على قناعةٍ بذلك،
ولكننا لا نملك إلا أن نفرح بأريحية المتطوعين، وبسخاء
المتصدقين، وأن ندعو لهم بالأجر.. والمغفرة والقبول.. فإن فعل
الخير يبهج النفس، ويملاً جنباتها سعادة وسروراً.

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

والمتابع لساحات العطاء والصدقة في هذه البلاد يجد فيها تنوعاً وشمولاً.. فالفقراء يجدون - بحمد الله - من يرعاهم، وكذلك الأيتام والأرامل.. ومشروعات الخير تجد من يدعمها، والمساجد تجد من يتسابقون على بنائها.. والجهد الإسلامي في أفغانستان وفلسطين يجد من يدعمه ويرخص في سبيله الغالي والنفيس، والرجل ذو المال الذي ضاقت عليه مسالكه بتراكم الديون يجد من يساعده، والمحتاج يجد من يقرضه.. والجمعيات الخيرية تجد من يدعمها بالجهد والمال، فهناك عددٌ غير قليل من المتطوعين والمتطوعات في مجال العمل الخيري في الجمعيات الخيرية.. كل هذه الجوانب تجد فيها من معالم البذل ما يسعدك ويزيدك أملاً أن يصلح الله أحوال المسلمين بها.

في هذا العام قدر لنا أن نعرف بعض أصحاب رؤوس الأموال، فعلمنا من بعضهم أنه كان يستثقل دفع زكاة ماله في سنواتٍ خلت، وكان مع ذلك يشعر بضيق في النفس، وعدم بركة في الرزق.. ثم أراد الله له الخير فدفع زكاة ماله فانجلى همه، وبارك الله له في رزقه. وهذه حقيقة من الحقائق التي أكدها ديننا الحنيف على لسان رسوله ﷺ.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

ولو لم يكن للزكاة قيمتها وأهميتها لما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة حتى دفعوها .

كل هذا رائع وجميل .. فما أحسن التكافل تراه في مجتمعك، وما أروع التعاون تشهده بين أفراد هذا المجتمع .

ولكني بعد هذا أحب أن أناقش قضية .. عفواً لا أناقشها، ولكن أ طرحها راجياً أن يؤدي طرحها إلى ما أهدف إليه من شمولية العطاء وعمومية الخير .

الباذلون يتفاوتون في بذلهم .. وفي نظرتهم إلى المجالات التي يبذلون فيها .. فمنهم من لا يرضى أن يبذل شيئاً من ماله إلا في بناء مسجد، مهما كانت الحاجة إلى غيره من مشروعات الخير .. ومنهم من يرى أن الجهاد أولى بكل عطاء في هذه الأيام فلا يصرف شيئاً من ماله إلى غير ميدان الجهاد .. ومنهم من يقتنع أن بناء مدرسة في بلدٍ ما تعلم القرآن وعلوم الدين الإسلامي أولى وأجدى .. ومن الباذلين من يمتنع عن تقديم ماله إلى جمعية خيرية لأنه لا يستوعب - في حقيقة الأمر - مدى ما تقدمه من خدمة لبعض الأسر الفقيرة المحتاجة .

ومن هنا تنشأ مشكلة بعض المشروعات الخيرية النافعة التي تصطدم بعدم اهتمام أصحاب البذل والعطاء أو عدم قناعتهم .

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

أقول ذلك من خلال تجربة عملية «شخصية» في هذه الجوانب.. ولا بأس أن أستشهد بموقف من المواقف التي تؤكد ما ذكرته. كنتُ قبل أيام في مكان عام قد وُزعتُ فيه أوراق من قبل «المكتب الإقليمي لشؤون المكفوفين»، وفيها دعوة لأصحاب الأموال أن يمدوا يد العون للمكتب في مشروع كبير يستحق الاهتمام؛ ألا وهو مشروع طباعة القرآن الكريم بطريقة «برايل» تحت شعار (مصحف لكل كفيف)..

والحقيقة أن هذا المشروع يلفت النظر ويستحق العناية والاهتمام.. خاصةً إذا علمنا أن النسخة الواحدة ستكلف مبلغاً يزيد على خمسمائة ريال..

وعندما قرأت هذا النداء توجهت بالحديث إلى بعض من كانوا بجواري في ذلك المكان، وفيهم من رزقه الله مالاً خاض به غمار التجارة حتى أصبح فيها ذا شأن، فطرحت عليه فكرة التبرُّع لهذا المشروع، ولكنه تردَّد قائلاً: خير لي أن أبذل مالي في بناء مسجدٍ أو رعاية أسرة فقيرة من أن أبذله في مشروع يتبناه مكتب له ميزانيته.. وطال بيني وبين صاحبي الحوار ولكن دون أن يقتنع بتقديم شيء لمشروع طباعة المصحف المذكور بطريقة «برايل» للمكفوفين.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

وهذا الموقف كان مصحوباً بالاجتهاد وحسن النية، ولكنه - بلا شك - يعد موقفاً سلبياً تجاه مشروع كبير كهذا .

وإنني في هذه المقالة أنادي بالإخوة الذين من الله عليهم برزقه وأسبغ عليهم نعمته أن يكونوا أشمل نظرةً وأوسع أفقاً.. وألاً يحصروا عطاءهم في جانب دون آخر، فالمال أمانة في أيديهم، والعطاء يزيد من المال ولا ينقصه، فالصدقة - كما أخبرنا الرسول ﷺ - لا تنقص مالاً بل تميّه وتزيد.. وذلك إضافة إلى الأجر الأخروي الذي ضرب الله له مثلاً بالسنبلة ذات المائة حبة.

وأرى أن الالتفات إلى دعم مشروع طباعة المصحف للمكفوفين أمرٌ ضروري، فالمكتب الإقليمي - على حسب علمي - لم يتجه إلى أهل الخير بطلب دعمهم لهذا المشروع إلاً لحاجته إلى هذا الدعم.

وقد خطر ببالي أمرٌ آخر ألا وهو موضوع ريع البطاقات المعدة لمسابقة شهر رمضان للكبار التي يعرضها «التلفاز» في رمضان، فإن إجابات المسابقة لا تُقبل إلا إذا كانت مكتوبة على بطاقة معدة لذلك، تباع النسخة منها بخمسة ريالات ويعود ريعها إلى الجمعيات الخيرية بالمملكة، حيث تتبنى جمعية البر بالرياض توزيعها.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

وإني أرى أن يخصص لمشروع طباعة المصحف للمكفوفين جزء من ريع هذه البطاقات، وإن الأمل كبير في أن تستجيب جمعية البر لهذا الاقتراح، فالهدف من الفكرة دعم مجالات الخير، وهذا المشروع من أهم تلك المجالات.. خاصة إذا علمنا أن هنالك آلاف المكفوفين من أبناء المسلمين في أنحاء العالم، ينتظرون نصيبهم من هذا المصحف ليتمكنوا من قراءة القرآن.

إنني بهذا أركز على مبدأ الشمولية في العطاء، خاصة في هذا الشهر المبارك.. الذي يضاعف الله فيه من الحسنات، وبشمولية العطاء يسعد المجتمع.. فيجد الفقير من يرعاه.. واليتيم من يرحمه، والأرملة من يصون ماء وجهها، ويجد المعسر من يأخذ بيده، والمسجد من يبنيه، والمشروعات الخيرية من يدعمها.

ويطيب لي أن أهدي هذه الصور إلى أصحاب الأموال:

* يتيم فقد أبويه أو أحدهما ينظر إلى الوجوه نظرة استعطاف.

* أرملة تحضن أطفالها وليس لها مورد.

* حي من الأحياء ليس به مسجد.

* مسجد ليس به مكتبة، وليس لمدرس القرآن فيه ما يعينه على حياته.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

* معسر ضاقت عليه مسالك الحياة.. وهو ممن لا يسأل
الناس إلحافاً.

* مشروع خيري ينتظر من يدعمه ليؤدي دوره الكبير.

* مجاهد في سبيل الله يحتاج إلى رصاصة.. إلى كساء..
إلى حذاء.. إلى لقمة يستعين بها على الجهاد.

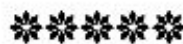
* جائع يبحث عن زاد، وعارٍ يبحث عن ثوب.

صورٌ كثيرة.. وأبواب للخير مشرعة.. وصدق الله القائل:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ
فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾ . الآية.

كلمة أخيرة:

أرجو أن تولى جمعية البر بالرياض مشروع طباعة
المصحف بطريقة برايل للمكفوفين عنايتها واهتمامها.. كما
أرجو أن يلتفت أصحاب الأموال إلى هذا المشروع لدعمه. والله
الموفق .



في ذكرى فتح القسطنطينية ... يبتسم التاريخ

١٤٠٩/١١/١٨ هـ

الكرة الأرضية تغمض عينيها .. تقضي مع نفسها سنوات تأمل وتفكير، بعد زمنٍ طويلٍ من الرصد الدقيق لمسيرة البشر الذين يسيرون على ظهرها وهم أحياء، ويسكنون داخلها وهم ميّتون.

الكرة الأرضية تفتح عينيها بعد زمنٍ من التأمل .. فتري من أمر الناس عجباً.

أمم تذهب وأخرى تجيء .. أجيال تتعاقب .. وأفكار تنتشر وأخرى تضمحلّ وتموت .. صراع دائم لا يتوقف بين حقٍ يريد أن ينقذ الناس، وباطلٍ يدفعهم إلى الهلاك .. دعاوى .. أباطيل .. شعارات .. اختراعات مادية هائلة .. صعود إلى القمر .. دراسات علمية متطورة .. فساد .. محاولات مستمرة من أكثر البشر للتحلُّل من القيم والأخلاق، قتال لا يتوقف .. مظلومون وظالمون ..

هكذا ترى الكرة الأرضية ما يجري عليها .. فيصيبها الدُّوار .. أما ثبت للناس أنها تدور؟ .. ربما كان ذلك دواراً في رأسها يصيبها من هول ما ترى!

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

الكرة الأرضية تقف على رجليها.. وتتقلَّ عينها فيما حولها ومَنْ حولها، فترى الإنسانية تجري في لهاثٍ يشبه الجنون.. تجري إلى حتفها بظلفها.. هروب من الدين.. من اليقين.. من الإيمان بالله في حقيقته العظمى.. إلى مبادئ مادية.. إلى بريقٍ علميٍ يعشي الأَبصار..

ثم ترى الإنسانية مع ذلك وبه شقية كل الشقاء.. مغرورة بعقلها «المخترع» كل الغرور.. حتى أنساها ذلك روحها التي تجوع جوعاً قاتلاً بقدر ما يشبع الجسد شبعاً قاتلاً، الكرة الأرضية تزمُّ شفيتها حسرة وأسفاً.. ترى ساكنيها يرفعون شعار الأخلاق، وهم بها عابثون، يرفعون شعار حرية الإنسان وهم بها يتاجرون.. يكون على كلب تصيبه شوكة، والأطفال الأبرياء بأيديهم.. وبأموالهم وأسلحتهم يُقتلون.

كل ذلك تراه الكرة الأرضية فيما حولها وأكثر منه.. فتستدير إلى الوراء دورةً تبحث بها عن هواء نقي تستنشقه.. وعن نور ساطع يضيء لها ما أظلم من زوايا جسمها المستدير.. وتستعرض التاريخ الطويل الذي شهدته بكل أحداثه منذ أن خلقها ربها وجعلها موطناً لهذه المخلوقات التي تسكنها.. منذ أن قالت لربها مع أختها السماء «أتينا طائعين».

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلاذنا والتميز

تنظر الكرة الأرضية بعينيها المستديرتين الواسعتين إلى
الوراء لترى الماضي بكل صورته وأشكاله.

وتظل تنقل ناظريها بين الأمم التي سلفت، حتى إذا لاح لها من
بُعد خيال رجل هادئ وقور يحمل في قلبه نور الإيمان، ويدعو
الناس إلى نبذ معالم الجاهلية التي قيدتهم بقيودها، وهم
يظنون أنهم متحررون، هنا أثبتت بصرها وأخذت تتابع مسيرة
محمد ﷺ وإذا بالبشر يملأ قلبها ويطفح في وجهها سعادةً
وصفاءً وإذا بها تبتسم وهي ترى نور الإسلام يعيد إلى البشرية
أملها في حياة ترتفع بقبضة الطين إلى مستوى «نفثة الروح»
في هذا الإنسان.

تبتسم وهي ترى قوافل الحق ترحل عبر الآفاق، بعيدها
وقريبها؛ لتملأ قلوب الناس يقيناً ولتقول لهم: إن كل ما
تقومون به تزوير للحياة، وما يصيبكم من تكالب عليها، ولهاث
وراء مفاتها إنما هو وهم.. نعم وهم يصور لكم الباطل في
صورة الحق.. ويوهمكم أن أكوام الظلام ندْفُ غمام.

وظلَّت الكرة الأرضية تستعرض الماضي.. وتزيد سعادتها
عمقاً ووجهها إشراقاً.. حتى إذا وقفت على باب «القسطنطينية»
أطالت به الوقوف، وظلَّت تتأمل صفحاتها، وكنتُ منها قاب
قوسين أو أدنى، حيث تمكنت أن أقرأ في تلك الصفحة مايلي:

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

يبرز في أعلاها حديث يُروى عن الرسول ﷺ يقول فيه:
«لَتَفْتَحَنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش
ذلك الجيش».

ووقفت أمام هذه الصفحة، أتأمل من خلالها ذلك التاريخ
العريق الذي وقفت به الأمة الإسلامية على قمة المجد، تحمل
في يدها مشعل الحق والخير تضيء به للإنسانية طريق
النجاة.

كانت القسطنطينية بمثابة الروح للرومان؛ فهي عروس
بلادهم ومقر أبطالهم، والحصن الأخير لدولتهم التي انحسرت
أمام امتداد الدولة الإسلامية، فكانت البشارة بفتحها على يد
أمير المسلمين، وجيش من جيوش الإسلام الظافرة بشارة
بالنصر للحق وأهله، كما كان فتحها - بعد ذلك - إثباتاً لمعجزة
من المعجزات التي هيأها الله لنبيه محمد ﷺ.

خلفاء المسلمين كانوا في تطُّع دائم إلى نيل هذا الشرف
بفتح هذه المدينة، ومن الذي لا يطمح أن يكون ذلك الأمير
البطل الذي امتدحه الرسول ﷺ وبشَّر المسلمين بفتح
القسطنطينية على يده.

معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.. كان يتمنى أن يتم هذا الفتح

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

العظيم في عهده، فبعث جيشاً يقوده سفيان بن عوف الأزدي، حاصر المدينة زمناً وعانى في حصارها أشدَّ العناء، ثم عاد دون أن يتمكن من فتحها، بعد أن دفتوا عند سورها أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

وسكنت نفس معاوية وقد أدرك أن وقت تحقق البشارة لم يحن بعد، والله أعلم متى يحين.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك.. تصرخ امرأة مسلمة على ساحل إحدى المدن بالشام مستجدة بخليفة المسلمين من جور الروم الذين هاجموا بعض المدن الإسلامية، ويثور الدم في عروق سليمان، وتلوح أمام عينيه بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية.. فيشرق في جنبات نفسه أمل كبير في أن يحظى بذلك الشرف.. وأن يحطم هذا الحصن العظيم الذي يمثل الروح لدولة الروم.

ويدعو أخاه مسلمة بن عبد الملك.. وما هي إلا أيام حتى تكوّن الجيش وانطلق صوب القسطنطينية رافعاً راية الجهاد، وبين جوانح قائده أمل كبير أن يفوز بتحقيق تلك البشارة الكريمة.. ومضى الجيش الإسلامي وحاصر المدينة العريقة، وطال الحصار، ثم عاد إلى مقر الخلافة دون أن يحقق الله على يده فتح عروس الرومان.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

هنا طويت تلك الصفحة، وتحركت الكرة الأرضية.. تجوب
الفيافي والقفار، حتى وقفت على بوابة عام ٨٥٧هـ ١٤٥٣م..
حيث أطالت الوقوف هنا مرةً أخرى.. وأخذت تتابع خطوات
ذلك الجيش العظيم، يعسكر مقابل مدينة «القسطنطينية»،
يقوده السلطان الشاب «محمد الفاتح»؛ الذي عرف بورعه
وتقواه، وبروحه البطولية على من قبله من قواد المسلمين.

وها هو اليوم يشرق في داخله الأمل في أن يكون فتح
هذه المدينة على يده، فيفوز بتحقيق تلك البشارة النبوية،
ويكون «نعم الأمير» كما ورد عن رسول الله ﷺ.. وكان جيشه
يحمل الأمل ذاته في أن يكون «نعم الجيش».

ومضت أيام الحصار طوالاً ثقلاً.. ثم تحقق الأمل وفتح
الله للمسلمين هذه المدينة، وحُوِّلت كنيستها إلى مسجد، وفاز
محمد الفاتح وجيشه بتحقيق البشارة.. واقترن اسمه بهذا
الفتح العظيم، حتى صار لا يُعْرَفُ إلاَّ به «محمد الفاتح»، أما
غير ذلك من الألقاب فقد غدا باهتاً أمام هذا اللقب العظيم.

ورأيت الكرة الأرضية مشرقة الوجه باسمه الثغر، وهي
ترى مواقع هذا الفتح وتسمع نداء الله يرتفع ليجلُّ آفاق
«القسطنطينية» بمهابة لا مثيل لها، بعد أن كانت تصم أذنيها
أصواتُ النواقيس.

عبد الرحمن بن صالح العثماوى بلادنا والتميز

ثم استدارت الكرة الأرضية نحو الحاضر بعد أن ملأت نفسها بروائع الماضي، وبعد أن شمت عبير المجد، وذاقت حلاوة النصر.. وإنما لتجوب شوارع حاضرننا، يعتصرها الألم مرةً أخرى لما ترى من واقع المسلمين، وإذا بها تقف وقوفاً مفاجئاً أمام هضبة «الأناضول» في تركيا، وترسل نظرات ثاقبة إلى الملعب الرئيسي لمدينة «كوتاهيا» التركية، وبرقت أسارير وجهها مرةً أخرى، وابتسمت وشغلت بما رآته عن كل ما حولها.. فماذا رأت؟

عشرات الآلاف من الشباب والكهول.. يفتدون إلى هذه المدينة من أنحاء تركيا كلها.. في عيونهم توقُّ إلى الأفق البعيد.. أفق الإسلام المشرق، أفق اللغة العربية التي حاولت أصابع العلمانية أن تحرق حروفها الأبجدية، وأن تمحو كل أثر لها في لغة تركيا.

عشرات الآلاف يفتدون إلى «كوتاهيا» في هضبة الأناضول، وهم يرددون والأرض كلها تصغي «لن نساك يا محمد الفاتح»، «نحن أيضاً سنرفع راية الجهاد».

كان ذلك في ذكرى فتح القسطنطينية، حيث أقيم الاحتفال الكبير في تركيا في شهر مايو ١٩٨٩م، وحضره عشرات الآلاف من أبناء تركيا يعلنون فيه ولاءهم لله،

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

وتصميمهم على أن يظلَّ الإسلام العظيم عقيدتهم الراسخة التي لا تُزيلها معاول الكفر والإلحاد.

كان الاحتفال بذكرى مرور ٥٣٦ عاماً على فتح تلك المدينة كبيراً.. وكان مهيباً تحدّثت عنه وكالات الأنباء العالمية، وأشارت إليه بعض الصحف الغربية بشيء من الاندهاش المقرون بالتوجُّس والخوف، خاصةً وأن الكلمة التي ألقاها «نجم الدين أربكان» كانت تقابل بالتكبير المجلجل في الآفاق.. وقد تحدّثت عن عظمة الإسلام، وعن ارتباط أبناء تركيا به وبلغته، وذكر الناس بفتوح الإسلام.. التي كان من أعظمها فتح القسطنطينية، والناس يرددون «نحن أيضاً سنرفع راية الجهاد سنقيم المسجد هناك من جديد، وسينطلق التكبير كما انطلق من قبل في آفاق تلك المدينة العظيمة وما ذلك على الله بعزيز...

وقفات:

* كان تنظيم الاحتفال عظيماً وقد عبر الكثير من الصحفيين عن روعته وعن انتظام المسلمين فيه انتظاماً لا مثيل له.

* أشار نجم الدين أربكان في زيارته الأخيرة للمملكة إلى أن الإسلام لا يمكن أن يتزحزح من نفوس أبناء تركيا وأنهم

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

مرتبطون بإخوانهم المسلمين في كل مكان.

* وهكذا تشرق شمس الحق في بقاع كثيرة من هذا العالم
الفسيح لتؤكد للبشرية أن خلاصها من أزماتها لا يكون إلا
بالرجوع إلى خالقها ومدبر أمرها.



الأيدي المتوضئة تقرع أبواب كابل

١٤١٠/٦/٢٦ هـ

افتحي أيتها الحروف الصادقة بابك.. افرشي أرضك
وروداً ورياحين، فها هو القلم.. قادم إليك تدفعه مشاعر
الحب.. ويجري في عروقه مداد الأمل الأخضر.. ها هو القلم
يحزم حقائب الكلمات ليسافر عبر السطور إلى كل قلب يحس،
وعقلٍ يعي، ونفسٍ تتوق.

أيتها الحروف الصادقة.. هذه أنهار البطولات تجري..
وهذا هو القلم يدنو.. ليصنع منك زوارق كلمات صافية
صادقة، يقطع بها الأنهار ليصل إلى الضفة الأخرى.

الضفة الأخرى؟

نعم هناك؛ حيث ينطلق التكبير متجهاً صوب الأفق، حيث
يرتفع النداء مردداً «لا إله إلا الله» فيزرع الكون حقول أمنٍ
وإيمان.

هناك أيتها الأحرف الصادقة، على أبواب كابل.. حيث
تقف أسود الحق متوثبةً لاتعرف الخضوع ولا التراجع، ولا

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

ترضى أن ترى الحق ضائعاً والإسلام محارباً.. فهي تزمجر..
تحمل في إحدى يديها المصحف.. وفي الأخرى تحمل
الرشاش، تنظر بإحدى عينيها إلى النصر الذي وعد الله به
عباده الصالحين، وبالعين الأخرى إلى الشهادة التي تتوق إليها
نفوس المجاهدين.

هناك على أبواب كابل.. حيث تمطر سحائب الإيمان غيثاً
هنيئاً مريئاً من الصبر، والثبات في وجه الظلم والطغيان.

تعالى أيتها الحروف الصادقة، انظري إلى تلك الأيدي
المتوضئة تقرع أبواب كابل، وقد حمل أصحابها نفوساً لا تفهم
إلا لغة الحق، ولا تصرف عبوديتها لغير الله تعالى، ولا
تستسلم للأهواء والمطامع.

وضوح في الهدف، وسمو في الفكر، ويقين برعاية الله
ونصره.. صفات عظيمة قرأنا عنها في سجلات التاريخ كثيراً،
واليوم نراها واقعاً معاشاً على «هضبة بامير»، على جبال
الهندكوش، وأمام أبواب كابل العاصمة الأفغانية، التي تنتظر
دخول المجاهدين الفاتحين على أحر من الجمر.

قفي معي أيتها الأحرف الصادقة لتري ما جرى..

مجاهدون صادقون بذلوا أرواحهم لله، وعلّقوا قلوبهم

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

بعزته وجلاله ولذلك صمدوا أمام كل الضربات القاسية التي
يوجهها إليهم الأعداء.

ضربات قاسية كان من آخرها اغتيال المجاهد القوي،
الصابر الذي نحسبه كان صادقاً كلَّ الصدق في جهاده
«عبدالله عزام». كان استشهاده شديد الوقع على نفوس
المجاهدين.. حزنوا.. وبكوا، وأحسُّوا بفضاعة الخطب، فماذا
صنعوا؟

هل استسلموا للحزن والبكاء؟.. هل يئسوا مما أصابهم؟.

كلا..

لقد حزنوا وبكوا، ولكنه حزن المؤمن المحتسب.. حزن من
يبكي ولا ييأس ولا يعترض على قضاء ربه.

ولذلك فقد قاموا بعملية جريئة تؤكد عزمهم على المضي
في طريق الجهاد، حتى يحقق الله لهم النصر، أو يختارهم
شهداء في سبيله.. إنها «عملية عبدالله عزام» على كابل التي
روعت الأعداء، وأكدت لهم أن جنود الحق لن يتراجعوا مهما
كبرت في طريقهم الصعاب؛ يقول الشيخ محمد يوسف عباس
عن هذه العملية في افتتاحية العدد الرابع والثمانين من نشرة
«لهيب المعركة»: «فالذين فقدوا شيخهم وقائدهم عافت

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

نفوسهم الحياة بعيداً عنه، فلا بد من أن يشفوا صدورهم من
عدوهم، ولا يكون ذلك إلا بحسم المعركة في كابل وتدمير
جميع مراكز العدو فيها، فبدؤوا بدار الأمان وهي عبارة عن
قواعد الصواريخ «سكود والموشاك» وبيوت الخبراء الروس،
وكانت موفقة جداً، إذ استطاعت أن تسكت قواعد الصواريخ
وتقذف الرعب في قلوب الشيوعيين حتى تركوا قواعدهم في
بغمان».

هكذا تكون بركات الاستشهاد.. دم يتدفق في سبيل الله،
يفوح مسكاً، يشعل في نفوس المجاهدين لهيب العزم والتصميم
على المضي قدماً في دروب الجهاد.

إذا مات منا سيد قام سيد قؤولٌ لما قال الكرام فعولٌ
قراءة في عيني كابل:

يا يد الفارس لا ترتعدي لفظَ الموج بقايا الزيدِ
رجع الليل على أعقابه وانتهت أسطورة المستعبدِ
سقط الباطل في حضرتِه وتوارى وجهه عن بلدي
هذه كابل هذا ثوبها نضتُ عنه غبار الكمدِ
أبصرتني مقتلها بعدما غسلتها من بقايا الرمدِ
هذه كابل في نظرتها من جنون الشوق ما لم أعهدِ
وقف التاريخ في شرفتها منشداً، أكرمُ به من منشدِ

وقفه مع الإعلام الغربي:

أخبار الجهاد الأفغاني.. وأخبار الانتفاضة الفلسطينية المباركة تحظى بقدر كبير من العناية في وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة في بلاد الغرب.

ومن يستمع إلى إذاعة صوت أمريكا، أو يقدر له أن يشاهد نشرة الأخبار في التلفزيون الأمريكي أو البريطاني أو الفرنسي، فإنه سيقف مشدوهاً أمام ذلك التركيز على هذين الفجرين المنبثقين.. فجر الجهاد الأفغاني وفجر الانتفاضة. وهو تركيز لا يخلو - غالباً - من محاولة لتشويه الصورة في أذهان الناس.

ومن صور ذلك التشويه ما يلمحه المتابع من تركيز على الأخبار العسكرية التي تفيد أن المجاهدين أسقطوا - مثلاً - طائرة إمداد عسكريّ أو غذائيّ للجيش الأفغاني.. أو دمروا شاحنة نقل للأغذية ومواد للإنقاذ، أو ما شابه ذلك.. وكأن ساحة الجهاد قد خلت من المعارك العسكرية الحاسمة.. ونحن لا نطالب الإعلام الغربي أن يقف في صف المجاهدين، ولا أن ينافح عن أبطال الانتفاضة، كلا فذلك أمر مستحيل.. ولكننا أردنا أن نلفت نظر القراء الذين قد يغفلون عن هذا الجانب، فيصدقون ما تنقله بعض وسائل الإعلام الغربي عن قضايا العالم الإسلامي.

لماذا غابت صحافتنا؟!

أتاحت لي هذا العام فرصة حضور ثلاثة مؤتمرات شبابية في أمريكا وبريطانيا.. مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا.. ومؤتمر اتحاد المنظمات الفلسطينية في أمريكا، ومؤتمر جمعية الطلبة المسلمين في بريطانيا.

وهي مؤتمرات حية، تميّزت بكثرة الحضور وجدية الطرح للقضايا الفكرية والثقافية، وقد أُقيمت فيها محاضرات وندوات غلب عليها التأصيل الشرعي لكثير من القضايا الإسلامية المعاصرة.

وقد كان لجو هذه المؤتمرات سمة خاصة، وكان للقاءات نكهة متميزة، يفوح منها أريج الأخوة الإسلامية الصافية.

وإذا كانت الأمور التي تلفت النظر في هذه المناسبة كثيرة، فإن من أهم الأمور التي لفتت نظري هو ما لمحتّه من خلو ساحة هذه المؤتمرات من مندوبي الصحافة في عالمنا العربي علماً بأن فيها مادة صحفية جديرة بالاهتمام..

لست أدري عن السبب الذي أوجد هذه الفجوة الإعلامية، ولكنني أرى أن صحافتنا تحمل قسطاً كبيراً من المسؤولية في هذا الجانب، لاسيما وأن إدارة الشؤون الإسلامية في سفارة

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى
المملكة في واشنطن كان لها دور ملموس في مؤتمر أمريكا، كما
كان لمعهد العلوم الإسلامية والعربية في واشنطن التابع لجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية دوره الكبير في تنسيق
اللقاءات أثناء انعقاد المؤتمر.

كنت أتمنى أن أرى مندوبين لصحافتنا هناك.. ولكن
الأمني تلاشت أمام الحقيقة.
هل لنا أن نطمع في أن تبذل صحافتنا هتماماً بهذا الجانب؟
ذلك ما نرجو أن يتحقق مستقبلاً.

مع التحية:

إلى الإخوة الذين أحسنوا الظن فيما كتبت عن الدكتور
عبدالله عزام في يوميات الجزيرة أقول لكم: جزاكم الله خيراً..
ولكن ما قيمة حروفي أمام تلك اللغة الفصحى العظيمة التي
كتب بها عبدالله عزام تاريخ الجهاد المعاصر.. أعني لغة
الاستشهاد في سبيل الله.. لغة بذل الروح والمال والولد.. لغة
البطولة والفداء.. إني لأخجل والله من عقد هذه المقارنة
المستحيلة بين حروفي التي أكتبها بقلم مصنوع في اليابان وأنا
على طاولة لا تخلو من أناقة، والحروف التي يكتبها الشهداء
بدمائهم، أين الثرى من الثريا أيها الأحباب؟! وكيف تصبح
المقارنة بين من يكتب من منزله وأمامه مدفأة تقيه برودة
الشتاء، ومن يكتب من ميدان المعركة وقد كشفت الحرب عن
ساقها، وتغبر وجهه بغبارها؟ شتان بين مُشْرِقٍ ومغربٍ.

روافد الأدب الإسلامي ... وربطته

١٤١٠/٨/١هـ

الكلمة الطيبة كالشجرة... هكذا صورها القرآن الكريم،
وزاد صورتها وضوحاً حين وصفها بأنها شجرة طيبة أصلها
ثابت وفرعها في السماء، وأنها تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها..
والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة.. هكذا صورها القرآن
الكريم.. وزاد صورتها وضوحاً حين وصفها بأنها تُجثُّ من
فوق الأرض، ما لها من قرار...

ومهما حاول الذوق البشري أن يصف الكلمتين فسيظلُّ
عاجزاً عن الإلمام بما أُلِّت به آيات القرآن.. كتاب الله الذي
يُعدُّ الرافد الأول للكلمة الطيبة المباركة.

والأدب الإسلامي يستقي من هذا الرافد القرآني.. ويبني
كيانه على أساسٍ ثابت من صفاء الكلمة، ونقاء الفكر.

كل هذه المعاني تداعت إلى ذهني وأنا أرى ذلك النشاط
الأدبي القوي المتزن الذي تقوم به رابطة الأدب الإسلامي، التي
يرأسها الشيخ «أبو الحسن الندوي»، ويشرف على أعمالها في
العالم العربي الدكتور عبدالقدوس أبوصالح.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشماوي

وكان من آخر ما قامت به الرابطة من نشاط ثلاث ندوات حول الأدب الإسلامي، صاحبها ثلاث ندوات شعرية شارك فيها عدد من الشعراء من أنحاء العالم الإسلامي. عقدت هذه الندوات في مصر في الفترة من ١/٧/١٤١٠هـ إلى ٤/٧/١٤١٠هـ، أولاها كانت في القاهرة، والثانية في جامعة الزقازيق، والثالثة في جامعة الإسكندرية، شارك فيها عدد من الأدباء من مصر، والسعودية، والأردن، وسوريا، والمغرب العربي.

وقد دار فيها حوار أدبي موضوعي نوقشت من خلاله فكرة الأدب الإسلامي، وأبعادها، وما تسعى إليه من تلاحم بين الشكل والمضمون في العمل الأدبي، متخذة من الرؤية الإسلامية الواعية مقياساً للنصوص الأدبية شعراً كانت أم نثراً.

وقد تحدث الدكتور عبدالقدوس أبوصالح عن مسؤولية النقاد والأدباء نحو الأدب الإسلامي في هذا العصر، الذي كثرت فيه الاتجاهات الأدبية المسخّرة لخدمة المذاهب الفكرية والسياسية المختلفة.

وأكد أن واجب الدعوة إلى الله عن طريق الكلمة الأصيلة الملتزمة المبدعة أمانة في عنق كل أديب مسلم، وقد أنشئت

عبد الرحمن بن صالح العثماوي ————— بلادنا والتميز

رابطة الأدب الإسلامي لتحقيق ذلك، و لرفع ستار الغربية المسدل على الأدب الإسلامي في عالم اليوم.

وكان من أوائل من دعا إلى هذه الفكرة الشيخ أبو الحسن الندوي الذي وجه الدعوة لعدد من الأدباء الإسلاميين في أنحاء العالم، من جنسيات مختلفة إلى الندوة الكبرى التي أُقيمت في مدينة «لكنو» في الهند في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠١هـ، وفي هذه الندوة اتخذت توصية مهمة تتضمن إقامة رابطة عالمية للأدب الإسلامي.

وعُقدت الندوة الثانية في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في شهر رجب عام ١٤٠٢هـ، والثالثة في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في رجب عام ١٤٠٥هـ، حيث أكدت بلاد الحرمين الشريفين أنها تسعى دائما إلى تعزيز وتأييد ما يقوم على أسس ثابتة من عقيدة الإسلام الشاملة.

ورابطة الأدب الإسلامي لم تقم إلا بعد دراسة مستفيضة، قام بها عدد من الأدباء والباحثين لما يجب أن تكون عليه، محددين بذلك أهدافها، وموضحين موقفها من التيارات الأدبية الوافدة من الشرق أو الغرب، ولذلك فقد جاءت أهدافها واسعة شاملة لكل العوالم التي يحلّق في آفاقها الأدب بجميع أصنافه وأساليبه.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

فالرابطة تهدف إلى تأصيل نظرية الأدب الإسلامي من خلال الدراسة المستوعبة للأدب العربي قديمه وحديثه، وللآداب العالمية الأخرى، وبهذا يتحقق مبدأ عالمية الأدب الإسلامي انطلاقاً من عالمية الإسلام.

ومن أهدافها رسم منهج إسلامي مفصل للفنون الأدبية الحديثة كالقصة والمسرحية والسيرة الأدبية والتمثيلية المسموعة والمرئية، مع الحرص على إظهار الصلة القوية بين الأدب الإسلامي قديماً وحديثاً للرد على المحاولات الداعية إلى الفصل بين أدب أمتنا في الماضي والحاضر، وهي محاولات ظلت نشطة فترة من الزمن، متشكلة بأشكال مختلفة؛ فتارة باسم حرية الأدب، وتارة باسم قوميته، وتارة باسم معاصرته، وأخيراً باسم الحداثة وما وراء الحداثة، مما يدركه المتتبع الواعي.

وأخيراً ومن أهم أهداف رابطة الأدب الإسلامي تعريف الشعوب الإسلامية بآداب بعضها بعضاً بترجمة للنصوص إلى عدد من لغات الشعوب الإسلامية. ولم تغفل الرابطة الأدب الذي يهتم بقضايا المرأة المسلمة، مع الحرص على تشجيع نتاج الأدبيات المسلمات.

وتقف رابطة الأدب الإسلامي طويلاً أمام أدب الأطفال واليافعين والشباب لرسم منهج إسلامي له.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

وفي ظلّ هذه الأهداف يبرز اهتمام الأدب الإسلامي بالشكل الفني ويحرص على الجانب الجمالي في الأدب ، ويرى أن الإبداع في الصورة الأدبية من مقومات الأدب الإسلامي المهمة، ويبرز ذلك في تعريف هذا الأدب بأنه: التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة في الكون في حدود التصور الإسلامي لها .

فالفنية شرط من شروط الأدب الإسلامي خلافاً لما يظنه كثير من الناس من أن الأدب الإسلامي لا يهتم بالجانب الفني، وأنه يقتصر على المواعظ والحكم الخالية من روح الإبداع .

ومن هنا كانت نظرة الأدب الإسلامي بعيدة المدى عميقة الجذور، فهو يحرص على الاستفادة من كل التجارب الأدبية الناضجة في أنحاء العالم، ولا يرفض أيّ شكل من أشكال التعبير مادام هذا الشكل محققاً لمذلول كلمة أدب وفن .

ولذلك فقد كانت الكلمات التي ألقاها الدكتور أحمد هيكل، والدكتور محمد مصطفى هدّارة، والدكتور محمد رجب البيومي، والدكتور حسن الهويمل، والدكتور عبدالباسط بدر في الندوات التي عقدت في مصر، مستوعبة لهذه الأهداف ومقنعة للجمهور الغفير الذي حضر تلك الندوات.. والذي طرح تساؤلات متعددة حول نظرية الأدب الإسلامي، ووجد

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

عليها إجابات مقنعة من المحاضرين.

وقد أقيمت على هامش تلك الندوات النقدية ندوات شعرية شارك فيها عدد من الشعراء، محمد التهامي، وعصام الغزالي، من مصر، والدكتور محمود إبراهيم من الأردن، والشاعر حسن الأمراني من المغرب العربي، وقد شاركت معهم في هذه الندوات بصفتي أحد أبناء المملكة العربية السعودية.

كما كان للأدب الإسلامي مشاركة في بعض أمسيات معرض الكتاب الدولي بالقاهرة كان لها صداها الكبير.

إنها خطوات ثابتة تخطوها رابطة الأدب الإسلامي، تحظى بالدعم المعنوي من الأدباء الإسلاميين في أنحاء العالم، وتجد لها ركيزة في بلادنا التي كانت سبّاقاً في تقرير منهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

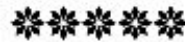
ولم يبق إلا أن تتجه صحافتنا لتكمل دور بلادنا الرائد في دعم هذا المنهج وفتح أبواب النشر أمامه حتى يصل إلى القراء.

وقفه مع الأندية الأدبية:

عُقد في الأسبوع الماضي مؤتمر الأندية الأدبية في نادي مكة الثقافي، وقد افتتح المؤتمر سمو الأمير فيصل بن فهد

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

الرئيس العام لرعاية الشباب وذلك يوم ١٥/٧/١٤١٠هـ. وإذا كنا على ثقة من أن المؤتمرين سيطرحون القضايا الإدارية والثقافية للنقاش فيها بموضوعية وصراحة، فإن ذلك لا يمنع من أن نوجه نداءً للقائمين على الأندية الأدبية أن يعيدوا ترتيب أوراقهم، ويراجعوا نشاطهم الماضي، في ضوء الأهداف السامية التي يقرها ديننا الحنيف، وتتكى عليها سياسة هذا البلد الطيب، حتى لا يُمكن من منابر أنديةنا إلا أصحاب الفكر النظيف من الأدباء والعلماء والمثقفين، وذلك أقل ما يمكن أن تقدمه الأندية الأدبية لمجتمعنا. والله الموفق.



اعتزال أصحاب الغناء ومسؤولية المجتمع

١٤١٠/٣/٢٩ هـ

الإنسان تتملكه صفتان، تسيطران عليه وتسيران حياته، وبحسب التوجيه لهاتين الصفتين يكون التوجه العام للإنسان... إما إلى طريق الخير.. وإما إلى طريق الشر.

أما الصفتان فهما.. النزوع إلى الخلود، والحرص على التملك؛ فما من أحدٍ من الناس إلا ويحرص على الخلود ويتفانى في سبيله، بل إن نشاطه في حياته مدفوع برغبته في الخلود.. وللخلود وجهان أبيض وأسود، وله معنيان بعيد وقريب... وبمقدار وعي الإنسان بمعنى الخلود يكون له منه نصيب. فإن كان ممن يسعى إلى الشهرة في الدنيا والخلود فيها؛ حرصاً على أن يظل اسمه بارزاً في حياته وبعد موته... لا يبالي في ذلك أن يكون هذا البروز في طريق الصلاح أو في طريق الضلال، فهو بهذا قد اختار وجه الخلود الأسود، ومعناه الأقرب القصير.

وإن كان ممن يسعى في حياته قاصداً وجه ربّه، محاولاً - قدر المستطاع - إخلاص نيته لله حرصاً على خلودٍ أبدي فيما

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

بعد هذه الحياة، لا يبالي - في مسيرته - أبرز اسمه أو اشتهر، أو أنه ظلّ مغموراً لا يعرفه أحد.. كلُّ همّه أن يحظى بالخلود الأبدي فيما بعد الحياة، فهو بهذا قد اختار وجه الخلود الأبيض ومعناه الأبعد الطويل.

وفي كتاب الله تعالى إشارات إلى هاتين الصفتين .. فقد ذكر الله في كتابه أن إبليس عندما أغوى أبانا آدم وأمنا حواء.. خاطبهما بهذين الصفتين.. النزوع إلى الخلود والحرص على التملك حيث قال لهما: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠]. فالشيطان يحاول أن يوقظ فيهما نزوعهما إلى الخلود ورغبتهما فيه.. وبذلك استطاع إغواءهما.

وفي موضع آخر يخبرنا ربنا أن الشيطان أغرى آدم بقوله: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَّا يَبُلَى ﴾ [طه: ١٢٠].

أرأيتم يسميها شجرة الخلد ويصفها بأنها ملك لا يبلى، وقد استطاع الشيطان أن يصل إلى مراده من خلال هاتين الصفتين. ولو حاولنا أن نستقرئ تاريخ الأمم لوجدنا أن حياة أكثر العظماء من ملوك وعلماء وأدباء تكاد تقوم على هاتين الصفتين. والإسلام العظيم رعاهما.. ولكنه وجههما في الوقت نفسه توجيهاً أسمى، حيث ربط الخلود بالآخرة..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

والحرص على التملكُ بالجنة وما فيها من نعيمٍ مقيم، ثم رسم الإسلام صوراً مختلفة للرياء والسمعة والسعى إلى الشهرة الزائفة محذراً المسلمين منها، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن أول من تسعّر بهم النار عالم، وقارئ القرآن، ومجاهد قتل في الجهاد.. ولكنهم لم يبتغوا بأعمالهم إلا الخلود الأقرب القصير ذا الوجه الأسود، ولم يبتغوا بأعمالهم وجه الله تعالى الذي يتحقق من ورائه الخلود الأبدي.

وفي حديث يروى عن الرسول ﷺ يقول فيما معناه: «كفى بابن آدم بلاءً أن يعرف في خيرٍ أو شرٍ» ومعنى الحديث إن كانت شهرته شهرة شرٍ فقد تحقق هلاكه، وإن كانت شهرته شهرة خير فهو منها على طريقين، إما أن يكون قاصداً لوجه الله حريصاً على التخلص من الرياء والسمعة فهو بذلك قد نجا، وإما أن يكون على عكس ذلك فهو من الهالكين.

عفواً قارئى الكريم...

فقد أردت بهذا التمهيد أن أصل - بموضوعية - إلى نتيجة مهمة وهي.. أن كثيراً من الناس الذين يدخلون إلى عالم الطرب والغناء قديماً وحديثاً يدخلونه - غالباً - طاعةً للهوى، وانخداعاً بما يرونه فيه من صورة للخلود القصير، ذي الوجه الأسود.. هذا الخلود الخادع الذي يزينه لهم عشاق اللهو

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ومحبوه.. فيظلون يرفعون من شأن ذلك المغني وتلك المغنية،
وذلك الممثل وتلك الممثلة.. ويلمعونهم إعلامياً.. ويفتحون لهم
أبواباً واسعة للقاء مع الجماهير التي تميل مع الريح حيث
تتجه.. ثم يصفونهم بالنجومية والعالمية فإذا بهم يعيشون في
مثل الدّوامة، وقد خيل إليهم أنهم نالوا الخلود وتحقق لهم
تملُّك الحياة.. مخدوعين بما نالوه من شهرة زائفة.

ومن هنا ندرك أن النزوع إلى الخلود والحرص على
التملك عاملان قويان من عوامل انجراف كثير من «أصحاب
المواهب» الفنية في طريق «الفن المعاصر» بكل ما فيه من
ضياع وانحراف.

والنتيجة فساد يفرق فيه هذا المخدوع وتلك المخدوعة، ثم
يُفرقون فيه كثيراً من أبناء مجتمعاتهم، من المراهقين صفاراً
وكباراً، حتى يكون ذلك سبباً رئيسياً في انقلاب كثير من
الموازين.

والذي يجلس مع بعض ضحايا هذا الوهم يجدهم يعانون
من أزمت نفسية داخلية مهما برزوا أمام الناس بصورة
السعداء، وهنا أستشهد بتلك الكلمات المضيئة التي أدلى بها
الداعية المسلم حالياً «يوسف إسلام» والمطرب البريطاني

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

اللأمع سابقاً.. حيث قال لبعض الصحفيين عندما سألوه عن سبب إسلامه وهروبه من عالم الغناء والطرب: «لقد كنت وأنا أغني لآلاف بل الملايين من عشاق فني في أوروبا وأمريكا.. كنت أشعر بسعادة زائفة أثناء إقامة الحفلات الغنائية التي يحضرها الآلاف.. ولكن تلك السعادة تتلاشى تماماً عندما أخلو بنفسي لحظات لا يجلس معي فيها أحد.. وكنت أتساءل: هل خلقتُ لهذا.. وهؤلاء الناس الذين يعشقون فني ماذا سيقدمون لي لو اعتزلت الغناء أو أصابني مرض مقعد.. أو افتقرت؟»

وظل هذا الإحساس ينمو في نفسي حتى هداني الله إلى الإسلام، فتلاشى ذلك الألم الخفي، وذقت طعم السعادة الحقيقية في اتجاهي إلى الله، بعيداً عن ضجيج الفن، وخداع الأضواء..»

وما زالت ساحة «الفن المعاصر» بمجالاته المختلفة تشهد ما بين حينٍ وآخر توبة أحد روادها ورجعته إلى الله وخروجه من كذبة النجومية ومن زيف الشهرة وخداع الجماهير.. فكم من ممثل تاب إلى الله، وممثلة عادت إلى رشدتها وصوابها.. وكم في عالم الطرب والغناء من تائبٍ راجع نفسه فاستطاع بحسن القصد والتصميم أن يدرك أن الخلود الحقيقي ليس في

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

التلميع الإعلامي الخادع، ولكنه في التعلُّق بأهداب الحق ليتم للإنسان خلود لا موت بعده، يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا شهرة دنيوية ولا وسائل إعلام ولا سواها...

وقد أثلج صدري كلام نقله بعض الإخوة الثقات الذين التقوا العام المنصرم بالمطرب المغربي التائب إلى الله عبدالهادي بالخياط، وذلك في شهر رمضان المبارك بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، حيث كان يعتكف متوجهاً إلى ربه راضي النفس هادي البال، بعد أن ترك عالم الضجيج والطرب والغناء.

قال لهم: «الآن عرفت معنى إنسانيتي.. وذقت طعم السعادة التي لا تتحقق إلا لمن يتجه إلى ربه مؤدياً فرائضه، منتهياً عن محرّماته، ثم قال: الشيء الذي يصيبني بالندم والحسرة هو شعوري بضياع خمس وثلاثين سنة من عمري في دنيا اللهو الزائف.. ثم تحدّث عبد الهادي بالخياط قائلاً: أكبر همي الآن أن أعوض ما فات، وأن أجند نفسي لخدمة الدعوة الإسلامية، فأنا أعرف أن هنالك عدداً غير قليل من إخوتي المغاربة ما يزالون مخدوعين بزيف البريق والشهرة الكاذبة في ساحة الفن «المنحرفة»، وسوف أحرص كلَّ الحرص على دعوتهم إلى الله ليخرجوا من شقائهم إلى السعادة التي أشعر بها».

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

وفي هذه الأيام بلغنا خبر اعتزال المطرب المغربي
عبدالوهاب الدوكالي، ثم علمنا أن ذلك كان بتأثير من أخيه
عبدالهادي بالخياط.

ما أروع طريق الهداية وما أجمله!

هنا أقف لأتساءل.. ما دور المجتمع المسلم تجاه هؤلاء
التائبين؟ أرى أن المجتمع يحمل عبئاً كبيراً تجاههم يمكن أن
نشير إليه من خلال النقاط التالية:

- * إظهار الفرحة بتوبتهم، والاتصال بهم لإعانتهم على أنفسهم
وعلى الشيطان، وفتح باب الخير أمامهم على مصراعيه.
- * التعاون معهم بعدم إذاعة أو نشر أعمالهم الفنية سواءً
أكانت أغاني، أم تمثيلات، أم غيرها، فهم لم يتوبوا إلى
الله إلا وقد تبرؤوا من تلك الأعمال، فلا يصح شرعاً ولا
عرفاً ولا عقلاً أن نذيع أو ننشر أعمالهم التي يعتبرونها
بعد التوبة أخطاءً وذنوباً، والمسؤولية في هذا تقع - أول ما
تقع - على المسؤولين في مجال وسائل الإعلام المقروءة،
والمسموعة، والمرئية.

وقد روى بعض من التقوا بالمطرب البريطاني التائب
إلى الله المسلم «يوسف إسلام» أنه قال: «أشد ما يؤذيني

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ويؤرقني أن أرى أحداً يستمع إلى بعض أعمال الغنائية المتبقية من عهد الضياع الماضي...».

وقد آلمني أن رأيت كاتباً في إحدى صحفنا المحلية يطلب من جهاز إعلامي ما ألا يذيع أغاني المطرب المغربي التائب عبدالهادي، ثم نفاجاً في مساء ذلك اليوم بإحدى أغانيه تذاع.. وتساءلتُ عندها:

لماذا نصنع ذلك، ونحن هنا في بلاد الإسلام في هذه الجزيرة الطيبة القائمة على شرع الله أحقُّ الناس بمساعدة التائبين إلى الله وتشجيعهم؟!؟

* يجب أن تنتشر وتذاع أخبار توبة هؤلاء التائبين، وأن تجرى معهم اللقاءات ليتضح للناس مدى إيمانهم وصدق عودتهم ثم ليكونوا قدوة لغيرهم ممن خدعتهم أضواء البريق والشهرة الزائفة.

هذه كلمات أحببت أن أضعها بين يدي قرائنا الكرام، أردت بها أن أرصد - على عجل - هذه الظاهرة الرائعة، ظاهرة الرجوع إلى الله، في وقت كثرت فيه فضائح الوسط الفني، كما هو معروف لدى الجميع.

رسالة:

إلى المكرم والد الطفل سامر سمير، الذي أرى الصفحات الفنية تدفعه هذه الأيام دفعاً إلى عالم الطرب والغناء، وتكيل له المديح والثناء لجمال صوته وحسن غنائه.. وهم بذلك يريدون أن يدفعوا به دفعاً إلى الهاوية التي يحاول أن يتخلص منها بعض من وقعوا فيها.

أقول للسيد سمير والد هذا الطفل... انقذ سامر قبل أن يغرق فيما غرق فيه سواه، ووجهه إلى حفظ القرآن وتجويده وترتيبه لينال بذلك الخلود الأبدي عند الله.. إنها نصيحة من أخ يريد لك ولابنك الخير. والله من وراء القصد..



مهلاً ... فإنَّ الكلمة أمانة

١٤/١٠/١٤٠٩هـ

مدخل:

أرأيتم تلك الساعة التي يتداخل فيها الليل مع النهار... ويتعارك فيها الظلام مع الضياء، فتتظر إليها العين نظرة الإعجاب بمن يرى متضادين ممتزجين، وتقف أمامها النفس حائرة إلى أي شيء تنسبها إلى الليل فما ظلامها بدامسٍ ولا شديد، أم إلى النهار فما ضوءها بصافٍ ولا مبين، أرأيتم تلك الساعة التي تختلط فيها الولادة بالموت، ويتعانق فيها النصر مع الهزيمة، فتحار النجوم لمن تحكم، وإلى من تنتمي، وقول من تصدق، وتظل تلك الحيرة ما ظلت تلك الساعة في نفوس النجوم، وفي قلوب العسافير التي تنتظر بزوغ الفجر، ولكنها لا تراه إلا بعد أن تعيش حيرتها في تلك الساعة العجيبة... نعم إنها عجيبة لأنها تقف بين متضادين وتمسك بين يديها طبقين، في أحدهما ظلام وفي الآخر ضياء، وبين هذين الطبقين تضيع حقيقة الأمر ساعةً من الزمان.. بعدها ينكفئ إناء الظلام ويطفح إناء الضياء نوراً دافقاً يأتي إلى الكون ممتطياً صهوة الشمس، معلناً في وضوحٍ انتهاء ساعة الحيرة،

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

ساعة الامتزاج.. ساعة اختلاط الأشياء.. عندها تعرف النجوم مصيرها فتغمض عينيها مستسلمة لقضاء الله.. وتعرف العصافير موقعها، فتتنفض أجنحتها ثم تخرج من أعشاشها مفردة معلنة بدء الرحلة في طلب العيش، حيث تغدو خماساً وتروح بطاناً. أرايتم أيها الأحبة تلكم الساعة.. إنها مثل واضح لواقع الثقافة والفكر في عالمنا الإسلامي المعاصر.. حيث تضطرب الآراء وتتعدد الاتجاهات، ثم تبحث عن الحق في ذلك فلا ترى إلا قليلاً مما تقرأ يمت إلى الحق بصلة، أما ما عدا ذلك فإنك لا تجد فيه إلا لتأ وعجناً، ومحاولة لتضليل الأفكار وإذابة حدود الفكر السليم والثقافة الأصيلة.

أليست مأساة أن تظل أمتنا الإسلامية في عصرها هذا، تتخبط زمناً طويلاً في مواقفها من حملة الفكر والثقافة فيها، فلا تستطيع في ظل هذا التخبط أن تحكم على مفكر منحرف بالانحراف، ولا على مثقف مريض الثقافة بالضياع؟

أليس مؤلماً أن يظل في مفكري أمتنا ومثقفينا من يرفع عقيرة قلمه ممجداً لكاتب ما، أو مفكر ما، بالرغم مما أثبتت الأيام من انحراف ذلك الكاتب، وضلال هذا المفكر؟.

هل توقفت عجلة الثقافة عند كاتب أو مفكر بعينه..؟ وهل

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

يليق بنا - ونحن أمة تتحسّس مواقعها في هذا العصر - أن
نشغل أنفسنا بتبرئة ساحة كاتب أثبتت لنا أفكاره، وآراؤه أنه
خصم للحق، عدوٌّ لفكر أمتنا الأصيل؟

بل هل يليق بنا - ونحن نسعى جاهدين في دروب الوعي -
أن نبقى حائرين مضطربين في تحديد طريق النجاة لثقافتنا
وفكرنا؟

شيء يثير الدهشة ويزعج نفس الغيور.

لا بأس أن نحدّد ملامح ما نود أن نقوله هنا، وذلك
بضرب بعض الأمثلة التي تضع أيدينا على الداء.

ما تزال تطالعنا بين الحين والآخر كتابات حول بعض
الشخصيات الأدبية والثقافية التي أسهمت بدورٍ ما في وضع
إطار ثقافتنا المعاصرة، فهذا يكتب عن طه حسين، وذلك عن
العقاد، والآخر عن أحمد أمين، وغيرهم.. عن أحمد لطفي
السيد.. ثم نرى من يكتب عن الطهطاوي ولا نعدم كاتباً يكتب
عن الرافعي.. وآخر عن سيد قطب.. إلى غير ذلك من
الأسماء الأدبية والثقافية التي لمعت وعرفها الناس.

والأمر هنا طبيعي لا يثير دهشة ولا يدعو إلى استغراب..
ولكن الذي يثير الدهشة ما تلمسه وأنت تقرأ من قِتامٍ يحيط

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

بالرؤية، فلا تظهر الحقيقة، وإذا ظهرت كانت محاطة بغبار كثيف من الاضطراب.

منذ فترة وبعض الأقلام تكتب عن طه حسين.. منها ما يمجدّه ويجدّد له البيعة بلقب عميد الأدب العربي.. ومنها ما يجرّحه ويصفه بأوصاف التبعية للغرب، والخيانة لفكر الأمة وثقافتها، وبين هؤلاء وأولئك يحدث الاضطراب في ذهن الشباب المتلهّف إلى القراءة المتعطّش لمعرفة الحقيقة في كل ما يقرأ...

ولقد دفعني إلى كتابة هذه السطور ذلك السؤال «الملتهب» الذي أطلقه شاب من شبابنا حديث عهد بالقراءة شغوف بها أيما شغف.

قال: ما حقيقة طه حسين، ونجيب محفوظ..؟ أقرأ تمجيداً لهما، وإطراءً منقطع النظير، ثم أقرأ في الجانب الآخر تعرية ثقافية لهما فأراهما بعد ذلك الإطراء والتمجيد صغيرين جداً؛ لأن من كتب عنهما معارضاً قد أوضح ولاءهما لفكر الغرب وثقافته، ويستطرد الشاب قائلاً:

لو كان الأمر مقتصرًا على صغار الكتاب الذين يحلو لهم تناول اللامعين رغبة في اللامع كان هيئاً.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ولكن المشكلة تتمثل فيما نقرؤه لبعض الكتّاب الكبار والعلماء والشيوخ من تمجيد لمثل هذين الكاتبين. وسكت الشاب ثم قال: أين أضع قدمي؟ وكيف أستطيع تحديد موقفي؟. من أصدق ومن أكذب؟ ثم لزم بعد ذلك الصمت.

شيء مؤلم حقاً.. إننا نجني على هذه البراعم المتفتحة حينما نطلق لأقلامنا العنان ونجلدها بسياط عواطفنا لتنتقل في ميادين الصحافة، تسطر من الكلام ما يزرع شوك الحيرة في أذهان شبابنا المتطلع إلى الحقيقة.

هنالك نقطة يمكن أن ينتهي عندها الخلاف لو سلم الأمر من العواطف والانفعالات. هذه النقطة تتمثل في وجوب اعتماد ما كتبه المفكر والعالم والأديب طريقاً للحكم على فكره وعلمه وأدبه، ولا شك أن فكر المفكر، وعلم العالم وأدب الأديب جزء لا يتجزأ من شخصيته.. لأنه يكتب للناس خلاصة ما يؤمن به من أفكار ومبادئ، وفي حروفه يظهر ولاؤه وبرأؤه وتظهر حقيقة انتمائه.

فمثلاً - طه حسين - كاتب فارق الحياة وأفضى إلى ما أفضى إليه، هناك حيث يجد كتاباً لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فارق الحياة وترك لنا كتباً متعددة هي خلاصة

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشماوي
فكره، وثقافته فيها يبرز اتجاهه، ومن خلالها تظهر قناعته،
وفي سطورها وبين كلماتها تكمن حقيقة انتمائه.. ومادام الأمر
كذلك فإن الواجب على الكاتب كبيراً كان أم صغيراً أن ينظر
بموضوعية وأمانة إلى إنتاج طه حسين، وأن يدرسه دراسة
واعية، ثم يصدر بعد ذلك أحكامه على فكر هذا الرجل
وثقافته، وسيجد حينها أنه راعى الحق فيما صنع.. فلا يجد
في نفسه غضاضة أن يحكم على هذا الكاتب بأنه كان مصاباً
بداء التبعية للغرب.. وكان مغرماً بمصادمة حدود الشرع
الإسلامي في كثير مما كتب حتى واجه ربه.

وهنا يأخذ الحكم العدل مجراه.. فلا يصح عندها لمحب
لطه حسين أن يدافع عن فكره دفاعاً انفعالياً ويحكم له
بالاستقامة الفكرية؛ لأنه يحبه، وذلك يصدق أيضاً على
الجانب الآخر وهو أنه لا يجوز لكاتب عادل أن يسيء إلى
مفكر أو أديب بغير حق لأنه يكرهه وقد حذرنا القرآن من ذلك
حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓيْٓ اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا
هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾ [المائدة: ٨].

وهذا منهج في الكتابة لا مثيل له، وعليه سار أكثر الكتاب
والعلماء المنصفين من سلف هذه الأمة.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

أما أن يأتي كاتب فيحكم على مفكر أوله بغير علم وبغير عدل ولا موضوعية فذلك لا يقبله العقل السليم، ولا يقره شرعنا الحكيم.

هنا أعود في انعطافٍ سريعٍ إلى ذلك الشاب الذي أشعل أسئلته في وجهي حين قابلته.. مَنْ المسؤول عن حيرة هذا الشاب؟.

المفكرون والمثقفون الواعون هم المسؤولون عنه وعن أمثاله.

ولذلك كان لزاماً على كل عالم ومثقف، كبيراً كان أم صغيراً، أن يتقي الله تعالى فيما يكتب وأن يلقي بعواطفه وميوله جانباً. لأنه يكتب لأجيال تبحث عن الحقيقة، وتفتش عن أرضٍ قوية تقف عليها في ساحة الثقافة العالمية المائجة.

ما الذي يضيرنا إن كانت الحقيقة تثبت أن طه حسين كان غربي الفكر والهوى، وأنه نادى إلى ذلك صراحةً وتبنّاه عندما كان مسؤولاً يملك صنع القرار الثقافي بيده؟! ولماذا يدعونا إعجابنا بأسلوبه إلى تجاهل حقيقة فكره؟. ثم لماذا نرتكب جناية كبرى في حقوق أجيالنا الناشئة بما نطلقه من كلامٍ عاطفي نمجد فيه هذا الشخص أو ذاك؟!

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

إن الأمر يندرج على كل أديب أو كاتب أو مفكر انحرف
عن مسار الحق.

فنجيب محفوظ شأنه في ذلك شأن طه حسين.. أدبه
مطروح بين أيدينا وهو الميزان الدقيق في الحكم على فكره
واتجاهه الثقافي، ذلك إذا كنا حريصين على الحق بعيداً عن
التعصب الأعمى.

إن الكاتب المنصف لا يجعل الميزان في حكمه على نجيب
محفوظ وأدبه وما ناله من تلميع، وما حصل عليه من جوائز،
بل يلجأ إلى رواياته وقصصه ومقالاته ولقاءاته وتصريحاته،
يدرسها دراسة مركزة، ومن خلالها يطلق أحكامه على أدبه
وفكره، ولن يضير الأمة أن يصل الدارس إلى نتيجة صحيحة
تؤكد تبعية نجيب محفوظ للغرب فكراً وثقافة ومنهجاً، ولا
يعني ذلك بحالٍ من الأحوال نفي الإبداع الفني عنه، وقل مثل
ذلك عن غيره من الكتاب والأدباء والعلماء.

أيها الأحبة.. إن للكلمة أمانة، ولن نستطيع إنقاذ الساحة
الثقافية في عالمنا الإسلامي من مرحلة «المابين»، مرحلة
«الحيرة والاضطراب» إلا بوضع أسسٍ لثقافتنا تنبثق من
إسلامنا العظيم، الذي يدعونا إلى المحافظة على الأمانة، وإن
أمانة الكلمة لعظيمة فهل نحافظ عليها؟ أرجو ذلك...

عبد الله عزام ... في ذمّة الله

١٤١٠/٤/٢٧ هـ

كان صوت «أبي حذيفة» المجاهد السعودي هادئاً رزيناً، حين كان يحدثني هاتفياً من بشاور قائلًا: أبشرك أن الأخ المجاهد الشيخ عبدالله عزام قد نال ما تمناه.. فقد قتل قبيل صلاة الظهر «الجمعة»، ومعه ولداه على إثر لغم فجر سيارته وشطرها نصفين.. إنها الشهادة التي كان يطلبها - إن شاء الله -.

حقاً.. إنه خبر محزن مفرح.. محزن لأنه يتضمن نبأ فراق مجاهد مسلم، تغبر في السرايا، وبذل ماله ونفسه وولده في سبيل الله.. والفراق رهيب وصعب كأنما تنتزع فيه الأرواح.. فراق الأحباب مؤلم.. إنه لهيب يحرق القلب. وفراق مثل «عبدالله عزام» أكثر إيلاماً.. لأنه يعني أن الأمة الإسلامية قد فقدت بطلاً من أبطالها.. شامخاً شموخ الجبال الراسيات.. صادقاً - إن شاء الله - في توجُّهه إلى الله.. وفي جهاده.. واعياً في مسيرته، ينظر ببصره المؤمن إلى ما يدور حوله.

وإنه لخبر مفرح لأن أمنية «عبدالله عزام» قد تحققت به.. وإنها أمنية صادقة ظلَّ يتمناها منذ أن وضع قدمه في

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشماوي
ركاب الجهاد في فلسطين، ثم انتقل إلى أفغانستان بنفسه
وماله وأهله.. وإن الذي قدر له أن يلتقي بهذا المجاهد البطل
ليرى صورة « هذه الأمنية » بارزة في ملامح وجهه، وفي
نظرات عينيه.

«عبدالله عزام» سنواتٌ من العطاء.. الجهاد.. التتُّلُّ بين
جبهات القتال في أفغانستان.. سعي دائب إلى الدعم المادي
والمعنوي للمجاهدين.. إصلاحٌ بين فصائل الجهاد التي قد
تحدث بينها نقاط خلاف، شأن أي جماعة في أي زمان
ومكان.

قال لي في لقاءٍ أجرته معه في الرياض قبل أسابيع في
مقر رابطة العالم الإسلامي بالرياض: «همنا الكبير - الآن - أن
نخزن المواد الغذائية في الجبهات التي تحيط بكابل استعداداً
للشتاء الذي تنقطع أثناءه الطرق، وتسد المنافذ على
المجاهدين، وشغل المجاهدين في هذا الصيف الاستماتة
للوصول إلى ضواحي «كابل»، حتى يتسنى لهم مواصلة المعركة
في أحيائها الخارجية أثناء الشتاء تمهيداً للربيع القادم إن شاء
الله».

ذلك هو همُّ المجاهد عبدالله عزام.. ولا أكتُم الإخوة
القراء أنني - حينها - شعرت بالتضاؤل أمام هذه الشخصية

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

المجاهدة.. شعرت بالخجل وأنا أستمع إلى همّ «عبدالله عزام» الذي كان يشغل باله ويستغرق وقته، بينما أقصى همّ أحدنا عندما يأتي الصيف.. أن يفكر كيف يقضي إجازته، وفي أي المصايف يقضيها؟

لقد كان لجهود هذا الرجل دور كبير في مسيرة الجهاد الأفغاني.. يعترف بها قادة الجهاد جميعاً ويقدرونها، ويحبون هذا الرجل حباً جماً، لأنه لم يكن يدخر من وقته شيئاً لنفسه، بل كان يبذل ما في وسعه لدعم مسيرة هذا الجهاد المبارك.

والجهاد الأفغاني أيها الأحبة الذي عشقه عبدالله عزام مدرسة روحية عظيمة.. مدرسة إسلامية فريدة؛ لأنه حرك مشاعر الأمة الإسلامية إلى الأعلى.. كسر حاجز الخوف والتردد أمام أعين الأعداء.. مدرسة إيمانية جعلت من الشباب الذين كانوا ينشغلون بتوافه الأمور رجالاً - أبطالاً لا يخافون في الله لومة لائم.

ولهذا فقد حققت هذه المدرسة الإيمانية معجزة هذا القرن الكبرى؛ ألا وهي هزيمة الدولة العظمى «الجبروتية» روسيا... هزيمتها برغم طائراتها ودباباتها ومدافعها.. بل إن المبدأ الشيوعي قد اندحر وتراجع، وما يجري الآن في روسيا نفسها وفي بعض الدول الأوروبية الشيوعية يؤكد هذا الانحدار

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشماوي

الكبير للشيوعية أمام مدرسة الإيمان.

وكان لعبدالله عزام - غفر الله له ولولديه وحقَّق له الشهادة التي أراد - دوره الكبير في بناء هذه المدرسة والحفاظ عليها، وتنظيم صفوفها.. وكان يبذل في سبيل ذلك جهوداً كبيرة يعرفها القريبون منه، ويشعر بها البعيدون عنه.

ونحن حينما نحزن على هذا المجاهد، ونبكي عليه وعلى فراقه، فإنما نستجيب في ذلك لنداء القلب الذي يحزن والعين التي تدمع لهول المصاب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا - إنا لله وإنا إليه راجعون -.

ولا تظنوا أيها الأحبة.. أن هذا المجاهد كان بمنأى عن الدسِّ والتشويه ووسائل التشكيك في نواياه وجهوده.. كلا.. فقد تعرَّض وخاصةً في الأشهر الأخيرة لمحاولات ظالمة من أعداء الإسلام، استهدفت تشويه صورة البطل المسلم حتى تحدَّ من قوَّة تأثيره في ساحة الجهاد.. وإن بعض الإذاعات الأجنبية قد خصصت برامج معينة موجهة إلى أبناء أفغانستان، فيها طعن في الدكتور عبدالله عزام، وكذب صريح عليه بأنه يريد أن ينظم من المجاهدين العرب هناك حزباً يشارك الأفغان في السلطة، ويستولي عليها.. وهي

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

- وإن كانت محاولات خطيرة - لم تكن لتؤثر في نفوس المجاهد الأفغاني الذي يرى عبدالله عزام.. وأسامة بن لادن، وغيرهما من مجاهدي العرب المسلمين ينتقلون من خندق إلى خندق، ومن جبهة إلى جبهة تحت وابل من الرصاص، وللمتفجرات من تحتهم دويٌّ رهيب، وقد تحدّث القائد المجاهد «عبد رب الرسول سياف» عن دور المجاهد العربي «تميم العدناني» في تصديه للأعداء وتعرضه للخطر بما يؤكد هذه الحقيقة، وتميم العدناني الذي مات قبل أسابيع بالسكتة القلبية - رحمه الله - كان ملازماً لعبدالله عزام، عوناً له في جهاده الصادق.

نعم تعرّض هؤلاء لتشويه الأعداء، وذلك أمر معروف ومتوقع، ولكن الأمر الذي يبعث كوامن الألم في النفس.. أن يأتي مثل هذا التشويه من بعض المسلمين.. حيث يلقون بالتهمة والأقوال جزافاً دون تحقيق أو تمحيص، ودون تطبيق لما أمر به الله تعالى من وجوب التثبت من الأخبار.

لقد كنت أقرأ في وجه «عبدالله عزام» - رحمه الله - الألم الممض، والحسرة الشديدة وهو يتحدث عن هؤلاء...

وكان من آخر الكلام الذي قاله لي: «إنه لأمر مؤسف ومؤلم أن أواجه بتهمة باطلة ليس لها أساس من الصحة في

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشماوي

الوقت الذي كنت أنتظر فيه من الناس أن يسألوني عن أخبار الجهاد».

ولهذا فما كان - رحمه الله - يشغل نفسه ووقته بالرد على أولئك، وإنما كان يركّز على بيان أمر الجهاد حتى قال: «قبل أن آتي إلى المملكة التقيت في (بشاور) بقائد الجبهة التي تحاصر كابل.. فقلت له: ما الذي جاء بك إلى هنا، وكيف تترك جبهتك وأنت تعلم أن الحكومة الشيوعية تعد العدة لمهاجمتكم؟ فقال القائد: يا دكتور عبدالله جئت أبحث عن الطحين، فلم يعد في مخازن الجبهة العسكرية غير كيسين من الطحين»، يقول الدكتور عبدالله معلقاً: «إنه لأمر مؤسف أن نرى بعض المسلمين ينشغلون بالأقاويل حول الجهاد وقادته، وينسون بذل العون لإخوانهم هناك». طحين.. نعم طحين.. يبحث عنه قائد جبهة كابل التي تقلق الحكومة الشيوعية العميلة وتقف على مشارف العاصمة الأفغانية تتهياً لتحريرها من عملاء الشيوعية.. لله وجهك أيها المجاهد المسلم وهو يتفصّد عرقاً.. ويحمرُّ حزناً وأسفاً وأنت تذكر لي ذلك.

لقد رأيت الدكتور عبدالله عزام في هذا اللقاء الذي تم من قبل في الرياض، وهو قلق على الجهاد يعد الساعات والدقائق شوقاً إلى العودة إلى هناك.

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

ولقد ذكر لي بقدر كبير من الراحة... سعادته باللقاء الذي تم بينه وبين أمير منطقة الرياض.. حيث تذاكر معه في هذا اللقاء شؤون الجهاد الأفغاني وكان مسروراً بنتائج هذا اللقاء..

وقد قال لي بالحرف الواحد.. إن المملكة العربية السعودية هي البلد الإسلامي الوحيد الذي يدعم الجهاد الأفغاني على كافة المستويات، كما عبّر لي عن حبه العميق لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الذي يبذل جلاً ووقته لخدمة الإسلام والمسلمين.

وسافر عبدالله عزام.. رحل إلى عرينه.. إلى روضته التي يحبها روضة الجهاد في أفغانستان.. سافر وقد طلق الدنيا ثلاثاً.. وكان شوقه إلى ساحات الجهاد قوياً وعارماً.. سافر وكانت نفوسنا معلقة بالأمل في أن نلتقي به مرة أخرى.. الآن سافر السفر الأكبر.. رحل عن الدنيا بجسمه، وقد رحل عنها بقلبه من قبل، ومعه ولداه الصغيران إنها الشهادة - إن شاء الله - نالها المجاهد الذي صدق ما عاهد الله عليه.. وأملنا أن يجمعنا الله به في مستقر رحمته.

موت الشهيد حياته، وحياتنا

في لهونا الفتاك عنوان الردى^(١)

وأخيراً أقول: سُحْقاً للجنة الظالمين، فإن الجهاد باقٍ، وإن

جولة الباطل ساعة، وجولة الحق إلى قيام الساعة.



(١) من قصيدة في رثاء الشهيد أحمد عبد الله الزهراني .

إنه السلوك الحضاري

١٤١٠/٤/٤

يثلج صدرك.. يحملك على أجنحة الفرحة.. يطير بك في
آفاق الصفاء، أن ترى فتاةً مسلمة تعتز بإسلامها.. تقف به
شامخة في وجه كل دعوة مفرضة تدعو الناس إلى الذوبان
والضياع...

رائع أن ترى فتاةً مسلمة تقف في تحدٍ قوي أمام من
يريدون تحطيم مستقبلها العلمي والديني إذا لم تتخلَّ عن
حجابها.

هذا ما حدث في الأيام الماضية عندما حاول ناظر مدرسة
فرنسية في باريس أن يجبر - بكل تعنت - الفتاة المسلمة
المتحجبة فاطمة شعبيون وأختيها ليلي وسميرة على نزع
الحجاب عن رؤوسهن، مخالفاً بذلك ما تنادي به بلاده
(فرنسا) من مراعاة لحقوق الإنسان وحرية الأديان - كما
يزعمون -.

ونحن هنا لن نناقش موضوع ما يسمَّى الآن «بالحجاب
الإسلامي» الذي انتشر في أنحاء العالم وهو حجاب تغطي به

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

المرأة شعر رأسها فقط. وهل هو الحجاب المأمور به أم لا.. وهل يصح أن يوصف بأنه الحجاب الإسلامي، مع ما نعرفه من أن الحجاب الإسلامي يتمثل في أن تدلي المرأة جلبابها على رأسها، وأن تغطي به وجهها وصدرها.

لن نناقش هذا الموضوع الآن، ولكننا سنناقش تلك الهجمة «العلمانية» الشرسة على الإسلام التي تشنها الصحافة الفرنسية هذه الأيام، أتدرون لماذا؟ لأن ثلاث فتيات مسلمات أتين إلى المدرسة محتشمات يرتدين ثياباً طويلة ويغطين رؤوسهن.. يفعلن ذلك تطبيقاً لما أمر به الشرع الإسلامي من الاحتشام والستر.

واجهتهن المدرسة بالرفض القاطع لهنَّ إلا إذا خلعن حجابهنَّ.. وهنا يبرز جوهر الالتزام عند المسلم.. هل يطيع الناس في معصية الله.. هل يهتزُّ وينهزم نفسياً وفكرياً أمام أولئك الحاقدين؟

فاطمة وأخواتها كن مؤمنات تمام الإيمان بأن حجابهنَّ أمر شرعي لا مجال للتخلّي عنه مهما سخر منهن الساخرون، ومهما هاجمهن الحاقدون.. وهذا الموقف وحده يكفينا دليلاً على عظمة ديننا حينما يصوغ عقول أتباعه ويبني نفوسهم.. دين لا يعرف الضعف ولا الانهزام.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

انتقلت هذه القضية من المدرسة إلى وزارة التربية، ومنها إلى وسائل الإعلام والصحف الفرنسية وبعض الصحف الأوروبية الأخرى.. ونفتت أفاعي العلمانية سمومها.. حيث برزت في الصحف عناوين كبيرة تتال من الإسلام والقرآن والرسول ﷺ.. وتصف الإسلام والمسلمين بالترمت والتخلف وعندما تبحث عن السبب وراء كل ذلك تجده تمسك ثلاث فتيات مسلمات صغيرات بحجابهن.. ثم نتساءل هل يليق هذا بمن يدعون أنهم يناصرون الحرية.. والديمقراطية؟

وتجد نفسك أمام سؤال آخر.. لو أن فتاة نصرانية أو يهودية أو لا دينية، دخلت المدرسة مغطية رأسها ومرتدية ثوباً طويلاً، أفكنا نرى مثل هذه الضجة التي أقامت فرنسا ولم تقعدا إلى الآن؟

كلاً.. ما كنا لنرى ذلك.. أما والأمر يتعلق بفتاة مسلمة فإنه يختلف؛ لأنها لا تصنع ذلك برأيها، وإنما تطبق ما أمرها به الإسلام من الاحتشام؟

نعم هذا العملاق الذي يزعج دعاة الانحلال والكفر في العالم كله... ويجعلهم متأهبين دائماً لحربه وتحطيم معنويات أبنائه ذكوراً أو إناثاً.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

لا بأس عندهم أن تدرس الفتاة المسلمة المهاجرة في مدرسة فرنسية فإن ذلك يساعد على تلقينها مبادئ العلمانية الزائفة.. ولكن هذه الفتاة تصبح خطراً كبيراً عندما يبدر منها ما يدل على إحساسها بدينها وحرصها عليه.

القضية الآن تغلي غلياناً شديداً على نار الإعلام العلماني في فرنسا، وقد تشعبت وكثر الخلاف حولها.. وانطلقت من بين الأصوات المستكرة أصوات هادئة تتحدث بلهجة فيها قدر كبير من الموضوعية، ومن بين تلك الأصوات صوت السيدة «دانييل ميتران» زوجة الرئيس الفرنسي التي قالت: إنني لا أرى جريمة في الحجاب، بل الجريمة أن تمنع طالبة من حقها في التعليم.. إلا أن الأصوات المعتدلة سرعان ما تتلاشى في خضم العنصرية المقيتة وأمام أصوات العلمانيين الحاقدين على الإسلام وعلى كل دين.

إنه العداة الحقيقي لديننا يبرز في كل اتجاه وعلى كل صعيد. والذي يؤسف له أن بعض الأقاليم العربية تناولت مثل هذه القضية.. ببرود حتى إن كثيراً من الصحف تعرضها على استحياء.. وبشيء من الخجل، وكأن الأمر لا يعنيننا نحن المسلمين، بل إن بعض الصحف العربية والإسلامية قد تجاهلت القضية تماماً.

عبد الرحمن بن صالح العثماوي ————— بلادنا والتميز

إن الغرب بكل مؤسساته وطوائفه واتجاهاته ينظر إلى الإسلام نظرة حقد وكراهية، فهم قد يسمحون بكل اتجاه فكري أو سياسي أن يبرز، ولكنهم يفقدون أعصابهم عندما يكون ذلك الفكر إسلامياً.. كل دعوة لحرية الرأي والفكر ينادون بها تتلاشى في أذهانهم عندما يرون مسلماً أو مسلمة يلتزمون بالإسلام منهجاً وسلوكاً، وفي قضية الحجاب التي ثارت هذه الأيام دروس كثيرة يمكن أن نفيد منها ومن تلك الدروس:

قدرة المسلم على المواجهة والصمود الحقيقي - الذي لا ادعاء فيه - أمام كل التيارات التي تحاول أن تجرفه، وذلك عندما يعرف هذا المسلم حقيقة دينه ويلتزم التزاماً صادقاً بهذا الدين.

ومن الدروس... أن معركتنا مع الأعداء ليست سياسية ولا عسكرية.. ولكنها معركة دينية يواجه فيها باطلهم الحق الذي أنزل الله به كتابه وبعث به رسوله خاتماً للأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والتسليم.. حتى الغزو الفكري والثقافي الغربي للمسلمين لا يقصد من ورائه إلا تحطيم الشخصية الإسلامية القوية وتفتيتها حتى لا تقوى على مواجهة الباطل.

والمؤتمرات واللقاءات الاستعمارية والتبشيرية التي عقدت

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

وما تزال تعقد في أنحاء العالم تدل على ذلك دلالة واضحة.

ولنأخذ مثلاً على موقف الغرب من الإسلام ما جرى في أفغانستان، حيث ظلت بعض الدول الغربية تعبر عن استنكارها للغزو الروسي لأفغانستان وتؤيد دفاع المجاهدين عن بلادهم.. حتى إذا تحققت - بإذن الله - هزيمة روسيا أمام المجاهدين الصابرين رأينا تلك الدول الغربية وقد تحققت لديها عزم المجاهد المسلم على المضي قدماً لإقامة دولة الإسلام في أفغانستان، رأيناها تغير لهجتها من النقيض إلى النقيض.. ورأينا بعض الدول الغربية تقوم بدور الإرجاف داخل صفوف المجاهدين، باذلة جهوداً كبيرة لتعطيل المسيرة خوفاً من قيام دولة إسلامية في أفغانستان المسلمة.

وقس على هذا أمور كثيرة يمكن سردها هنا، ولا تخفى على كثير من أبناء المسلمين .

نعود إلى موضوع الحجاب.. وما حدث في فرنسا.. لنقول:

إن من الدروس التي تفيدها في هذه القضية.. أهمية بناء الشخصية الإسلامية المحصنة من الداخل عند أجيالنا ذكوراً وإناثاً، بناءً تربوياً، ناجحاً وبهذا نستطيع أن نواجه العالم كله بأفكاره ومذاهبه واتجاهاته دون خوف.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

فإن نقطة الضعف في المسلمين اليوم - أكثر المسلمين - أنهم مهزومون من الداخل، والمهزوم داخلياً يظلُّ فريسة سهلة للاقتناص من قِبَل الآخرين.. ولولا تلك الهزيمة الداخلية، لما رأينا من مفكري المسلمين من يتحمَّس لفكر منحرف يستورده من شرق أو غرب، ولما رأينا من أدباء المسلمين من يستमित في الدفاع عن مذاهب واتجاهات أدبية مناقضة للإسلام مناهضة له، ولما رأينا فتاةً مسلمةً تخلع حجابها، وتتخلَّى عن حشمتها باسم التحرر والاستقلالية، لولا تلك الانهزامية لما رأى أحدنا فتاةً مسلمةً واحدةً تتخلَّص بضجر شديد من زيِّها الإسلامي المميِّز، بمجرد انتقالها من مجتمعها إلى مجتمع غربي...

البناء الداخلي للشخصية المسلمة ضروريٌّ جداً في هذا العصر بالذات؛ لأن الذوبان حدث لكثير من المسلمين، وما كان ليحدث لو بنيت شخصياتهم من الداخل.

وفي قصة الفتيات المغربيات المحجبات - موضوع هذه المقالة - دليل كبير على ذلك.

فقد أشارت وسائل الإعلام إلى موقف والدهم من القضية حيث رفض الأب - بدون تردُّد - أن يجعل بناته يخضعنَ لمطالب ناظر المدرسة الفرنسية، رفض ذلك وهو شامخ الرأس، لأنه قد عرف كيف يبني الشخصية الإسلامية

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

داخل نفوس بناته، كما رفضت ذلك أمهنَّ المسلمة الملتزمة.

اسمعوا إلى ما تقوله ليلى للصحفيين وهو ما قالت من قبل لناظر المدرسة، قالت: «إن من حقي ارتداء الحجاب، وسأستمر في ارتدائه مدى الحياة؛ لأنني أشعر براحة نفسية عندما أتقيّد بتعاليم ديني الإسلامي الحنيف».

أتدرون كم عمر ليلى هذه؟.. عمرها كما أشارت إلى ذلك وسائل الإعلام ثلاثة عشر عاماً.. ابنة ثلاث عشرة سنة تقول هذه الكلمات العظيمة وتقف هذا الموقف القوي الذي أثار ضجة كبرى ليس في فرنسا وحدها، ولكن في العالم أجمع؟!!

لماذا قالت ليلى شعبيون هذا القول؟ لأن أباهما قد عرف كيف يبني شخصيتها الإسلامية من الداخل.

إنها رسالة - لا ككلّ الرسائل - تبعثها ليلى إلى كل فتاة مسلمة مهزومة، من الداخل تسعى بغير بصيرة إلى تقليد نساء الغرب، وتقتل وقتها باللهو والاهتمام بالأزياء والمساحيق.. تقول ليلى لهنَّ هاأنذا برغم صغر سني أتحدّي العالم كلّهُ، بمحافظتي على تعاليم ديني الذي حفظ لي كرامتي، ورفعني عن كل دنس.

ما أروعها من رسالة... وما أروعها من التزام!

جرجي زيدان وحقائق التاريخ الإسلامي

«جرجي زيدان في روايته عن تاريخ الإسلام تشويه
لحوادث العرب في الإسلام.. ونقل للروايات بلا تعليل ولا
مقايسة».

هذه الجملة أطلقها منذ زمنٍ بعيدٍ الكاتب «معروف
الارناؤوط»، منبهاً إلى خطورة المنهج الذي سلكه جرجي زيدان
في كتابته لروايات تاريخ الإسلام.

ومع ذلك فقد ظل «جرجي» يكتب، ورواياته تُتشر بطريقة
عجيبة مثيرة للتساؤل.

وقد حدثني أستاذي الدكتور «عبدالرحمن رأفت الباشا»
- رحمه الله - أنه اشترى تسعاً من روايات تاريخ الإسلام
لجرجي زيدان بثلاث ليرات سورية عام ١٣٨٠هـ تقريباً.. وقال
معلقاً.. إن هذا السعر لا يغطي تكاليف غلاف واحدةٍ من تلك
الروايات.

ومضت مركبة التشويه للتاريخ الإسلامي التي دفع بها
جرجي زيدان إلى الأمام.. وزادها رواجاً أن بعض دور السينما

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

أخرجتها في أفلامٍ سينمائية وتلفازية دون تنقية لها.. بل عرضت على حالها، مما أساء إلى التاريخ الإسلامي إساءة كبيرة.

وحتى لا نخرج عن طريق الموضوعية نقول:

مما لا شك فيه أن جرجي زيدان قد سلك طريقاً جديداً في عرض أحداث التاريخ الإسلامي.. وهو طريق الرواية الفنية، مستفيداً بذلك من الرواية في الأدب الغربي.. ونحن نعلم أن في هذا المنهج تشويقاً للقارئ.. فهو بدلاً من قراءة أحداث التاريخ الإسلامي في أمّهات الكتب على ما في ذلك من صعوبة وتعب.. يطلع عليها مقرونة بالتشويق الفني.. والإضافات الخيالية «الغرامية» التي تشيع في روايات جرجي زيدان.

ولكنّ هذا السبق لا يجعلنا نغفل الحقيقة التي لا تقبل النقاش، وهي ذلك «السوء» - مقصوداً كان أم غير مقصود - في تلك الروايات.. وهو سوء لا يمكن السكوت عليه بحجة «السبق» الذي سجّله جرجي زيدان في ميدان كتابة روايات التاريخ الإسلامي.

وهذا الرجل معروف المنشأ.. وخطواته الفكرية والثقافية

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

منقوشة على أرض الأدب العربي المعاصر.. وولاؤه لدينه
النصراني واضح.. كما أن ولاءه للماسونية واضح كذلك.

أما وولاؤه لدينه.. ومحاولته تشويه ما عداه من الأديان
وخاصة دين الإسلام فظاهر في رواياته عن تاريخ الإسلام.

ظاهر في تتبعه لمواقف الخلاف ومناطق الظلام في التاريخ
الإسلامي، وتجاهله لمناطق الضوء في هذا التاريخ العريق..
وإن عودة إلى روايته.. أرمانوسة المصرية، والأمين والمأمون،
صلاح الدين، عذراء قريش، وغيرها لتؤكد ما ذكرناه.. حيث
نرى في هذه الروايات الأديرة والكنائس تمثل مكان الأمان
والاطمئنان.. بينما تمثل الدولة الإسلامية.. ومساجدها مكان
القلق والخوف وموطن الخلافات، أما ولاء جرجي زيدان
للماسونية فهو واضح من خلال كتابه «تاريخ الماسونية»، الذي
صدر عن دار الجيل في بيروت، وفيه يفتخر جرجي زيدان
بانتمائه إلى المحفل الماسوني، ويدافع عن الماسونية ويرى أنها
مكملة للدين، فهو يقول في صفحة (١٨١) من الكتاب: «فقد
اتهم رجال الدين الماسونية بالكفر... أما نحن فمع إجلالنا
هذه الجمعية عن تلك التهمة، ومع يقيننا أنها براء منها، لا
يسعنا الإنكار أن من بين أعضائها أفراداً قليلين ربما تصح
عليهم تلك التهمة».

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

ويقول في مكان آخر من الكتاب: «ما برحت الماسونية من يوم نشأتها عرضةً لألسنة القوم يسلقونها بألسنة حداد، وهي - بحمد ربك - راسخة الأصول، قويمة العماد، حليفة السداد».

وهكذا نرى كلاماً خطيراً عن جمعية إرهابية عالمية، تسعى إلى هدم القيم والأخلاق والأديان تحت شعار العدالة والحرية والإخاء.

إن ظاهرة «جرجي زيدان» تستحق أن نقف عندها طويلاً لبيان أبعادها وخطورتها.. خاصة وأنها تستظل - ظاهراً - بظل الإسلام.. وهذا ما يخدع عامة الناس وأصحاب الثقافة المتواضعة منهم.

ولسنا بصدد مناقشة الناحية الفنية في روايات جرجي زيدان؛ لأن المقام لا يتسع لذلك.. ولكن يمكن أن نقول - ونحن مطمئنون - : إن رواياته مفككة مهلهلة من الناحية الفنية، وقد عبر عن ذلك الدكتور محمد يوسف نجم في كتابه «فن القصة»، حيث قال: «ويلجأ الكاتب إلى خديعة القارئ، فيربط أجزاء من قصته بسرٍ يحتفظ به طوال القصة»، وهذا ما فعله زيدان في «عذراء قریش» وهي لعمري طريقة رخيصة، وخدعة غير مستحبة، وأسلوب مهلهل مفضوح في التشويق والمماطلة».

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

وأقول: ربما نعذر زيدان على هذا الأسلوب المفكك، لأن رواياته تعد تجربة أولى في مجالها.. ولكن ذلك لا يجعلنا نتقبل ما ورد في رواياته من تشويه لتاريخنا الإسلامي العريق.
هذا هو جرجي زيدان في تعامله مع حقائق التاريخ الإسلامي.. فما رأي القارئ الكريم؟



لبنان المرابطين.. متى يندمل الجرح؟

١٥/٩/١٤١٠هـ

فاحة:

القتلى، أربعمئة وخمسون ألفاً، الجرحى، ثمانمئة ألفٍ حسب الإحصاء البريطاني، ومليون وخمسمئة ألفٍ حسب الإحصاء الفرنسي. والمخطوفون اثنان وعشرون ألفاً، المفقودون اثنان وعشرون ألفاً. المعوقون ثلاثون ألفاً. المهجرون تسعة عشر بالمائة من السكان. العاطلون عن العمل ثلاثة وعشرون بالمائة من السكان، والأيتام مائة وخمسون ألفاً.

هذه الإحصائيات تشمل الفترة من بداية الحرب إلى عام (١٩٨٨م) فقط، أي أن ما حدث بعد هذا التاريخ غير داخل في الإحصاء.

قامت بعمل هذه الإحصاءات مؤسسات عالمية، منها هيئة الأمم المتحدة بأمريكا، والمنظمة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان بجنيف، والجمعية البريطانية للدفاع عن الأقليات، والجامعة الأمريكية في بيروت، وبرنامج الخليج العربي لدعم مؤسسات

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

الأمم المتحدة الإنمائية، واللجنة الفرنسية لتنظيم الأسرة،
والجمعية الكويتية لدعم الطفولة العربية.

وعندما نتابع هذه الإحصائيات بدقة، نجد أن معظمها من
المسلمين؛ لأن حرب لبنان المدمرة قد دارت رحاها في
مناطقهم على وجه العموم، بيروت، طرابلس، وصيدا بصفة
خاصة.

هذه هي - أيها الأخ الكريم - مساحة الجرح اللبناني
الغائر.. وإليك البيان:

أولاً: أعتذر إلى القارئ الكريم إن كنت قد أثرت شجونه
بهذه الفاتحة المؤلمة التي بدأت بها مقالتني.. إنها مؤلمة حقاً،
ولكنها حقيقة ماثلة للعيان لا مجال لتجاهلها، وكيف نتجاهل
حديث الجرح النازف في لبنان المرابطين؟

لبنان المرابطين؟!..

نعم يحدثنا تاريخنا الطويل عن لبنان فيقول: «بعد الفتح
الإسلامي للبنان (١٥هـ ، ٦٣٦م)، وإجلاء البيزنطيين عنه وعن
سورية، بدأت محاولة البيزنطيين الجادة لاسترداده بالنظر إلى
موقعه الاستراتيجي في المنطقة ، وجهاز البيزنطيون أسطولهم
البحري، ووجهوه نحو سواحل لبنان وبدؤوا بشن سلسلةٍ من

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشاوي

الغارات عليه واتخذت القيادة الإسلامية الفاتحة، والمؤلفة آنذاك من «أبي عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهم -»، اتخذت هذه القيادة التي كانت تحت إمرة أبي عبيدة قراراتها بشأن حماية الساحل اللبناني وتحصينه، فأرسلت مقاتلتها إلى الساحل الشمالي والأوسط، والجنوبي للمرابطة.

ولصد الغارات المتكررة وبذلك استقرت الجموع الإسلامية الفاتحة ومن ارتبط بهم في الفتح على الساحل اللبناني عموماً، وفي طرابلس وصيدا خصوصاً، وهكذا إذن كان وضع لبنان في تلك الفترة، وقد استمر التركيز الإسلامي على الساحل اللبناني، حيث رابطت عليه فرق من المسلمين، وظل التوسع في تطوير شأن هذه المرابطة قائماً، حيث ازدادت المساحة الجغرافية التي يربط فيها المسلمون، واتجه أكثرهم إلى الفلاحة والزراعة، مستغلين في ذلك المناطق الجبلية.

وبالتتبع التاريخي لمواطن المسلمين في لبنان نجد أن المدن الرئيسية، وهي بيروت، وطرابلس، وصيدا، هي الموطن الرئيسي لهم عبر التاريخ، علماً بأن لهم وجوداً وانتشاراً في سهول الشمال اللبناني وجباله، كالكورة، وعكار، والغنية، في الجبال القريبة من صيدا في جبل لبنان، وهي المنطقة المعروفة

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

الآن بإقليم الخروب، بالإضافة إلى مناطق البقاع، وبعلبك،
وزحلة، والبقاع الغربي، وراشيا، وحاصبيا، على الحدود
اللبنانية الفلسطينية.

هكذا يحدثنا التاريخ البعيد والقريب عن الوجود
الإسلامي في لبنان، حيث يتضح لنا أنه بلد مرابطة على
الثغور الساحلية في مواجهة الروم. لبنان المرابطين - هذا -
الذي نرى أرضه غارقة في الدماء، ونرى صخوره وجباله
وأشجاره كثيبة حزينة لما تراه من الأشلاء.

ولماذا كل ذلك يا لبنان؟

سؤال كبير... يمرق إلى قلوبنا كالسهم.. يبحث عن جواب،
وأين الجواب؟...

ربما ظن بعضنا أن ما ينشر من تحليلات سياسية في
أنحاء العالم يعد جواباً، ولكن الجواب يظل أكبر من كل ما
يقال، وأعمق من كل ما يطرحه المحللون السياسيون في هذه
القضية الشائكة.

أين الجواب يا لبنان المرابطين؟

لا بأس أن ننقب عنه قليلاً فلربما حظينا بشيءٍ منه..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

اسم لبنان سياسياً لم يكن له وجود قبل عام ١٩٢٠م، وهو تاريخ إعلان الجنرال «الغورو» دولة لبنان الكبير، وكان قبل هذا التاريخ جزءاً من سورية يعرف بجبل لبنان، وموقع لبنان الاستراتيجي الذي قال عنه الأستاذ عبدالحليم زيدان في دراسته عن حاضر المسلمين في لبنان بأنه: يمثل بوابة العبور من وإلى الشرق الحالم بالمجد، والحافل بالفتوحات المتلاحقة، هذا الموقع جعل للبنان امتيازاً دولياً، فصار محطاً للأنظار ومقصداً للغزاة والفاثحين، من أمسك بزمامه فكأنما أمسك ببوابة المنطقة، وتحكم في الدخول والمروور والعبور...».

إذن فقضية لبنان قضية جانبية في ميزان القوى العالمية، وليس من باب المصادفات ما جرى له عبر التاريخ، بل إن شأن هذا البلد قد أهم المستعمرين ذات يوم، وحرصوا عليه كلاً الحرص، ربما كانوا يفعلون ذلك وفي أذهانهم صورة المرابطين المسلمين في لبنان، تلك الصورة الناصعة التي ترعبهم، وتشعرهم باليأس والإحباط، ولربما نشأ في أذهان المستعمرين سؤالٌ يقول: مادمننا قد وصلنا إلى لبنان فلماذا لا نفرس فيه غاباتٍ من القضايا والمشكلات، حتى نهدم بناء المجد الذي ارتفع على أرض لبنان بفضل الله ثم بجهود المسلمين المرابطين على الثغور؟ كل ذلك ممكن وجائز الوقوع.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

بل لقد وقع فعلاً، فعندما أعلن الجنرال «الغورو» دولة لبنان الكبير.. أعلن قيام دولة مبنية على الطائفية، وحسبك بهذا جرحاً لا يندمل في جسد لبنان.

أتدرون كم عدد الطوائف في لبنان؟ يجيبكم عن ذلك الأستاذ عبدالحليم زيدان فيقول: «بلغ عدد الطوائف الدينية المسجلة رسمياً لدى الدولة اللبنانية سبع عشرة طائفة هي: الطائفة السنية، الطائفة الشيعية الجعفرية، الطائفة الدرزية، الطائفة العلوية، الطائفة الإسماعيلية، الطائفة المارونية، طائفة الروم الكاثوليك، طائفة الأرثوذكس، الطائفة الأرمنية الفريزورية الأرثوذكسية، الطائفة السريانية الكاثوليكية، الطائفة الشرقية السطورية، الطائفة الكلدانية، الطائفة اللاتينية، الطائفة الإنجيلية، الطائفة الإسرائيلية». (حاضر المسلمين في لبنان ص: ٤).

هكذا أصبح لبنان بعد أن أعلنت دولته الكبرى، وهنا اختفت من أذهان اللبنانيين حقيقة بلدهم، لم يعد أكثرهم يتذكر ثغور الجهاد، ولا يعرف شيئاً عن المرابطين المسلمين، ولا يدري لماذا يثير لبنان اهتمام العالم، كل ما في الذهن أن تجارة لبنان قد راجت، وسياحته أصبحت مضرب المثل، وأصبحت تسمى عروس الشرق...

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

ومضت مركبة لبنان، مطابع، مزارع، ومعامل، ومكاتب،
وفنادق، كل ذلك كان يجري بأسلوب مدهش مثير.. والناس
داخل لبنان وخارجه، خاصة المسلمين، لا يرون إلا هذه الصورة
البراقة للبنان، أما تاريخه، الجهاد الإسلامي فيه، المواجهات
بين جيوش الإسلام وأساطيل الروم، فكل ذلك غائب عن
الأذهان..

وبين الصحو والغفوة انطلقت أول رصاصات، وانفجرت أول
قنبلة موقوتة، وتتمرت إسرائيل التي تعرف تماماً معنى كلمة
«لبنان»، وتحركت الطوائف المختلفة المتعددة، وهاج البحر
وماج.. فكان ما كان من القتل والإرهاب الذي ما نزال نراه
أمامنا كل يوم، فهل لنا الآن أن نسعد بوعي جديد لدى
المسلمين بلبنان المرابطين.. أرجو ذلك .

مراجع: المسألة اللبنانية من منظور إسلامي لفتحي يكن،
ومسار الدعوة الإسلامية في لبنان للشيخ حسن خالد،
وحاضر المسلمين في لبنان للأستاذ عبد الحلیم زيدان.



المخدرات بداية النهاية «الوازع الديني .. والتحصين الداخلي»

التأثر والتأثير ظاهرة إنسانية عالمية.. لا يمكن أن تجد كياناً مخلوقاً في هذا الوجود بعيداً عن هذه الظاهرة.. بل إن إرادة الله تعالى قد شاءت لكونه الفسيح أن يقوم على ظاهرة التأثر والتأثير.. ثم هياً لعباده من البشر الذين استخلفهم في هذه الأرض من العقول ما جعلهم قادرين على دراسة هذه الظاهرة والإفادة منها في بناء الحياة.

وعملية التأثر والتأثير خاضعة - في المجتمعات البشرية - لعوامل القوة والضعف حيث نجد التأثير من القوي على الضعيف.. وللقوة عند الناس جانبان؛ جانب ظاهر وآخر غير ظاهر.. فإذا اعتري هذين الجانبين أو أحدهما ضعف حدثت عملية التأثير عند الإنسان.

والتأثير له مراتب.. فقد يكون ضعيفاً مسطحاً، وقد يكون قوياً عميقاً، فإذا كان تأثر الإنسان عميقاً فإنه يقوده إلى مرحلة الاستسلام لما تأثر به والخضوع له.. وهنا تأتي أهمية بناء الشخصية الإنسانية القوية من الداخل.. حتى تتحقق لنا القوة الداخلية غير الظاهرة عند الإنسان.

بلادنا والتميز _____ عبد الرحمن بن صالح العثماوى

والإسلام الذي دعا إليه كل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، بدءاً من نوحٍ وانتهاءً بمحمد بن عبدالله.. حرص كل الحرص على بناء القوة الداخلية عند الإنسان.. وهي ما نعرفه بقوة «العقيدة».

لماذا حرص الإسلام على ذلك؟

لأن القوة الداخلية (قوة العقيدة) تحصين للإنسان في خضمّ ظاهرة التأثير والتأثير التي أشرنا إليها.. وهذا ما يجعلنا نرى أن السبب الرئيسي في انحراف كثير من الناس وذوبانهم في طرق الباطل والضياع إنما يأتي بسبب ضعف ذلك التحصين الداخلي «قوة العقيدة».

هذه المقدمة - قارئ العزيز - ليست خارجة عن إطار عنوان هذه المقالة.. بل هي في صميمها.. إذ إن من أسوأ عوامل التأثير التي نشاهدها هذه الأيام.. «المخدرات» التي تسربت إلى المجتمعات الإسلامية في غفلة من هذه المجتمعات عن أهمية القوة الداخلية أو التحصين الداخلي «قوة العقيدة».. قد يقول قائلٌ.. إنَّ الوعي عند الإنسان أهمّ.. إذ نجد إنساناً لا عقيدة له.. ولكن وعيه بضرر المخدرات جعله يتجنبها؟

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

أقول: هذا غير صحيح.. ولا هو بأمر مطرد يشكل قاعدة رئيسة.. بل هو أمر خارج عن القاعدة الأساس، فاقتران قوة الإنسان وثباته بقوة العقيدة الإيمانية أمرٌ معلوم قديماً وحديثاً.. بل هو أمرٌ مسلّمٌ به، وإليه نادى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

العقيدة تعطيك إنساناً مطمئناً.. حتى لو خانته الوعي أحياناً، فإن استقرار نفسه من الداخل يعيد إليه وعيه أو يعيده إلى وعيه، والإيمان بالله والوعي متلازمان.. وإذا قصر الوعي أحياناً فإن الإيمان العميق يمد إليه يد العون وينقذه من تقصيره.

وهذا ما يجعلنا نؤمن إيماناً لا يتزعزع أن الصمود أمام هجمة المخدرات على مجتمعاتنا الإسلامية إنما يتم بالتحصين الداخلي، الذي يشكل الأساس الصحيح لوعي الإنسان المسلم بما يدور حوله، وعضواً - قارئ العزیز - إذا قطعت الحديث هنا لأشير إلى أن عنوان هذه المقالة إنما استعرت من عنوان الندوة الجيدة التي أقامتها جمعية النهضة بالرياض مساء يوم السبت ١٧/٧/٢٠٠٨ هـ والتي جرى فيها نقاشٌ طويلٌ حول المخدرات، اشترك فيه عدد من العلماء والكتاب والمهتمين بهذا الجانب.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشماوي

وحتى أكون دقيقاً في بيان تأثير هذه الندوة.. فإنني أعترف أنها قد دفعتني إلى كتابة هذه السطور لسببين.

أولاً: الرغبة الصادقة مني في الإسهام بإبداء وجهة نظري في طريقة مواجهة هجمة المخدرات الشرسة على المجتمع.. وقد أشرت إلى هذا قبل قليل، حيث إن التحصين الداخلي الذي أشرت إليه هو السبيل الأهم في هذا الجانب.

ثانياً: الواجب المنوط بحملة الأقلام في الإشادة بهذه الخطوات الإيجابية النافعة للمجتمع، التي تقوم بها بعض الجمعيات الخيرية.. وقد حدث في «ندوة المخدرات بداية ونهاية»، التي أقامتها جمعية النهضة ما أثبت لنا أن الخطوة كانت ناجحة، فالأسئلة التي كانت تُرد إلى القاعة من قاعة النساء الأخرى كانت على قدر كبير من الأهمية.. إذ أبرزت لنا حاجة المرأة التي تعاني من مشكلة المخدرات في بعض أفراد أسرتها إلى توعية صادقة وتوجيه للحل السليم الذي يمكن أن تتبعه.. وإن كنت أرى أن هنالك تقصيراً حدث من الجمعية حيث لم تختبر متخصصين في الجانب الإعلامي ممن لهم تجربة في مجال التوعية الإعلامية.. حتى يبرزوا للحاضرين الدور الكبير الذي ينتظر من وسائل الإعلام في دعم التحصين الداخلي عند الإنسان المسلم لمواجهة هجمة المخدرات وغيرها،

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

على أن من الوسائل المهمة في مواجهة ذلك ترسيخ الشعور عند الناس بأن المخدرات مرض كأي مرض.. وأن هذا المرض قابل - بإذن الله - للعلاج، وأن أولياء الأمور نساءً ورجالاً إذا ذهبوا بمن ابتلي بهذا المرض من ذويهم إلى المستشفى فإن ذلك لا يضير، بل هو واجب لا بد لهم من القيام به.

وأعود إلى القول: إنَّ الهجمة شرسة وأيادي الشر في أنحاء العالم تديرها.. وإن التحصين الداخلي بالعقيدة.. وإحياء الوازع الديني أهم وسائل مواجهتها.. إلى جانب اليقظة المطلوبة من أولياء الأمور في متابعة أبنائهم.

حكاية:

كان يلفه ليله في ملاءة من النوم الهادئ الجميل.. لم يكن الرجل غنياً موغلاً في سراديب الغنى، ولم يكن فقيراً ملتصقاً بتربة الفقر.. ولكنه كان بين ذلك.. ملتزماً في حياته أجمل ما يكون الالتزام.. منذ أن عرف نفسه والفجر يسمع قرع خطواته إلى المسجد مكبراً مسبّحاً لله.. ونشأ أبنائه في بيته نشأة الصلاح والتقوى.. وقد اطمأن إلى هذا الغرس الذي أنبته له الله نباتاً حسناً.. فرعاه وسقاه حتى استقام عوده كأحسن ما يكون النبات خضرةً وبهاءً ورواءً..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشاوي

كم كان يسعد وهو يرى أبناءه ينطلقون في الصباح إلى
مدارسهم بعد أن يرسموا على جبينه المشرق قبيلات الحب..
والتقدير والعرفان.. وكم كانت تطفح سعادته عندما يطوف
قبل نومه على مخادع أولاده يتفقدهم ويطمئن إلى أنهم قد
أراحوا أجسامهم من عناء النهار.

سعيد ذلك الرجل كل السعادة.

وكبر الأولاد. ورأى ابنه الأكبر وقد أصبح ذا قامة طويلة
وصوت خشن.. وساعد قوي.. وفرح بهذا الرجل الذي ثبتت
خطواته في هذه الحياة.

ومرت الأيام، والأب يتيح لولده كل ما يريده.. ويفضل عنه
في أمور كثيرة.. لا يعرف أصدقاءه.. ولا يدقق في سؤاله حين
يطيل الغياب.

وجاءت ليلة ليلاء أوى فيها إلى فراشه.. فما أزعجه إلا
قرع شديد على الباب.. ثم خبر صاعق أن ولده يتعاطى
المخدرات.

وهرب بآماله إلى الكذب.. ولكن وقع ما وقع.. ودخل ولده
المستشفى، وخرج كما كان من قبل.. صافياً تقياً.

عبد الرحمن بن صالح العثماوى بلادنا والتميز

يقول الولد: إن شيئاً في داخلي كان يرفض ما أنا عليه..
ولهذا فقد أنقذت نفسي وأصدقائي حينما بلّغت عن حالتنا
رجال الأمن.. وسكت الفتى.

ليمرّ بعد شريطه أشرطة أخرى.. ولنؤمن إيماناً كاملاً أن
الوازع الديني والتحصين الداخلي.. هما أساس النجاح في
مواجهة كل بلاء.

من لاذ بالرحمن عاش حياته آمناً ويُسراً.



طالت غفوتكم ... أيها الكتاب الأشاوس

١٦/١١/١٤٠٩هـ

لن أعيد وأكرر العبارة التي نعرفها جميعاً وهي «أن الأمة الإسلامية غفت غفوةً طويلةً في الوقت الذي كان فيه عدوها يقظاً متأهباً»، فهي حقيقة لا تقبل المناقشة والجدال.. ولولا هذه اليقظة من عدونا وتلك الغفوة من أمتنا لما تسللت إلينا المبادئ الفاسدة والأفكار الضالّة، ولما لمع في سماوات فكرنا وأدبنا أذيال الغرب من أبناء أمتنا.

هي إذن حقيقة مرّة علينا أن نتجرّع مرارتها حتى نستطيع أن نضع مكانها حقيقةً أخرى تليق بمقامنا الوسط بين الأمم.

قارئ الكريم:

مازلنا نفاجاً بين الحين والآخر بأقلام تستيقظ، وكلمات تلتهب، ونواح وندب يتعالى، كل ذلك من أجل أن بعض الكتاب «الكرام»، والنقاد «الفضلاء»، من أبناء العرب يصحون من غفواتهم على صفعات فكرية وثقافية يوجهها بعض الأدباء والشعراء من أبناء هذه الأمة الجاحدين المتكرين لثقافتها،

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

وفكرها .. ودينها قبل ذلك كله .

ومن ذلك ما نراه هذه الأيام من أقلام تنطلق من
أقفاصها، لتتهش في غير ما هوادةٍ لحم الشاعر نزار قباني..
هذا الذي شتم العرب.. وهاجمهم.. وعاداهم في شعره..
وأصدر ديواناً يضم ذلك كله .

وانك لتعجب كلَّ العجب من بعض أصحاب تلك الأقلام،
إذ تشعر من خلال ما يكتبون أنهم كمن كان في غفوة لا يرى
معها حقائق الأشياء، ثم صحا ذات يوم وإذا به يرى من كان له
مثلاً أعلى في الشعر يشتمه بشتمه لقومه العرب.. وهنا
يمسك بقلمه ويكتب يشتم نزاراً ويسرد عيوبه وكأنه يراها
لأول مرة!

تعجب لهؤلاء الكتاب المستيقظين «نصف استيقاظ»، ثم
تسألهم في وضوح وصراحة:

أين كنتم من نزارٍ منذ أن بدأ يهتك الأستار ويحطّم حدود
القيم والأخلاق في نفوس أجيالكم؟

بل.. لماذا وقف بعضكم خلف نزار مردداً ممجداً مادحاً،
فترة طويلةً من الزمن..؟.. حتى إذا شتمه نزار ثار وغضب
لنفسه فقط، فأخذ يشتم شاتمه؟

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

نزار هذا - أيها الكتاب الأشاوس - لم يفاجئنا نحن أبداً؛
لأننا نعلم علم اليقين أن الشيء من معدنه لا يستغرب، فلقد
اتخذنا موقفنا منه منذ أن فتحنا عيوننا فرأينا أمامنا شعره
المتفسخ وأدبه الرخيص.. ومتاجرته بالكلمة.. منذ أن قرأنا له
اعترافاته الفاضحة بشذوذه، وانحرافه السلوكي في كتابه عن
حياته، وفي كتابه الذي روى فيه قصته مع الشعر.. اتخذنا
موقفنا من نزار، فرفضنا أدبه وسلوكه، وعلمنا أن مثل هذا
النوع من الناس يمكن أن يقول كل شيء، لا يردعه حياء، ولا
ترده قيمة من القيم.

وإني أسألكم «أيها الكتاب الأشاوس».

أين كنتم منذ بدأت مسيرة هذا الشاعر المتردية؟

ألم تقرؤوا شعره الذي يحمل راية الفساد؟

ألم تطلعوا على تمزيقه المستمر لشرف المرأة، وتحطيمه

لكرامتها؟

ألم تستمعوا إلى قصائده المفرقة في الانحلال؟.. ألم

تصفقوا لها ذات يوم.. فماذا أيقظكم، وما الذي نفخ في

أقلامكم روح الغيرة؟!

ألم تقرؤوا من قبل قول نزار عن القرآن بأنه شعر، وبأن

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

أجمل قصيدة قالها الله هي سورة مريم - أستغفر الله ..

ألم تقرؤوا ذلك في كتابه الذي أدخلتموه بيوتكم وأعجبتم
بألفاظه وعباراته؟ أعني بذلك كتاب «الشعر قنديل أخضر».

ألم تشغلونا بنزار، وتؤذوا مشاعرنا الإسلامية به وبشعره
فترة طويلة من الزمن، من خلال مقالاتكم، ومجلاتكم،
وصحفكم، يا سبحان الله!..

ماذا أيقظكم؟.. لا تجيبوني فإنني أعرف الجواب.. لقد
ثرتم على نزار لأنه شتمكم .. لأنه مسَّ العرق العربيَّ الثائر
فيكم.. لأنه أساء إلى النعرة القبلية والنزعة القومية التي
يتشبَّث بها بعضكم.. لذلك غضبتم .. أما أن يظلَّ نزار زمناً
طويلاً بينكم يسيء إلى أخلاقكم، إلى فكركم، إلى دينكم..
وتصل إساءته إلى قرآنكم، فإنَّ ذلك لم يكن كفيلاً بإثارتكم.

هذه والله كارثة كبيرة.. نغضب لأنفسنا ولا نغضب لديننا
وأخلاقنا!..

أعرف من بينكم من يمتدح الوجودية.. ويرفع من شأن
سارتر وأمثاله.. وأعرف من بينكم من يمتدح أدباء الغرب
المنحرفين، ويраهم قدوةً وما يزال يمتدحهم.. ولكنكم.. فجأة
وبدون مقدمات تغضبون من نزار وتخرجونه من دائرة أمتكم..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

علماء - أيها الكتاب الأشاوس - بأن (نزاراً) خارج من دائرة الأمة الإسلامية خلقاً وسلوكاً منذ أن بدأ يتاجر بالكلمة.. إني والله أشفق عليكم من هذه الصدمة شفقة العطوف على بني أمته، يصدمون في من يحبون.

ولكني أذكركم بأننا لم نصدم ولم نفاجأ.. ولكننا نعرف - بالرؤية الإسلامية الواضحة - مَنْ عدو أمتنا وَمَنْ صديقها.

أيها الكتاب الأشاوس:

أنتم الذين رفعتم من شأن نزارٍ وأمثال نزار، ولمَّعتموهم، وجعلتموهم نبراساً لأجيالكم، فلا غرو أن يصدكم رأيه في أمتكم، وشتمه لها.

أما نحن فإننا نشهد الله تعالى على بغض نزارٍ وأمثاله من التجار والحواة والمشعوذين.. لا نبغضهم إلا لله، بعيداً عن الأغراض الشخصية والمصالح الخاصة.

نشهد الله على بغض كل منهج منحرف عن جادة الطريق، ندين بذلك لله انطلاقاً من مبدأ الولاء والبراء في ديننا الحنيف.

وأقول لكم.. وطنوا أنفسكم على المفاجآت ممن أسهمت في تلميعهم من الأدباء والشعراء.. وإذا أردتم أن تريحوا نفوسكم فاجعلوا هدفكم نصرة الحق.. واجعلوا المنظار

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

الإسلامي وسيلتكم في رؤى الأشياء.. وأعيدوا النظر في
المذاهب الأدبية التي وفدت إليكم بخيرها وشرها.. وارسموا
لكم منهجاً إسلامياً في الأدب والنقد.

وعندها.. تريحون أنفسكم من هول الصدمات
والمفاجآت...(*)



(♦) يلاحظ أن هذه المقالة كتبت قبل مفاجأة صدام بثلاث سنوات .

وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟

١٤٠٦/٧/٢٥ هـ

هذه المشاعر المتدفقة.. هذا الفرح وذلك الحزن، هذه السعادة وذلك الشقاء.. الحب، البغض.. الأمل، الألم.. الخوف الرجاء.. هذا الإنسان الرزين الحليم، الوادع الهادئ.. تراه حيناً يثور ويفضب فإذا برزانتته ترتدي رداء التهور، وإذا بحلمه يصطبغ بصبغة الجهل. هذا الوجه الصافي صفاء أديم السماء في يوم ربيعي جميل.. تراه في لحظة يغييم.. وإذا به يتحول إلى سماء مشحونة بالغيوم في يوم شتائي «يعمى ظبيّه» كما يقول المثل.

هذه العيون التي تكاد تنطق بالصفاء إذا صفا قلب صاحبها.. وبالكدر إذا خالطه الكدر.. تكاد تبوح بالعشق والشوق والحنين.. بالخوف، بالتوسل، حينما تدوران في وجه حبيب.

هؤلاء الأحبة من الناس يجتمعون فلا تسمع إلا كلمات الشوق.. وضحكات الفرحة.. ولا ترى إلا نظرات الارتياح.. ثم يأتي عليهم حين من الدهر، فإذا بك ترى نظراتهم تعبر عن

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

التذمُّر.. وضحكاتهم تصبح نوعاً من الابتسام الثقيل.. هذا التناقض الهائل في المشاعر والأحاسيس، هذه الأجهزة الدقيقة التي تتيح للإنسان هذا التقلُّ الرهيب من حالٍ إلى حال.

صديقك تأنس برؤيته لتقرأ في عينيه معاني الحب والصدق.. لتسمع في نبرات صوته لغة المحبة ولحن الأخوة، فتري في ذلك متعةً وأي متعة.. إنها المتعة التي عبَّر عنها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقوله: «لولا ذكر الله وما والاه، ولولا إخوة يلتقط طيب الكلام معهم كما يلتقط طيب الثمر، لآثرت الموت على الحياة».. ذلك الصديق الودود.. لا تكاد تراه مرةً أخرى وقد عبث الوشاة بمشاعره وقلوبوا مزاجه، حتى ترى شخصاً آخر كأنه لا يعرفك وأنت لا تعرفه.. تقرأ في عينيه علامات السخط والغضب، مع أنهما هما عيناه اللتان قرأت فيهما من قبل معاني الحب والصدق، وتسمع في صوته ضجيج التكرُّ والتقريع، مع أنه هو صوته الذي سمعت فيه من قبل لغة المحبة ولحن الأخوة.

لماذا وكيف؟

هذه القشعريرة التي تسري في جسد الإنسان أحياناً، فيحسُّ أن كل خلية من خلايا جسده قد اهتزت في مكانها..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

كيف حدثت، وعلى أي طريقةٍ سلكت خلايا هذا الجسم العجيب؟..

هذه الرعشة التي تحدث في جسد المحب عندما يرى حبيبه. وهذه الرجفة التي تهز الإنسان عندما يرى عدوه.

هذا الارتياح الخفي الذي يشعر به المسلم الحق في صلاته عندما يقف بين يدي ربه خاشعاً صادقاً.

هذه الدموع التي تختلط مع الأمل والرجاء والخوف، في عيني عابدٍ لله طالبٍ لرضاه.

هذه النظرة التي تكون - حيناً - حباً وشوقاً، وحيناً بغضاً وحقداً، وحيناً عشقاً وغراماً، وحيناً عتاباً وملاماً.. وحيناً شكراً صامتاً وعرفاناً، وحيناً سخريّةً واستهزاءً.

لماذا يحدث كل ذلك، وكيف؟..

هذا وغيره مما يجري في هذا الجسد الإنساني العجيب يوحي إلينا بشيءٍ عظيمٍ نعجز عن معرفة كنهه، وإن كان بإمكاننا أن ندرك آثاره ونعرف بعض أسبابه.

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾!

سؤالٌ يقتحم على الإنسان غروره وصلفَه، وغفلته

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

وضياعه، يدخل إلى أعماق النفس الإنسانية ليذيب فيها جليد
التكُّرُّ والجحود.

سؤالٌ يوجِّه عقولنا وقلوبنا إلى ذواتنا.. إلى هذا الكيان
البشري الهائل الذي نسير به في الحياة ونحن عنه غافلون..
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾!؟

توجيه إلهي كريم إلى تلك المظاهر العظيمة المتمثلة في
جسد الإنسان ونفسه وروحه.

العين - مثلاً -... كلنا ننظر بها ونراها.. نتغنى بسواد
رموشها، باتساعها.. بنظراتها الثاقبة.. بانكساراتها.. ولكن..
هل فكَّرنا مرَّةً واحدة في تكوين هذه العين؟ هل فكَّرنا في
جهازها الدقيق وشعيراتها المتشابكة التي تُعدُّ بالملايين؟ هل
فكَّرنا في بياضها وحكمتها، وسوادها وحكمتها؟ ورموشها لماذا
خلقت؟ وهذا اللمعان الذي فيها ما أسبابه؟ وما دواعيه؟.. ثم
هل فكرنا بعد ذلك في خالقها ومبدعها؟.. إنَّ السؤال الوارد في
القرآن الكريم يوجهنا إلى ذلك ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾!؟

الأنف - مثلاً - هذا الأشمُّ الأفتى.. هذا المصلت على
صفحة الوجه كالسيف الصقيل.

شُمُّ الأنوف كريمة أحسابهم بيض الوجوه من الطراز الأوَّل

وانفها كالسيف مصقولاً...

هذا الذي يشمخ حتى أصبح علامةً على الشموخ..
ويخضع حتى أصبح علامة على الخضوع:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهمو

وَمَنْ يُسْوِي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَاءُ؟

«رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ أَبُوهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةُ».

هذا الأنف.. هل سأل الإنسان يوماً عن حقيقة تركيبه؟ هل عرف ما يجري في داخله من عمليات دقيقة تتيح للإنسان التنفُّس؟ هل أدرك الخلايا والشعيرات التي تتشابك في جيوبه؟

الأذن - مثلاً - هذا الجهاز الصغير الذي أوجده الله على هذه الهيئة من الالتواء والاستطالة.. والذي نسمع به كل ما يدور حولنا.. صدقاً وكذباً، مدحاً وذمماً، لحناً هادئاً، وضجيجاً وصخباً.. هل تأملناه تأملاً يحقق إجابة التساؤل القرآني الكريم.. ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟

هل علمنا مثلاً، أن الأذن تحتوي على خلايا وعروق لها مساسٌ ببقية أعضاء الجسم المهمة.. في الأذن خلايا خاصة بالقلب، والكبد، والطحال، والكلَى، ومن هنا فقد أمكن أن

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

تعالج كثير من أمراض الجسم عن طريق الوخز بالإبر في «الأذن»؛ حيث يقوم الطبيب المختص بوضع الإبرة الدقيقة في الخلايا الموجودة في الأذن الخاصة بجهاز القلب إذا كان المرض في القلب.. وهكذا، وهذا ما تحدّث عنه العلم والأطباء الذين يتقنون العلاج بهذه الطريقة وهم قلّة في العالم.

هل عرفنا نحن البشر - في غفلتنا - هذه الأهمية الكبرى للأذن؟.. ثم هل تأملنا بعد ذلك قدرة خالقها؟

الجلد... وما أدراك ما الجلد.. هذا الذي نراه بألوانه المختلفة والذي يتغنّى الشعراء برقته في أجساد المنعمات الحسان، حتى إنّ الذرّ لو مشى على جلد إحداهن لأدماه!. والنسيم لو مرّ على أناملها لجرحها.. وعلى خدها لأثر فيه.

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يُدمي بنائه

هذا الجلد هل عرفنا مقدار حساسيته.. وأهميته القصوى للجسم، فهو يشكل الأرضية الخصبة للحواس المختلفة في الإنسان، وقد عرف الطب الحديث أشياء مدهشة عجيبة في جلد الإنسان.. ففيه الخلايا التي تؤثر على كلّ أعضاء الجسم.. وهو الذي ينقل الأوامر والمعلومات الدقيقة من وإلى المخ، وهو السبب المباشر في سريان الألم في نفس

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

الإنسان .. وكذلك اللذة.

ألا ترى أن اليد عندما تلامس اليد تكون سبباً في سريان موجات التأثير والانفعال أياً كانت صورته وأشكاله؟.. يقول الله تعالى في حديثه عن أهل النار عندما تتضج جلودهم فيها: ﴿... بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ وهنا يتساءل الإنسان المتأمل لماذا خصَّ الله الجلد بهذا؟ وما أهميته هنا؟..

ويجيب عن ذلك الشيخ الفاضل «عبد المجيد الزنداني» من خلال بحوثه العلمية الرائعة.. بأن الله قد خص الجلد هنا بالذكر؛ لأنه الأرضية الدقيقة لعوامل التأثير.. فعن طريقه يكون الألم.. ولهذا فجلود أهل النار إذا نضجتْ فقدت خلاياها قدرتها على توصيل الألم إلى الجسد وإلى النفس، وفي هذه الحالة يفقد العذاب معناه.. ولكنَّ الله يبدلهم جلوداً غيرها لتقوم بدورها في توصيل الألم!

ولعلَّ هذا ما ندركه نحن في تعبيرنا المؤلف عندما يُجرح الإنسان جرحاً عميقاً حيث يقول: أحسست أنه قد وصل إلى اللحم الميت.. إذَّ إنه بعد تجاوز الجرح لطبقة الجلد الحساسة يصل إلى لحم ميت، ليس له خصائص الجلد المذهلة.

هذا هو الجلد الذي نتغنى ببياضه وسمرته.. فهل فكرنا

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

مرةً في حقيقته العظيمة.. وهل فكّرنا في عظمة خالقه ومبدعه.. والقرآن الكريم يوجّه الناس إلى هذا الجانب توجيهاً متكرراً نظراً لأهميته، ولتأثيره الإيجابي على قلب الإنسان وعقله فيعرف نفسه على حقيقتها.

لو عرف الفصيح عظمة خلق الله في جهاز الكلام عنده.. اللسان والشففتين.. لما نطق بالباطل ليدحض به الحق.. ولما لبس الأمور على الناس بفصاحته سعياً إلى رغباته وأهوائه.

والله يمنُّ علينا في هذا الجانب فيقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ .

لو أمعن الإنسان النظر في بديع صنع الله من خلال أذنه.. لما أتاح لها مجالاً للتجسُّس على عباد الله سعياً إلى رغباته عن طريق إيقاع الضرر بهم ويندرج ذلك على كل أعضاء الجسد.

إن أعضاء جسد الإنسان تشكّل عالماً كاملاً من الحياة والحركة.. تتضاءل أمامه كل القدرات البشرية التي أصابها الغرور وجنون العظمة، بعد أن تمكّنت من صناعة آلات دقيقة، لا تسير إلا بطريقة «بدائية» إذا قسناها بأجسادنا.

من هنا أخبر الله تعالى أن كلَّ عضو يوم القيامة يشهد

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

على الإنسان بما صنع في الدنيا.. فاليد والرجل والعين والضم والأذن كلها تتطق أمام الله أداءً للشهادة الصادقة التي يتهاون بها كثير من الناس في زماننا هذا.

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ؟!

إضاءة قرآنية كريمة.. نحن بأمس الحاجة إليها في هذا الزمن المادي الذي أشغل الإنسان عن نفسه، وعن حقيقة دوره في الحياة.

لو فكّر الناس في أمر الحياة لما

ضاقت جوانبها عنهم ولا ضاقوا



جائزة نوبل ... ومؤتمر المدائح النبوية

١٤٠٩/٣/٦هـ

ما بال مركبة الزمن لا تتوقف؟ ما بال السماء لا تمطر عزةً
وكرامة، ما بال الأدب العربي لا يقفز إلى الأمام ملايين
الأميال متجاوزاً كل الحدود والحواجز حتى يمكن أن يوصف
بأنه «أدب عالمي»؟

ما بال الحجر الفلسطيني لا يتجمد في يد ذلك الطفل،
معلنًا أن الأمة العربية قد وصلت إلى القمة؟ ما بال تلك الفتاة
الأفغانية لا تصرخ في وجه أبيها المجاهد.. قف.. قف.. فإن
«جائزة نوبل» قد اختصرت لك المسافة، وأراحتك من قتال
عدوك؟

ما بال «المسجد الأقصى» لا يتنفس الصعداء، وهو يرى
جائزة نوبل اليهودية «الصهيونية» تتجه إلى مصر كما اتجهت
من قبل؟

ما بال وما بال؟ أوأه من جور السؤال!

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

أيها الأحاباب.. قفوا قليلاً.. لا تحجب الأتربة عنكم
حقائق الأشياء..

أيها الأحاباب.. أنتم - بأنفسكم - الذين كتبتم عن جائزة
نوبل، عندما منحت للسادات مناصفة مع بيجن.. ووصفتموها
بأنها صهيونية، متعصبة، حاقدة.

أنتم الذين أشرتكم بالأمس إلى تاريخ الجائزة المظلم وإلى
مواقفها المريية.. فما بالكم اليوم تجعلون منها شمساً وقد
كانت ظلاماً، وتجعلون منها عدلاً وقد كانت ظُلماً، وتجعلون
منها إنصافاً وقد كانت إجحافاً؟!!

ما بالكم تحرقون أوراقكم التي أعلنتم فيها خطورة جائزة
نوبل عندما منحت للأديب الصهيوني «عجنون»؟، ياسبحان
الله!.. هكذا في لحظة واحدة تتحول هذه الجائزة المريية إلى
شيء مدهش ورائع لأنها منحت لنجيب محفوظ.

عفواً أيها الأحاباب، لا أناقش هنا أدب الرجل، ولا
المضامين «الإقليمية» التي تشيع في رواياته وأعماله.. ولكن
أناقشكم أنتم...

ما بالكم لا تتسبون أسلوب التطبيل في كل مناسبة تُعدُّ في
الغرب، وتأتينا من الغرب؟

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

أعطيت «جائزة نوبل» لنجيب محفوظ، ماذا يعني هذا الأمر؟.

هل يعني أننا خرجنا من الأزمة؟. هل يعني أن نوبل قد صرخ في قبره قائلاً.. انتهى الدمار.. انتهت الحرب؟! هل أوقفت جائزة نوبل رصاص العدو عن صدور أطفالنا في فلسطين؟.

هل أعادت القدس إلينا، وصانت أعراض النساء المسلمات، ورحمت شيخوخة الكبار؟

هل أوقفت الجائزة عربات الدمار في أفغانستان؟

أيها الأحاباب لا تنسوا مواقف نجيب محفوظ من عملية السلام «كامب ديفيد»، تلك المواقف التي صعقتكم وانبريتم - أيامها - للحديث عنها، وكانت بالنسبة إليكم مفاجأة كبرى حين حدثت من «نجيب».

أنتم تعلمون أن «جائزة نوبل» ترتبط باتجاهات ومبادئ ثقافية معروفة، وقوى سياسية لا يمكن أن ترضى بمنح هذه الجائزة إلا لمن تشعر أنها تجني من ورائهم نفعاً.

أيها الأحاباب، هكذا وقد كنا نظن أن عقولنا قد أصبحت في ظلّ الصحوة مدركة لخفايا الأمور، هكذا، بسرعة مذهلة

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

تقتلون الفرحة التي نشأت في أعماقنا، وتعيدون إلى نفوسنا
الشعور بخيبة الأمل في صحوة عقولنا، لمواجهة الباطل مهما
جاء متزيناً بزينة الحق.

ماذا دهاكم؟ لو أن عدوكم الإسرائيلي جاء إليكم مبتسماً
ضاحكاً مصافحاً، أتراكم تصافحونه وتصالحونه، أتراكم
تتخدعون بظاهره عن باطنه..؟.. ما هذا الضياع القاتل لا
نكاد نرى بريقاً خادعاً من الغرب حتى يعشي أبصارنا ونهرول
إليه في غير بصيرة ووعي؟!

في هذه الأيام عقد مؤتمر «المدائح النبوية» في الهند...
مؤتمر أدبي إسلامي في ظاهره وباطنه.. ومع ذلك فإننا لم
نقرأ عنه خبراً واحداً، نعم خبراً صغيراً في صحيفة من
صحفنا.. مؤتمر يتعلّق بالأدب العربي الإسلامي، ويعقد في
الهند، ويحضره مئات الأدباء والشعراء من أنحاء العالم
الإسلامي.. ثم لا نجد من يشير إليه أو يخبر الناس عنه.

وفي هذه الأيام تعلن جائزة نوبل أنها اختارت نجيب
محفوظ، فتنحول أكثر صحفنا إلى صفحات دعاية لجائزة
نوبل وتمجيد لها، ومدحٍ رخيصٍ لتوجهاتها الجديدة
«الخادعة».

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ما هذه المفارقات التي تعيشونها أيها الأحباب.. وإلى متى
يظل هذا الخلل في التفكير؟

جائزة نوبل.. تغطي أكبر المساحات من صحف العالم
الإسلامي، ومؤتمر المدائح النبوية.. لا يحظى بسطرٍ واحد..
نعم لا يحظى بزاوية صغيرة جداً من صحافتنا!

أليس هذا مخيفاً ومرعباً؟ أليس هذا دليلاً على عقدة
الأجنبي التي لا تزال تتلبسنا من رؤسنا إلى أخمص أقدامنا.

«نوبل لنجيب محفوظ نوبل للثقافة العربية» هذا عنوان
مقال في إحدى الصحف مقال انهزامي بارز، لماذا؟ وكيف
العلاج؟

صاحب المقال يمتدح الجائزة ويبرئ ساحتها من تهمة
الصهيونية والتعصب، ويقول إن إعطاءها لنجيب محفوظ دليل
على أن ما كان يثار حولها غير صحيح.. سبحان الله! ما أقرب
عقولنا من التسليم للادعاءات الباطلة.

أيها الأحباب.. لقد أشيع في الأوساط الثقافية والأدبية
في الفترة الماضية «القريبة» أن «أدونيس» مرشح لنيل جائزة
نوبل، لا لشيء إلا لأن أدونيس يمثل شخصية الكاتب الذي يرى
أن الأدب إنما هو انفصال المتحول عن الثابت، انفصال الأديب

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

عن الدين والأخلاق... ولو أعلن - هذا العام ١٩٨٨م أن أدونيس قد نال الجائزة لرأينا منكم التطبيل ذاته، والاهتمام نفسه، لماذا؟

لماذا نتناسى كل هذا؟ وأن القائمين على الجائزة لا يمنحونها جزافاً؛ فليسوا انفعاليين مثلنا، ولا «غافلين» مثلنا، وإنما يعرفون ماذا يصنعون.

وجائزة نوبل لن تزيد أدبنا العربي عزة ولا مجداً، خاصةً وأنها تتجاهل الأدب الذي يدل على شخصية أمتنا الإسلامية، إنها تؤيد الإقليمية وتدعو إليها.. وترفض أن تسلّم جائزتها بدون فائدة تجنيها.

أيها الأحباب.. أين أقلامكم المباركة عن «جائزة الملك فيصل العالمية» مثلاً؟ لماذا لم تتقاطر حروفكم وكلماتكم في الإشادة بها بهذه الصور التي فعلتموها مع جائزة نوبل؟

إن الأولى بنا أن نرسخ مبدأ الشخصية الإسلامية في أدبنا بعيداً عن هذا البريق الخادع الذي يأتينا من قبل أعدائنا.

إن علامة «استفهام» كبيرة تبرز أمام منح جائزة نوبل لنجيب محفوظ، هذا الاسم الذي قاطعته بعض الدول

عبد الرحمن بن صالح العثماوى بلادنا والتميز

الإسلامية لموقفه من الصلح من القضية الصهيونية اليهودية..
ومن هنا وجدنا ممن أشادوا بجائزة نوبل من يقول: إن على
الدول التي قاطعت نجيب محفوظ أن تعيد النظر في هذه
المقاطعة، فقد جعلت منه جائزة نوبل «الصهيونية» أديباً
عالمياً.

هل هذا هدف من أهداف منحه الجائزة؟ نعم، وهناك
أهداف أخرى يعرفها المهندسون الماهرون لجائزة نوبل.

يا للحسرة حين تصبح «جائزة نوبل» تزكية للناس!..

وأخيراً إن بين «جائزة نوبل» و«مؤتمر المدائح النبوية»،
المهمل إعلامياً جسراً من الحزن والأسى والمرارة في قلوبنا.

ألا ليت شعري متى تزول هذا التبعية الثقافية البغيضة
من عقولنا؟



الامتحان الأكبر

١٢/٥/١٤١٠هـ

الامتحانات التي يمر بها الإنسان في حياته كثيرة، ينجح في بعضها ويخفق في بعضها الآخر.. ومهما كانت أهمية هذه الامتحانات، فإنها تبقى محدودة القيمة إذا كانت تتعلق بشؤون الدنيا.. ذلك لأن الدنيا في حقيقتها محدودة القيمة إذا ما قيست بعالم الآخرة.

وقد ينصرف الإنسان بكلّ قواه إلى امتحانات الدنيا سعياً إلى النجاح فيها، وحرصاً على سمعة طيبة يجنيها.. وهذا ما نجد صدهاء في كل مجتمع بشري.. حيث يصنّف الناس بعضهم بحسب قدرتهم على تجاوز امتحانات الحياة بكلّ صورها وأشكالها.

فهذا ناجح في تجارته.. وهذا في وظيفته.. وذلك في علاقته الاجتماعية، إلى آخر شؤون الحياة وقضاياها.

هذه الكلمات ليست فتحاً جديداً في مجال الكتابة، وليست غائبة عن أذهان الناس، ولكنها وردت هنا تمهيداً لما رأيت ذات يوم في مجلسٍ من المجالس التي يجتمع فيها الناس

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

يخوضون في أحاديث شتى.. تتصل - غالباً - بشؤون الحياة وقضاياها .

كان المجلس يضم أجيالاً من الناس؛ شيوخاً.. وشباباً يقتربون من سن الشيوخ، وشباباً آخرين إلى الصبأ أقرب.. وغرق المجلس في أحاديث الحاضرين.. ما بين حديث عام يلامس حياة البشر.. وما بين حديث خاص يروي فيه صاحبه تجارب خاصة، أفادها من رحلته مع الحياة، وكثر في ذلك المجلس الحديث عن الامتحانات «معناها المعروف الآن» امتحانات الدراسة بمراحلها المختلفة .

وأفاض في هذا الحديث بعض من تجاوز كل الامتحانات الدراسية، ممن أصبح اسمه يقترن بحرف الدال، أو غيرها من الرموز العلمية الحديثة.. هذه الرموز التي أدخلت تحت مظلة العلم أقواماً، ليس لهم في مجال العلم شروى نقير، وكان أصحاب هذه الرموز في ذلك المجلس يتحدثون بفرحة غامرة عن تجاوزهم لصعوبات الامتحان بتفوقٍ أو بغير تفوقٍ حتى إنهم لا يخشون الآن امتحاناً.. ولا يشعرون بجوّه «المهيب»، إلاّ عندما تقترب امتحانات أبنائهم .

وطال الحديث في هذا الجانب.. واستغرق من المجلس

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

أكثر وقته .. وبينما كانت النفوس تستمع إلى تجربة فلان في امتحاناته .. أو في وقوفه أمام لجنة المناقشة التي تقرّر منحه الدرجة العلمية .. على ما في ذلك من صعوبة .. وخرج .. إلخ .

في هذا الخضم الهائج من أحاديث الامتحانات .. انبعث صوت له هيبة .. وعلى وجه صاحبه وقار .. وسأل :

تحدثتم عن الامتحانات كثيراً .. وبدت لنا فرحتكم الغامرة بتجاوزكم لها ولكنكم نسيتم الامتحان الأكبر!

وشخصت العيون إلى الرجل .. وكان جلال الشيخوخة قد كساه مهابةً وإجلالاً، ومضى في حديثه قائلاً :

مالي أراكم قد وجتمتم وجومّ من كان غافلاً عن أهمّ أموره مشغولاً بما دون ذلك؟ نعم الامتحان الأكبر الذي لا يتجاوزه إلا المجدُّ، هناك لا تقفون أمام لجنة مكونة من ثلاثة أشخاص أو أربعة .. ولا أمام مائة من الحضور أو مائتين .. ولكنكم تقفون أمام الحي القيوم الذي يعلم كل ما تفعلون .. وأمام الخلق جميعاً منذ آدم إلى قيام الساعة، هناك النجاح أيُّها الغافلون! ..

وسكت الشيخ .. وسكت الناس .. ولو نطقوا لقالوا: إي والله هناك النجاح ..



لكل مسافر إلى الخارج مع التحية

١٤٠٧/٥/١٢ هـ

لم تكن حماسته وهو يتحدث إليّ لتخفى عليّ، وأنا أرى آثارها واضحة في ملامح وجهه.. وكان حديثه مفعماً بالصدق.. وممزوجاً بالأسف على التفريط في أمورٍ ما كان يلتفت إليها من قبل.

تحدث عن رحلته تلك إلى بلدٍ من بلاد أوروبا.. وكانت كلماته قادرةً على أن تضعني في إطار من الإصغاء والمتابعة والاهتمام.

ليست المرة الأولى التي أستمع فيها إلى صاحبي يحدثني عن رحلاته «التجارية» إلى الخارج.. فما يكاد يعود من رحلته إلا وأعرف من أخبارها الكثير.

ولكنّ رحلته هذه كانت ذات مذاقٍ آخر.. وكان لها معانٍ أخرى..

لم يحدثني صاحبي عن تجارته ولا أعماله التي أنجزها.. ولا عن متاعب الرحلة ومشاقها.. ولا عن وسائل «التمويه»

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

التي يستخدمها بعض رجال الأعمال في الغرب، منتهزين فيها
«الطيبة» التي يتعامل بها بعض التجار المسلمين، كل ذلك كان
بعيداً عن مجال الحديث هذه المرة.

فماذا كان يحدثني صاحبي؟

قال: لقد شعرت بحسرة كبيرة وأسف مؤلم، وأنا أستمع
إلى كلمات مضيئة كل الإضاءة، ولكنها بالنسبة إليّ محرجة كل
الإحراج.. تتحدث بها إليّ تلك السكرتيرة في إحدى الشركات
الأجنبية.

صحيح أنني لم أكن أتوقع أن أسمع منها ذلك الكلام..
عفواً، لم يكن كلاماً، ولكنه كان سهاماً قاسية تتوجه إلى قلبي،
وتتطلق من لسانها على هيئة حروف وكلمات.

سبحان الله!.. أإلى هذه الدرجة بلغ أثر كلمات تلك الفتاة
من نفس صاحبي ووجدانه؟..

سألته هذا السؤال.. فقال: نعم وأكثر من ذلك.

قلت: فماذا قالت لك؟

قال: لاحظت وأنا أفتح حقيبتي الكبيرة لأخرج بعض
«الملفات» الخاصة بالشركة التي تعمل فيها.. أن في حقيبتي

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

عدداً من الملابس غير قليل، وفيها من الأدوات التي يستخدمها
المسافر للعناية بمظهره أصناف متعددة، وفيها بعض الهدايا
المغلّفة بإتقان كنت قد أعددتها لتقديمها إلى بعض أصدقائي
من رجال الأعمال في تلك الشركة.

وقد رأيت على وجه تلك الفتاة علامات استغراب
ودهشة.. بل ورأيت آثار «تضايق» وعدم رضا.. فقلت: لعلها
تتوق إلى هدية من الهدايا.. فمددت يدي إلى حقيبتي وناولتها
واحدة منها.

وهنا بدأت توجه إليّ كلماتها «السهام».

سكت صاحبي وقد بدت آثار الانفعال على وجهه.

قلت له: أكمل.. قل لي ماذا قالت لك تلك الفتاة؟

قال: قبل ذلك أحب أن أؤكد لك أننا نحن المسلمين السبب
الرئيسي في تنفير كثير من الناس في الغرب من ديننا.. قلت
له: دعني من هذا فإن ما تقوله أمر نعرفه معرفة جيدة،
ونسأل الله أن يعيد إلى أبناء الإسلام رشدهم، حتى يكونوا
على مستوى دينهم عندما يسافرون إلى خارج بلادهم.

قال: أنت الآن تدخل بنا إلى الموضوع.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

عندما مددت يدي بالهدية إلى تلك الفتاة، نظرت إليّ
نظرات لها معنى عميق.. قالت: هل أنت مسلم؟

قلت: نعم..

قالت: ومقتنع بدينك، ومؤمن به تمام الإيمان؟!

قلت: نعم..

قالت: وتتمنى أن يدخل الناس في دينك و يؤمنوا به؟

قلت: إي والله إن ذلك يسعدني ويفرح قلبي..

قالت: فماذا صنعت أنت لدينك؟

يقول صاحبي:

فاجأني سؤالها الأخير.. وقعت الهدية من يدي..
أحسست أن قطرات من العرق البارد بدأت تبرز على جبيني.

قلتُ لها: أنا تاجر ورجل أعمال، وعندنا من الدعاة من
يقومون بواجبهم نحو ديننا.

قالت وكانت بسمتها ساخرة مؤلمة.. وقد وجهت نظرها
إلى حقيبتى التي كانت ما تزال مفتوحة:-

هذه حقيبتك .. ملابس.. أحذية.. أدوات مختلفة خاصة

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

بمظهرك، حتى ملمع الحذاء أراه في حقيبتك.. وزجاجات
عطر من أغلى ما أعرف من العطور.. وهدايا مغلّفة بطريقة
جميلة.. حقيبتك هذه معرض متقل.. كل ما تحتاجه في
سفرك موجود فيها!..

ولكن أسألك:

هل في حقيبتك هذه نسخة من القرآن!.

قال صاحبي.. وهنا انفرجت أسارير وجهي وقلت لها في
ثقة: نسخة القرآن في حقيبتي اليدوية، فأنا أنزه كلام الله عن
أن أضعه مع ملابسي.

قالت وكانت ما تزال واثقة من لهجتها -: هذا شيء جميل،
ولكنني أودُّ أن أسألك سؤالاً آخر: هل فكرت وأنت مسافر من
بلادك أن تحمل معك بعض الكتب الصغيرة جداً، والمترجمة
إلى لغات غير العربية فيها شرح للإسلام وتعاليمه، ومبادئه
العظيمة؟

قلت لها- وقد كان سؤالها هذا أكثر إحراجاً لي -: لم
أفكر!

قالت: لماذا لم تفكر في ذلك؟ ألسنت مسلماً مطالباً بتبليغ
الدعوة؟ ألا ترى أن علاقاتك القوية مع بعض الشركات هنا

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

تؤهلك لأداء الدور.. ثم ألا ترى أن حقيبتك هذه تتسع لحمل عدد غير قليل من تلك الكتب؟! وسكتت قليلاً ثم قالت:

بإمكانك أن تحمل معك تلك الكتيبات عن الإسلام، وتوزعها بطريقة فيها ذكاء وحسن تصرف.. مثلاً.. عندما تفتح حقيبتك اليدوية في مكان ما بإمكانك أن تضع نسخة من الكتاب أمامك حتى يراها من حولك.. وتقدمها هدية لمن تجد في عينيه فضولاً ورغبةً في معرفة ما فيها.

وقالت: وقد زادت لهجتها قوة وثقة:

أنا لم أسلم بعد.. ولكنني قريبة من الإسلام.. لقد صدني عن الإسلام بعض المسلمين الذين رأيتهم هنا.. كانوا نماذج سيئة أصابتنني بصدمة.. كنت قاب قوسين أو أدنى من الإسلام.. ولكن تلك النماذج خيبت أمني.. غرست شجرة التردد في داخلي.. ولكن ذلك دفعني إلى أن أكثر من القراءة عن الإسلام وقرأت.. ثم أتاحت لي ذات يوم فرصة اللقاء بشابٍ مسلم كان مثلاً للالتزام بدينه والحرص عليه، فأعاد إلى نفسي الثقة في دينكم..

قال صاحبي:

كنت أستمع إلى كلامها وأنا أراجع نفسي.. أقلب صفحات

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

رحلاتي الماضية كلها .. وأتساءل بحرارة.. كيف غفلت عن هذا؟

كيف نسيت هذا الدور العظيم الذي تذكرني به اليوم فتاة غير مسلمة تبحث عن النور، وهي تعرف مصدره، ولكنها ترى من أهله من يحول بينها وبين الاستضاءة به؟

ورحلتُ - لحظتها - أرددُ: ما أكبر جنايتنا على ديننا، وما أعظم تقريظنا في الدعوة إليه!..

قلت لصاحبي.. وماذا صنعت بعد ذلك؟

قال: لملت حقيبتني.. وحملتُها وخرجت بعد أن عقدت العزم على أن أقدمُ لديني جزءاً من جهدي ووقتي.. الذي كنت أبذله كله من أجل تجارتي وعملي، وكان من أوّل ما صنعت أن دعوتُ تلك الفتاة إلى الاتصال بالمركز الإسلامي في تلك المدينة.. وقد أسلمت فيما بعد.. وحسن إسلامها.

أما أنا... فلما عدت إلى المملكة، توجهت إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ودار الإفتاء.. وبعض الجامعات.. ورابطة العالم الإسلامي.. فأدهشني ما رأيت من كتب ومنشورات بأكثر اللغات المعروفة في العالم، فيها بيان للإسلام، وتفصيل لتعاليمه ومبادئه السامية، وبدأت أملاً

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشماوي

حقيقتي بأعداد من تلك المنشورات والكتب، بدلاً من ملئها بما يزيد عن الحاجة من الملابس والأدوات.

كان صاحبي يتحدث وعلى ملامحه آثار الصدق..
والصراحة والألم لما مضى، والفرحة بما يقوم به الآن من جهد
مشكور في خدمة دينه، وسكت صاحبي.. وكأنما دعاني إلى
السكوت.. فسكتُ.. ولكن فؤادي كان يتساءل:

ماذا لو صنع كل مسافر من بلادنا إلى الخارج ما صنعه
صاحبي هذا؟ سؤال كبير!

والإجابة عنه أن يبادر كل مسافرٍ قرأ هذا المقال إلى
تنفيذ ما نفذه صاحبي، وما أصدق ما ورد عن الرسول ﷺ:
«كل منكم على ثغرٍ من ثغور الإسلام، فالله الله أن يُؤتى
الإسلام من قبله».

وأخيراً أقول: ما أسهل طريق الدعوة لمن يريد أن يسلك.



قضية المرأة ... من جديد

١٤٠٨/١١/٦هـ

تطرح قضية المرأة في بعض صحفنا هذه الأيام بطرقٍ مختلفة، تؤدي في مجموعها إلى الرأي الذي يدعو- بإصرار- أن تشارك المرأة في حركة التنمية وخططها المتعاقبة في بلادنا.

ولكنَّ السؤال الذي يستوقفنا هنا هو: كيف تتحقَّق هذه المشاركة؟ وفيم تتحقَّق؟.

بادئ ذي بدء أدعو بعض الإخوة الكتاب الذين يطرحون موضوع عمل المرأة في كتاباتهم مستخدمين عبارات ومصطلحاتٍ وعناوين أكل عليها الدهر وشرب.. أدعو هؤلاء الإخوة إلى الالتفات إلى الوراء، للإطلال على ما كان يكتب عن قضية المرأة في البلاد الإسلامية في مطالع هذا القرن الميلادي.. أدعوهم أن يتأملوا تلك الدعوات وما كانت تستخدمه من مصطلحات وعناوين براقية.. فعندها سيجد إخواننا أنهم يعيدون ويكررون ما كان قد قيل، وسيعرف هؤلاء الإخوة أنهم اليوم يكتبون لمجتمع فيه - والحمد لله - وعي وإدراك لجذور الدعوات البراقية، التي تطرح نفسها على هيئة

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

مقالة صحفية، أو برنامج مرئي أو مسموع.. وهم عندما يعرفون ذلك مطالبون بأن ينظروا إلى هذه القضية «قضية المرأة» نظرة تتكئ أول ما تتكئ على حكم الله وشريعته.. ثم بعد ذلك ينطلقون في طريقهم للبحث عن حلول لما يسمي الآن بمشكلات التنمية وحاجتنا فيها إلى «النصف الآخر»، أو «النصف العاقل» أو...

مشكلة المسلمين في هذا العصر ضعف «الحس الإسلامي» عندهم.. فهم عندما يطرحون قضية من القضايا للنقاش يخضعونها لكل مقاييس العقل البشري، وينسون أن يخضعوها لمقاييس الله، ولذلك فإن آراءهم تتسم بالخلاف الشديد.. وبالارتجالية القاصرة.. التي تبدو في أول الأمر سليمة نافعة، ثم يتضح مع الأيام فسادها.

وقضية المرأة تأخذ مكانها في أول قائمة القضايا البشرية.. لأنها تتعلق بأهم أركان المجتمع البشري.. فجدير بكل كاتب صادق مع الله أولاً، ثم مع نفسه والناس ثانياً، ألا يتناولها متهاوناً بها، غير آبه بالنتائج السيئة التي تؤدي إليها حينما تناقش بطريقة شخصية ارتجالية، إن الذين نادوا بإنقاذ «النصف الآخر» على حد زعمهم في العالم العربي والإسلامي ابتداءً من المستعمرين، ومروراً بأتباعهم في هذا الجانب

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

كقاسم أمين، وانتهاءً بما يُدار - اليوم - حول هذا «النصف» من آراء ومناقشات، إن هؤلاء جميعاً يدعون وهم يعلمون أو لا يعلمون إلى تدمير ذلك النصف وليس إلى إنقاذه، ومن ثم ينال التدمير المجتمع البشري كلّهُ.

في الغرب صيحات جادة وصادقة منذ سنوات طويلة، تدعو إلى كبح جماح هذه الحرية «القاتلة» التي أُتيحت للمرأة، وإن كانت صيحات ضئيلة تضيع في خضم الطوفان، إلا أنها دليل قويٌّ على سوء ذلك المسلك.. ودرس لنا نحن الذين لازلنا - بحمد الله - نقف على الشاطئ بعيداً عن معترك الأمواج الهادرة.

نُودي في بلادٍ إسلامية قبلنا بما يُنادى به اليوم عندنا من دعوة للمرأة أن تعمل لتساهم في دفع خطط التنمية إلى الأمام.

وتردّدت في تلك الدولة كلمات: «الدخل القومي»، و«الاقتصاد الوطني»، و«الثروة الوطنية»، إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة.. وكانت حجة الداعين إلى عمل المرأة أن الوطن بحاجة إلى سواعد النساء، حتى لا يتعطل نصف المجتمع.

وماذا كانت النتيجة..؟

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

راجت أسواق المسارح المنحرفة.. وبيوت الضياع الدنسة،
وتراجعت خطط التنمية.. وتضاءل الاقتصاد، وأصبح الناس
يعيشون حياةً فيها قدر كبير من الشقاء والتعاسة.

ثم... أليس هناك عدد كبير من الشباب العاطلين عن
العمل؟ لماذا لا ننادي إلى إتاحة فرص العمل لهم بدلاً من
المرأة، مادمنًا بحاجة إلى دفع خطط التنمية إلى الأمام؟

نقول لإخوتنا: تأملوا خطأ مَنْ سار أمامكم، حتى تأخذوا
العبرة وتستفيدوا من الدرس والله الموفق.



عندما ينعقد اللسان

١٤١١/٦/٢٠هـ

عندما تشرف بك الطريق على واحةٍ غنّاء... يداعبها
 نسيم عليل... ويستسلم لراحتها موجّ هادئ، ينساب على سطح
 نهر عاشق لتلك الواحة... وتغرّد فيها العصافير من كل صنفٍ
 ولون.. ويستقبلها الفجر ببسمته الجميلة استقبال محبٍ
 وامق.. ويودعها النهار ببسمته الحزينة المرسومة على ثغر
 الأصيل، وداع لهفةٍ وشوقٍ إلى لقاء جديد.. عندما تطلُّ على
 هذه الواحة.. وحولها هذا المهرجان الرائع من جمال الطبيعة،
 فإن لسانك سيعجز عن لمّ شتات كلماتك المبعثرة.. وعن حمل
 مشاعرك الغامرة.. وعندئذٍ ينعقد اللسان.

وعندما ترى الغيوم تجوب السماء صفاراً وكباراً، خفافاً
 وثقالاً، وقد وصل حنينها إلى سمعك رعداً.. وإلى عينيك برقاً،
 وإلى أديم وجهك رذاذاً، فإنك عندها ستشعر بأن الكلمات
 تتلاشى.. والأحرف تضطرب.. وعندئذٍ ينعقد اللسان.

وعندما تقف وقفةً أصيليةً.. تتظر إلى موكب النهار الذي
 يحزم حقائبه للسفر.. وتتظر إلى لون الشمس الممتقع وهي

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

تلقي على الأرض من حولك نظرة وداعٍ صفراء.. وتتنظر إلى
كثبان الرمال، وقد نظر بعضها إلى بعض نظرة إشفاقٍ من
ظلام الليل المقبل... وقد توزع شعاع الشمس الباهت عليها
مكوناً أجمل منظرٍ يمكن أن تراه عين.. فإنك عندها ستشعر
بنشوة الإعجاب.. وبانكسار الحزن، وأنت ترى منظر وداعٍ رائعٍ
يجري أمام عينيك.. وعندئذٍ ينعقد اللسان.

وعندما تجلس أمام شاشة «الرائي»، تستعرض ما يجري
في أرض الله الواسعة من سباقٍ على الحياة.. وصراعٍ على
السيادة، ولقمة العيش، إلى غير ذلك من شؤون الحياة.. ثم
تتسمّر عيناك أمام منظرٍ رهيبٍ تنقله إليك «آلة التصوير» من
فلسطين ولبنان.. وأفغانستان.. وأفريقيا السوداء.. والكويت،
وما أدراك ما الكويت!.. حيث تظهر أمامك أصابع البغي
والعدوان.. وتبرز مكائد الطفغان.. فتري من خلال ذلك جثث
الأبرياء تتناثر.. ووسائل الدمار تتسابق على تمزيق الأشلاء..
وترى آباءً يستغيثون.. وأطفالاً يبكون.. وأمّهات يرسمن بكآبة
وجوههنّ لوحةً قاتمةً لهذا العصر الرهيب.. عند ذلك..
ستشعر بالغثيان.. وخيبة الأمل.. وقسوة الطفافة.. وعندئذٍ
ينعقد اللسان.

وعندما تبني علاقة صداقة ومودة مع صديق حميم..

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

وتسافر معه في دروب المحبة والوفاء.. تستظلان بظلّ
الأخوة.. وتستشقان عبير الصفاء.. وتحملان أعباء الحياة
بكل ثقة في الله تعالى ثم في تعاونكما.. وتلاحمكما.. ثم
تمضي بكما الأيام... وتتغير ملامح الحياة من حولكما.. ثم
تفتح عينيك ذات يوم فلا ترى بجوارك صديقك الحميم..
وتذهب مذعوراً تبحث عنه في كل مكان.. ثم تراه ولا تكاد
تفرح برؤياه حتى يلفحك منه هواء يخالطه الغبار.. وتدبُّ في
أوصالك من حديثه برودةً وفتور.. وتقلُّبه على كل الوجوه، فلا
تجد منه إلا نكراناً للجميل.. وجحوداً للحب.. وكفراً بالأخوة
الصادقة.. فإنك عندها ستشعر بضالة الحياة وفضاعة
النكران... وعندئذٍ ينعقد اللسان.

وعندما يختلط ضوء البر مع ظلمة الليل، فترى من ذلك
سواداً ممزوجاً ببياض، وتشعر حين تتأمل سحنة الليل أنك
أمام لوحة رائعة رسمتها أنامل النجوم ووزعت ألوانها... ثم
يذهب بك الخيال بعيداً، فتشعر أنك من الليل في واحة.. لها
من حفيف الأشجار إيقاع جميل.. ومن هبات النسيم أنفاس
دافئة.. ومن عبق الأزهار عطرٌ ساحرٌ أخاذ ثم توغل في دروب
الخيال.. فترى نفسك ممتطياً حصان الليل الأدهم، وقد غدا
القمر غرةً في جبهته السمراء.. وهو يجوب بك آفاق الكون

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

الفسيح فترى نفسك كالريشة في مهب الرِّيح، وكالذَّرة الصغيرة في الفضاء الفسيح.. وتبرز أمامك عظمة الخالق.. في عظمة هذا الجزء الضئيل من كونه العظيم.. إذا بلغت من مدى ليك الحالم هذا المبلغ، فإنك عندها ستشعر بضالة الإنسان المتجبر.. أمام هذا الكون الكبير، وعندئذٍ ينعقد اللسان.

وفي كل هذه المراحل - وفي غيرها - ستحسُّ بعظمة الدين الحنيف ودوره الكبير، في توجيه أذهان البشر إلى اللجوء الصادق، والتعلقُ الخالص بالله تعالى خالق كلِّ شيء ومبدعه.. وما أجمل أن يقول الإنسان عندما يشعر بانعقاد لسانه أمام مظاهر الكون البارزة ومسارب النفس الغامضة، «سبحان الله العظيم!» ففي هذه الجملة الجميلة الرائعة تتسكب كل معاني الدهشة، وبين حروفها المضيئة تُفكُّ عقدة اللسان.. «سبحان الله العظيم!» تصغر أمامها الأشياء وإن كبرت.. وبها يوجَّه الإنسان ما رآه من معجزات الحياة ومظاهرها الكبيرة إلى العزيز الحكيم، الذي أوجدها وهو بها أعلم.. وهي عليه أهون.

قارئ العزيز رأيت معي جمال هذا الإيقاع الرائع الذي

تتطق به حروف هذه الكلمة المشرقة «سبحان الله العظيم»!



حتى لا تختلط الأوراق

١٤١١/٢/٢٧هـ

الأمة التي لا ترتب أوراقها على ضوء مبادئها وثوابتها الدينية والفكرية، تظل عاجزة عن استيعاب حقائق الأحداث التي تحيط بها أو تحلُّ بساحتها.. وأمةٌ هذا شأنها تبقى عاجزة عن اتخاذ موقفٍ موحدٍ يجمع شتات الآراء والأفكار التي يطرحها علماءؤها ومفكروها.

وأمتنا الإسلامية - كما نعلم - واحدة من تلك الأمم التي ما تزال أوراقها مبعثرة، ومواقفها متباينة مختلفةً أشدَّ الاختلاف.. الأمر الذي جعل أوراقها تختلط كثيراً في مواجهة الأزمات التي تفاجئها بين حينٍ وآخر.

وهذه الحالة المؤسفة التي تعيشها الأمة هي التي أتاحت لأعدائها البعيدين والقريبين أن يصنعوا فيها ما يشاءون، وأن يرسموا لها من الخطط ما يحققون به مصالح خاصةً بهم على حساب مصالح الأمة.. وبالرغم من أن هذه القضية أصبحت حقيقة واضحة من حقائق شخصية الأمة الإسلامية في هذا الزمن، إلا أن أبناءها ما يزالون في تخبطهم ينتقلون في آرائهم

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي
من النقيض إلى النقيض دون أن يكون لهم ضابط من شرع أو
عرف يحول بينهم وبين الاضطراب.

حدث ما حدث في الكويت.. واجتاح جيش العراق ديار
جيرانه، واستباحها قتلاً وسلباً واغتصاباً.. وهو أمر في
موازين الأمم الواعية يستحق وقفة واحدة شجاعة لا غموض
فيما تقرره ولا التواء، ولكن الذي حدث أن أمتنا الإسلامية
- كعادتها في العصور المتأخرة - قد انقسمت واختلفت مواقفها
تجاه هذا الأمر الواضح، والذي يجعل أسفنا أكبر أن هناك
بعض الجماعات الإسلامية قد رفعت صوتها بتأييد العراق،
ووقفت معه محتجة بمعارضتها للتدخل الأجنبي في المنطقة،
ورأينا أمتنا كيف تتعامل مع الأحداث الكبيرة بعقول صغيرة!
وذلك - في نظري - أخطر من المأساة ذاتها التي زرعتها جيش
العراق في صدر أمتنا الإسلامية.

كنا نتمنى لو أن أمتنا ممثلة في ولايتها وعلمائها ومفكرها،
اجتمعت على كلمة واحدة تدين اعتداء المعتدي، وترسم خطأ
مستقيماً لموضوع الاستعانة بغير المسلمين.. خطأ يتفق مع
كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

ولكن هذا الاجتماع لم يحدث، إنما حدث الانقسام.. ولو
أن هذا الانقسام كان مبنياً على رؤية إسلامية واضحة للأمور
لهان الخطب، ولكنه مبني - مع الأسف - على الانفعال،
والمواقف الآنية القابلة للتبديل.

لا أدري كيف يجيز مسلم لنفسه أن يؤيد «حاكم العراق»
فيما صنعه في الكويت ناسياً قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾، وما جرى في الكويت ظلم ظاهر لا
شك فيه.

هل ينتقد هؤلاء المؤيدون لصدام تدخل القوى الأجنبية؟
إذن فهذه قضية أخرى وهي قضية مهمة تحتاج إلى أن تناقش
برؤية إسلامية واضحة، ولكنها لا تبرر لأحد كائناً من كان أن
يؤيد أصحاب الظلم والاعتداء على الأنفس والأموال
والأعراض.

الأمر يحتاج إلى سعة أفق في تناول القضايا ومناقشتها..
صدام اعتدى وبغى وظلم، فنحن نقف بكل صراحة ووضوح
ضدّ هذا الاعتداء والبغي والظلم، بذلك يأمرنا الإسلام وعليه
يحثنا القرآن، بل إن قرآننا يأمرنا بمقاتلة الفئة الباغية إذا لم
ترجع إلى الحق. وتدخل القوى الأجنبية له - أيضاً - سلبياته
ومخاطره.. فنحن أيضاً نقف بكل صراحة ووضوح ضدّ

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

الاسترسال في فتح الأبواب أمام هذا التدخل الأجنبي لغير المسلمين.

وكل قضية تناقش بما يتلاءم معها، مناقشة منبثقة من حكم الله الذي لا مبدل لحكمه.

الضرورة دعتنا إلى الاستعانة بالأجنبي.. الضرورة التي صنعها اعتداء العراق على الكويت.. وهذا أمر ناقشه علماء المسلمين وأفتوا بجوازه.. ومع ذلك فنحن مطالبون - إسلامياً - أن نعمل جاهدين للاستغناء - سريعاً - عن الأجنبي، بتكوين جيش إسلامي قوي، قادر على ردع هذا المعتدي المتطاول الذي هانت عنده دماء المسلمين وأعراضهم.

إذن.. التوازن مطلوب في مواجهة أزمتنا المعاصرة.. وهو ما لم يحدث عند كثير من المسلمين هذه الأيام.

لا أدري كيف يقبل مسلم صاحب وعي وبصيرة أن يؤيد صدام، وأن يرفع صوته بمناصرتة وهو يعلم أنه بعيد عن الإسلام، كما لا أدري كيف يرضى مسلم صاحب وعي وبصيرة، أن يرى أمته في أزمتها الراهنة تضطر إلى الاستعانة بغير المسلمين ثم يبقى واقفاً سلبياً دون أن يعمل على تقديم نفسه جندياً صادقاً مدرباً ليحل محل جندي أجنبي قدم إلى بلاده..؟

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

هكذا تظل الأمة في اضطرابها بسبب ركونها إلى الدنيا،
وبعدها عن الاحتكام الكامل غير المنقوص إلى شرع الله.

وأحكام مثل هذه الأزمات والقضايا الشائكة موجودة في
كتب تراثنا الفقهي، ناقشها العلماء المخلصون، وبيّنوا فيها
طريق الصواب.. وإتنا - في هذه الأيام - بحاجة ماسة إلى
الوضوح والصراحة، وإلى سعة الصدر مقابل هذاالوضوح، حتى
لا نظلّ على حالتنا المضطرب الذي يسوء الصديق ويرضي
العدو.

إن الله يمتحننا، فهل يمكن أن ننجح في هذا الامتحان
الخطير؟ نعم بإمكاننا أن ننجح حينما نعيد الأمور إلى
أصولها، ونفسرها تفسيراً شرعياً سليماً.

يقول الله تعالى: ﴿الْمَ ﴿١﴾ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ
يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ . وأقول: يا أمتنا عودي إلى
منهج الله الحق حتى لا تختلط الأوراق.



حتى لا ينهار الجدار

١٤١١/٤/٩ هـ

في الأزمات تختلط الأمور في أذهان الكثير، وتكثر الشائعات، وتضطرب بعض النفوس اضطراباً يفقدها اتزانها وثباتها، وكثيراً ما تغيم الرؤية فترى عيون الناس أشباحاً في وضوح النهار، وتتحرك مواكب الأوهام وخفافيش الظلام.

هذا هو شأن الأزمات البشرية في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.. وكثيراً ما تذهب هذه الأزمات باستقرار الناس وتقضي على هدوء حياتهم، وتفسح المجال للخلافات الحادة التي تستغلها بعض الأيدي الخفية والوجوه المقتنعة، للوصول إلى الأهداف والمرامي.. وفي وهج الأزمات تتحرك طوابير الباطل والضلال لتذهب بالبقية الباقية في نفوس الناس من الصبر واليقين، حتى إذا تكشفت الأمور، وظهرت الشمس تبينت للناس حقائق ما كان، ولكن بعد فوات الأوان.

يا ترى.. ما الذي يعصم الناس من هذا الاضطراب؟

ليس كالإيمان عاصماً.. إنه القوة الحقيقية التي تصدُّ كلَّ هذه الجحافل من الاضطراب واليأس والحيرة والاختلاف..

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

إن تاريخ البشرية يثبت ذلك، وتؤكدده الوقائع والأحداث؛ في غزوة الأحزاب بلغت القلوب الحناجر، واضطربت النفوس، وتحركت خفافيش النفاق تزيد من حدة الاضطراب، وتوقد نار اليأس، وتبث الشكوك في نفوس الكثير...

ما الذي صدّ ذلك كلّهُ؟ الإيمان بالله، الإيمان الراسخ القويّ الذي لا تزعزعه محاولات المرجفين.

في خضم الأزمة، يضرب الرسول ﷺ الصخرة، ويعد المسلمين بفتح فارس والروم، إيمان عميق لا تحركه العواصف عن موقعه القويّ قيد أنملة.

وبالمقابل تظهر حيرة المنافقين، ويبرز اضطرابهم الكبير، ويعبرون عنه بسؤال يبدو لبعض الناس منطقياً واقعياً، ولكنه عند المؤمن سؤال انهزام واضطراب.

هذا محمد يعد أصحابه بخيرات فارس والروم، والمسلمون في أزمة الأحزاب لا يستطيع أحدهم أن يقضي حاجته من الرعب! شائعة عنيفة، وسؤال شيطاني رهيب.. له من واقع ما كان يجري نصيب وافر.

يا ترى ما الذي يقطع دابر مثل هذا السؤال؟

الإيمانُ بالله...

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

وقد كان.. وكان الجزاء من الله للمؤمنين أن أرسل الريح
لتحسم الموقف، ولترد كيد الخائنين والمرجفين في نحورهم.
وقس على ذلك كل الأزمات التي تمرُّ بها الأمم...

ومنها أزمة أمتنا الإسلامية هذه الأيام.

إرجاف، وتحليلات سياسية، وقصائد، ومقالات، وندوات
واضطراب عظيم في نفوس كثير من الناس...

أزمة ضخمة خطيرة.. تحرَّكت فيها خفافيش الظلام، تبث
الرعب، وتتشرب القلق في نفوس المسلمين.

وبرزت الأسئلة كالسيل على أسنة المساكين، متى ستكون
الضربة العسكرية؟ ومتى سيحسم الموقف؟ ومتى سيقتل
صدّام؟ ومتى ستحرَّر الكويت؟.

وانهالت على الناس التقارير السريّة والعنيفة، والمعلومات
العسكرية الصحيحة والمزوّرة، والناس لا يدرون إلى من
يستمعون، ومن يصدّقون.. وقليل منهم من يلجأ إلى ربه لجوءاً
صادقاً بالقلب والجوارح، وليس باللسان فقط!.

وكثرت المقالات التي تبحث عن حلّ، فهذا كاتب يطرح
طرحاً قومياً لحل الأزمة، وذاك يطرح طرحاً علمانياً، والآخر

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

طرحاً عقلانياً، وقليل جداً من يطرح الطرح الإسلامي.

ويبقى السؤال كبيراً.

ما المخرج من هذا الاضطراب؟

ويجيء الجواب سريعاً.. الإيمان بالله.. الإيمان هو المخرج، فالله هو مصرف الكون، والعودة إليه هي العودة إلى المحيط بكل شيء، أليس هو القائل في كتابه الكريم: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنْ أَلَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾؟ إذن فالإيمان بالله هو المنقذ.

صحيح أن الأعداء يخططون ويعملون، وينسجون في الخفاء خيوط المؤامرات، ولكن بالرغم من ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

إن جدار الإيمان الثابت هو الذي يصد عنا طوفان الضلال والهزيمة.. وهو الجدير بالطرح عبر وسائل الإعلام. ليس معنى ذلك أن نعزف عن معرفة خطوات الأعداء العسكرية ومخططاتهم السياسية.. كلا.. ولكن معناه أن نجعل الإيمان بالله رانداً في كل تحليل سياسي، أو تقرير إخباري، أو دراسة عسكرية.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

والإيمان الراسخ لا يتأتى لمن خالط نفسه أدنى شعور
بالشك في إيجابياته، وإنما يتحقق في نفس المؤمن بالله إيماناً
لا يخالطه ريب؛ يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ ، إذن هو إيمان راسخ، لا يدنو من ساحته
ريب أو شك.

وأنا من هذا المنبر الإعلامي الكبير أنادي أمتي.. أمة
الإسلام.. أقول لها:

عليك بالإيمان الراسخ قبل أن ينهار الجدار، ونغدو أثراً
من الآثار.



الثبات على المنهج ... وراحة النفس

١٧/٨/١٤١٠هـ

إذا رسم الإنسان لنفسه طريقاً في الحياة، وظلَّ يسير فيه على هدىً وبصيرة، لا يتنازل عنه أو ينحرف، إلا بمقدار ما يتيح له المحافظة على استقامته، فإنه يرقى - في هذه الحالة - إلى المستوى الإسلامي الراقى في الثبات على المبدأ، والاستقامة على المنهج.

والإنسان الذي يصل إلى هذا المستوى من وضوح الرؤية، وعمق الإحساس بالمسؤولية، يريح نفسه أولاً من التذبذب والضياع، ومن الظلم والاعتداء على الآخرين، ويريح الناس من حوله - ثانياً - فلا يظلمون من أمره على حيرة واضطراب، ولا يسيئون إليه إساءة لا يستحقها، أو يحسنون إليه إحساناً لا يستحقه.

وقضية «رسم المنهج» والثبات عليه، ذات صلة بوعي الإنسان ودرجة تفكيره ومستوى يقينه، ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة، بل إننا نصيب كبدها، حين نقول: إن المسلم العاقل الواعي أقدر الناس على تحقيق هذا الثبات على المنهج الواضح الذي رسمه القرآن الكريم وأكده رسول الله ﷺ.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

ذلك لأن المسلم يحظى بما لم يحظ به غيره، من وجود منهج مستقيم واضح المعالم عميق الجذور، يتمثل في الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله للبشر جميعاً.

فإذا استطاع المسلم أن يحطّم أمامه حواجز الشبهة والشهوة والهوى، كان قادراً على الاستقامة التي تحقق راحة النفس، وتمنح صاحبها قدرةً على مواجهة عوامل الضغط الفكري والاجتماعي والنفسي، التي يحلو للأعداء أن يمارسوها ضد المسلم الملتزم.. ونحن هنا لا نتحدث من فراغ، كما أننا لا نأتي بجديد، ولكننا نذكرُ القراء بهذه المزية الكبرى التي تتميز بها عقيدتنا، وهو أمر له في ديننا قواعده، وفي تاريخنا شواهد.

والإنسان الذي يرسم منهجه ويثبت عليه.. ينظر إلى الذين يحاولون صرفه عن هذا المنهج نظرة إشفاق ممزوجة بقدر لا بأس به من «السخرية» بمن يجهل معنى الثبات على المنهج في حياة المسلم المتجه إلى ربه في كل حالاته، صحته ومرضه، صوابه وخطئه، قوته وضعفه.

ولو رجعنا إلى بداية الدعوة الإسلامية لرأينا نماذج لهذه السخرية المهذبة من أعداء الحق.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

المسلمون الذين استضعفوا في مكة، سمية، ياسر، عمار، بلال، صهيب، وغيرهم كثير، كانوا ينظرون إلى قريش نظرة ساخرة، ولسان حالهم يقول: افعلوا ما شئتم، فإنكم ستظلون عاجزين عن الوصول إلى الأعماق التي استقر فيها اليقين بالله، هكذا يكون ثبات المؤمن على منهجه، لا يقبل فيه دنية، ولا يرضى عنه انحرافاً.

والذي يتابع ما يجري في عالم اليوم، يرى نماذج من العدوان العسكري والسياسي والثقافي على المسلمين عامة، تتراوح تلك النماذج بين القسوة الظاهرة، والقسوة المستترة، تلك في الإرهاب العسكري والسياسي، وهذه في الإرهاب الفكري والثقافي، الذي يمثل أنموذجاً من نماذج الظلم للآخرين.

والمسلمون في مواجهة العدوان أصناف.. فريق يتلاشى وينهزم، وفريق يقف في الوسط ينظر بعين إلى اليمين وأخرى إلى اليسار، كلما سمع صيحة طار إليها، والفريق الثالث ثابت صامد، يعرف موطن قدميه، ويعلم علم اليقين أن صولات الباطل وأهله فقاعات تحدث دويماً، ولكنها سرعان ما تذهب هباءً منثوراً.

والفريق الثالث هذا، هو الذي يمتاز بالثبات على المنهج والسير في طريقه المستقيم، ربما يرى أهل الباطل يصلون إلى

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

بعض ما يهدفون إليه، ويحتلون مواقع مهمة في الساحة أمامه، ولكنه يرى إلى جانب ذلك، عوامل الضعف تدب في أوصالهم، ويعلم أن جولة الباطل ساعة، وجولة الحق إلى قيام الساعة، وهذا الثبات هو الذي نطمح إلى أن يكون صفة لأمتنا في مواجهة العصر واتجاهاته المادية والفكرية والثقافية المنطلقة من رؤية مادية قاصرة، ترى الأشياء بظواهرها. وذلك الثبات هو الذي يحقق للأمة عمق النظر، وسعة الأفق في آن واحد، وهي بحاجة ماسة إلى ذلك العمق، وهذا الاتساع.

وقفة مع المسرح:

هل المسرح ضروري لحياة الناس بحيث لا يمكن أن يستغنوا عنه؟ مسألة فيها نظر.

فالذين يبحثون في مجال المسرح تاريخياً وفنياً وواقعياً، ويُلْمون بمواقفه، ومراحل تطوره، وظروف نشأته، وينظرون إلى ذلك كله بموضوعية وأناة وروية، يرون أن المسرح قد يكون ضرورياً في مرحلة من المراحل لمجتمع من المجتمعات، ولكن الحاجة إليه ليست إلى هذه الدرجة التي يصورها دعواته والمقتنعون به.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلاذنا والتميز

ويذهبون في مناقشة هذه الفكرة إلى ما هو أبعد، فيشيرون إلى نشأة المسرح عند الأمم القديمة، فراعنة، وإغريقاً، وروماناً وغيرهم، ويتحدثون عن علاقة المسرح بالدين عند هذه الأمم، وعلاقته بالتوجهات الدينية والفكرية والسياسية عند الأمم المتأخرة، وخاصة في هذا العصر، فيؤكدون أن العلاقة وطيدة بين المسرح والدين، ويتناولون هذه النقطة بالتفصيل فيقولون: الدين الذي توطدت علاقته بالمسرح أو علاقة المسرح به، دين محرف، بعيد عن التصور الصحيح للدين الذي يأمر الله به عباده.

فالدين الذي نشأ في ظل المسرح، دين مشحون بالخرافات والأساطير والأوهام، دين تتعدد فيه الآلهة، وتكثر فيه مطامعها وصراعاتها مع بعضها، ومع بني الإنسان.. دين ينساق وراء الخيال والوهم، فترى من خلاله إلهاً للحب وإلهاً للجمال، وإلهاً للخير، وإلهاً للشر.. إلى غير ذلك من الآلهة التي قد يعجز الإنسان عن الإلمام بأعدادها وأصنافها.. بل وترى من خلال ذلك الدين المحرف آلهة عجيبة نصفها إله، ونصفها إنسان!..

هذا هو الدين الذي نشأ في ظل المسرح، وانتشرت به الأساطير والخرافات، ولذلك كان للكنيسة في أزمانٍ مختلفة

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشاوي

مواقف سلبية من المسرح، علماً بأن الدين النصراني الذي تعلمه الكنيسة وتدعو إليه مصاب بداء التشويه، بل إن فيه ما يتلاءم مع الأسطورة التي قام عليها المسرح وانبثق منها، وما التثليث، والأقانيم الثلاثة إلا دليل على ذلك.

ويذهب أولئك المناقشون لموضوع المسرح بأناةٍ وتدبرٍ إلى ما هو أبعد فيقولون:

إذا كان المسرح القديم قد نقل إلينا الأساطير اليونانية، والفرعونية، وأساطير الأمم الأخرى، من رومان، وآشوريين وبابليين وغيرهم، فقرأنا عن الفرعون الموعود، وعن إيزيريس وأوزيريس، وعن أوديب، فإن المسرح في العصور المتأخرة قد بُني على تلك القواعد واتكأ عليها، وإن كان قد خضع لأمر فنية جديدة دعا إليها تطور الفنون المختلفة في هذه العصور، وكان من تطور المسرح نزوله إلى واقع الحياة، ودخوله إلى قضايا المجتمع ومناقشتها مسرحياً، وكل مسرح يعالج القضايا من وجهة نظر تتفق مع المنطلقات الفكرية والثقافية لأصحابه والقائمين عليه.

ثم رأى هؤلاء أن واقع المسرح عالمياً وعربياً يؤكد خطورته على القيم والأخلاق، خطورة لها أثرها السلبي على المجتمعات الملتزمة، وعلى البناء الأسري في تلك المجتمعات.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلاذنا والتميز

إن التظير هنا شيء، والواقع شيء آخر، فما كتبه نقاد المسرح عن أهميته، ودوره في نشر الوعي والثقافة شيء، وما يراه المتابع من انحراف المسرح، وخروجه عن جادة الطريق السليم شيء آخر. وهناك فئة أخرى تدرس تاريخ المسرح، وتسميه «أبا الفنون» وتتحدث عن الجوانب الفنية فيه، وترصد مراحل تطوره دون أن تلتفت إلى الجانب الخلفي فيه.

ومن هذه الفئة من أحزنه أن يقال: إنه لا مسرح عند العرب، فغدا يبذل جهوداً كبيرة ليثبت وجود المسرح عند العرب، ويتحدث عن مجالس لهوهم في الجاهلية، وعن انتشار بعض الأساطير عندهم، وقد صنع ذلك د. محمد يوسف نجم في كتابه عن المسرح العربي، الكتاب الذي عدّه بعض النقاد من أهم الكتب في هذا المجال، وإن كان لجلال العشري فيه رأي آخر.

وأخذت هذه الفئة على عاتقها مهمة الدعوة إلى المسرح والتأكيد على أهميته في المجتمع.

وأقول: بعد أن يعرف الإنسان المسلم هذين الاتجاهين ماذا يصنع؟

هل يدعو إلى إيجاد مسرح في مجتمعه، متأثراً بمن قال

بلادنا والتميز _____ عبد الرحمن بن صالح العشماوي

بضرورة وجوده؟

أم يدعو إلى إقفال هذا الباب متأثراً بمن قال بخطورة وجود المسرح؟

أرى أن أفضل كلمة قيلت في هذا الأمر ما قاله الدكتور «يوسف عز الدين» الذي كان أستاذاً بجامعة الملك سعود وصار الآن أستاذاً بكلية التربية بالطائف، حيث قال في لقاء أدبي حول المسرح في نادي الرياض الأدبي عام ١٤٠٥هـ:

«لا يعيب المملكة العربية السعودية أن يقول الناس عنها إنها خالية من المسرح، بل إن ذلك ميزة لها». فهل لنا أن نفكر في هذا القول ملياً، ونناقشه بهدوء؟ أرجو ذلك.

رسالة:

تقول لقد كثر الحاقدون	وقد عكَّر الحاسد الموردا
وأصبح سهلك نجداً فقلتُ	لأنني تعودت أن أصعدا
الأئمتي ذاك أمر عظيمٌ	إذا بلغ المرء أن يُحسداً

وقفه مع الجهاد الأفغاني

١٤٠٨/٦/١٣ هـ

كلّما سيّر الشتاء مراكبه.. وبثّ جنوده برداً قارساً، وجليداً قاسياً، وعواصف ثلجية مدمّرة.. تحرّكت آمال العدو الغاشم في أفغانستان، فغدا يبثّ جنوده.. ويزيد من عدد قوّاته.. الطائرات والمدافع.. والصواريخ ووسائل الدمار المختلفة، ظاناً أن ذلك - مع برد الشتاء وعواصف الثلوج - سيكون سبباً في تخاذل المجاهدين الأفغان، وعاملاً من عوامل انهزامهم.

ولكنّ الاتحاد السوفيتي يصاب دائماً بخيبة آماله.. ويلقي بقوّاته إلى التهلكة مصراً على عدوانه.

والذي يؤسف له.. أن وسائل الإعلام في عالمنا الإسلامي تقصّر كثيراً في متابعة حركات المجاهدين.. بل وتقع - غالباً - ضحية التفسيرات والتأويلات التي تنشرها وسائل الإعلام الغربية والشرقية، وهذا خلل كبير لا أدري متى نستطيع إصلاحه في عربة الإعلام الإسلامي المعاصر.

إنّ القوى الكبرى تتكالب علينا.. وتقف ضدّ مصالح أمتنا، هذا أمر لا يختلف فيه أحد ممن يعرف ما يجري حوله.. ولكن

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

الأساليب تختلف، فمن أعدائنا من يقتلنا وهو يبتسم لنا «بسمة الخداع»، ومنهم من يقتلنا وفي وجهه تجهمٌ.. تبرز من خلاله عداوة راسخة لا يمكن إخفاؤها ببسمة خادعة.. عفواً - قارئى العزيز - فأنا أكتب.. وأمام قلبي شواهد كثيرة، لا يدري ماذا يأخذ منها وما يدع..

فها نحن نرى أطفال فلسطين ليس لديهم إلاّ الحجارة يواجهون بها ظلم عدوهم، ومع ذلك فإن القوى الكبرى لم تتحرك لإنصاف المظلوم ولا لصدّ الظالم، وكيف تفعل ذلك وهي مع الظالم ضد المظلوم!

ثم ها نحن نرى ونسمع منذ أسابيع ما يقال وينشر عن الجهاد الأفغانى.. فنعجب لما نرى في وسائل الإعلام الإسلامى من عدم تحقيق كثير من الأخبار التى تنقل.. قرأنا في الصحف ما أشيع من أن أمريكا قد بعثت بصواريخ «ستتجر» إلى المجاهدين الأفغان، وصدق الناس أو بعض الناس هذه المقولة دون معرفة حقيقة الأمر.. بينما يعلم من يراقب الجهاد، أو يعيش مع المجاهدين أن ذلك محض افتراء، فالمجاهدون الأفغان يؤكدون دائماً أنهم لا يرضون إلا بالله نصيراً مهما تطاول المعتدون.

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

وحدّث - أيها القارئ الكريم - حصار قبل أسابيع .. حيث حاصر المجاهدون الأفغان قاعدة جوية سوفيتية مهمة تقع بالقرب من مدينة «خوست»، الواقعة طرف ولاية «باكتيا» من جهة «بيشاور»، وكانت هذه القاعدة تضم قوّة سوفيتية كبيرة، وعندما تم الاجتماع بين قطبي القوى الكبرى في العالم كان من أهمّ نتائج هذا الاجتماع أن تحركت قوة سوفيتية كبيرة من كابل متجهة صوب «القاعدة الجوية» التي يحاصرها المجاهدون .. تلك القوة كان قوامها ألف دبابة .. كل دبابة لا يقل أفرادها عن عشرة، ما بين قائد، ومساعد له .. ورام، وغيرهم، أي أن قوام الحملة عشرة آلاف جندي أو يزيدون .. وقد شارك في هذه القوة الغاشمة شيوعيون من كل البلاد الشيوعية تقريباً؛ لأن هذه المعركة مهمة بالنسبة إلى رفع الناحية المعنوية عند الجنود السوفيت ..

ولكن ما حدث كان شيئاً مذهلاً .. حيث دمر المجاهدون القوة الداخلية التي كانوا يحاصرونها .. ثم انسحبوا انسحاباً عسكرياً منظماً في مناورة رائعة، لاستيعاب تلك الحملة القادمة من كابل في صورة ألف دبابة وعشرة آلاف جندي تغطيها الطائرات، وكانت النتيجة لهذا كله معروفة سلفاً .. فهي مناورة أراد بها الاتحاد السوفياتي إسكات تلك الأصوات

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

التي تعالت من داخله، تتساءل إلى متى تبقى القاعدة الجوية في «خوست» محاصرة من قِبَل المجاهدين؟ وإلى متى يظل الاتحاد السوفياتي عاجزاً عن إنقاذ جنوده المحاصرين داخلها؟.

وتقدم العدو لإسكات تلك الأصوات، ولكنه تقدم الجاهل الذي أدى إلى تدمير القاعدة الداخلية.. فكانت حملته خاسرة قبل أن تبدأ .

هذا ما جرى، ومثله يجري.. ولكن بعض الصحفيين المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي يشيرون إلى انسحاب المجاهدين وكأنه هزيمة، وهم - أساساً - يجهلون مواقع الجهاد وطرقه.. ويجهلون أساليب المجاهدين الذين يُعد صمودهم أمام القوة العاتية تسع سنواتٍ كرامة من الله نسأل الله أن يتوجها بالنصر القريب.

كفانا يا أبناء الإسلام.. تخاذلاً.. ونكوصاً.. وضعفاً وجهلاً بحقيقة أوضاعنا .

إنني أرى أن كل صحفي مسلم.. مسؤول عن الجهاد الأفغاني، كما هو مسؤول عما يجري لإخواننا في فلسطين ولبنان والخليج، وهذه المسؤولية تجعل من أقل واجباته أن

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

يزور مواطن الجهاد ليكتب عن علم، ولكي يطّلع على ما يجري.. حتى لا يُخدع بما تهربه إليه وكالات الأنباء الأجنبية من أخبار ملفقة مكذوبة.. أو أخبار صحيحة ولكنها مفسرة بطرق تشوّه حقائقها.

عفواً - قارئ العزيز -، فإن الإنسان المسلم يصاب بالألم الذي يشتعل في أعماقه عندما يقرأ مقالة لكاتب مسلم في بلد مسلم يحاول صاحبها أن يحتكم إلى ما يسمونه بـ «العقلانية»، مكذباً بذلك ما يجريه الله تعالى للمجاهدين من كرامات ينقذهم بها من براثن العدو، وكأن العقل البشري قادر على استيعاب كل الغيبيات التي هي في علم الله تعالى.. وينسى هذا الكاتب أو يتناسى ما جرى، بل وينسى أن هنالك أموراً يعجز عن إدراك كنهها البشر.. وقد ضرب الله لنا مثلاً بقصة الخضر مع موسى.. حيث رأينا كيف يتوقف العقل البشري أمام كثير من مظاهر الحياة.. فلا يستطيع إدراك أسبابها ونتائجها؛ لأن ذلك مما يجري في علم الله تعالى.

وأنا أقول لذلك «العقلاني»:

إذا كنت تحتكم إلى العقل فقط، فهل من المعقول أن يصمد جيش شبه أعزل أمام قوة عالمية كبرى، لها وسائلها

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

المدمّرة مدّة تسع سنوات، يحقق فيها ذلك الجيش المجاهد
انتصارات عظيمة؟

عقلك ومنطقك البشري يقول: لا يمكن.. لأنه عقل يؤمن
بالمحسوس فقط.. ولكن قدرة الله وتدييره يقولان لنا: إن ذلك
ممكن.. وقد حدث في أفغانستان.

عفواً - قارئ العزير -..

فإن مصيبتنا نحن المسلمين اليوم أن أكثرنا مهزوم من
الداخل، وهذه شر هزيمة تصاب بها أمة.. الهزيمة الداخلية
هي التي تجلب على صاحبها الوبال والدمار.

في غزوة الخندق.. عندما بلغت القلوب الحناجر، وتجمع
الأعداء على المسلمين من كل مكان.. لم يكن في قلوب
المسلمين إلا العزة واليقين بنصر الله، حتى إنهم طربوا
وفرحوا بما بشرهم به الرسول ﷺ من أنهم سيفتحون بلاد
فارس والروم واليمن.

أين العقلانية من هذا؟ العقلانية تقول إن هذا غير وارد؛
فإن حالة المسلمين في الخندق تدل على سيطرة الأعداء
عليهم، ورجحان كفة قريش وحلفائها، ولكنّ اليقين بنصر الله
وعدم الانهزام الداخلي كانا يقولان: بل سوف ننتصر اليوم

عبد الرحمن بن صالح العثماوي بلادنا والتميز

بنصر الله، وسوف يحقق الله لنا وعد رسوله بفتح فارس
والروم واليمن.

وجاء ما يخالف «العقلانية»، حيث هبَّت الرياح التي
أرسلها الله فقضت على تلك القوة الغاشمة.

قف أيها العقل البشري القاصر عند محسوساتك
وطاقتك، أما ما يتجاوز ذلك فيجب أن يندرج تحت دائرة
الإيمان بالله تعالى، الذي يقدرُ ما لا يكون لنا في الحسابان.

هكذا يجب أن يكون الكاتب المسلم والصحفي المسلم..
مستوعباً لكل ما يجري حوله.. واعياً ما يدبرُ لأُمته من وسائل
التدمير الفكري والعسكري والسياسي والاجتماعي.

نحن اليوم بأمس الحاجة إلى فهم الأمور فهماً إسلامياً
نزihاً، بعيداً عن كل التأثيرات الوافدة والمغرضة.

وأقول: إن إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وفي
فلسطين، وغيرهما من بلاد المسلمين بحاجة إلى دعمنا
المادي والمعنوي، وبحاجة إلى وعينا بحقيقة ما يجري
لهم.. فإذا كنَّا كذلك كان لنا - بإذن الله - من أجر الجهاد
نصيب كبير.

وقفة شعرية:

طفل أفغاني يسأل أباه:

نُسبى ونطرد يا أبى ونُبَادُ

فإلى متى يتناول الأوغادُ؟

والى متى تدمي الجراح قلوبنا

والى متى تتقرح الأكبادُ؟

نصحو على عزف الرصاص، كأننا

زرع، وغارات العدو حصادُ!

ونبيت يجلدنا الشتاء بسوطه

جلداً، فما يفسى العيون رقادُ

يتسامر الأعداء في أوطاننا

ونصيبنا التشريد والإبعادُ

وتفرخ الأمراض في أجسادنا

أواه مما تحمل الأجسادُ..

الدُّمَى تحصد الدُّمَى

١٤٠٦/٥/٢٤هـ

عندما ترى صورة فجر على لوحة رسمها مَفَنٌ، فإنك لا تسميها فجراً ولكنك تسميها صورة الفجر... الفرق بين الفجرين أنَّ الفجر الحقيقي يتحدث بلغة النور، فتفهم بقاع الأرض ما يقول، ويفهم الناس ما يقول.. وهو يتنفس بأنفاسٍ من الضياء، فنرى فيه ديب الحياة وحركة الوجود... وهويبتسم فتصبح الآفاق ببسمته معنىً رائعاً من معاني الأمل المشرق الذي يشيع في نفوس البشر.

أما فجر الصورة أو صورة الفجر، فإنه يحمل من معاني الفجر شكله ومظهره.. ولكنه يظلُّ في حقيقته لغةً ميتةً تتحدثُّ بها الألوان على لوحٍ من الخشب، أو الورق، أو الزجاج، وبين الفجرين - كما ترى - فرق كبير كبير، يجعل لقاءهما على معنىً من معاني الحياة والحركة مستحيلاً، بل إنهما يلتقيان وفي أحدهما حركة الحياة، وفي الآخر سكون الموت.

وعندما ترى دُمى جميلةً على فراش طفلة مرفهة، فإنك لا تسميها إنساناً وإن أخذت شكل الإنسان.. ولا يمكن لك أن تطلق عليها اسم الإنسانية؛ لأنها جامدةٌ لا تتحرك.. والإنسان

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

متحركٌ لا يتحقق له الجمود إلا عندما يموت، وهو جمود مؤقت، يتيح للناس من حوله أن يضعوه بين جنبي القبر، ويهيلوا عليه التراب.

الفرق بين الدمية والإنسان كالفرق بين الحياة والموت... الإنسان كيان عظيم دائم الحركة وفي جسده من عوامل الحياة - كالقلب والدماغ والخلايا - ما يجعل الحركة وظيفة صغرى من بين وظائفه الكبرى.. أما الدمية.. فإنها شكلٌ من الأشكال أخذ صورة الإنسان في مظهره، فلا هي جديرة بالحياة ولا هي قادرة على الحركة.. وبين الدمية والإنسان سلبٌ وإيجاب.. فالدمى لا يمكن أن تحمل صفات الإنسان المتعلقة بالإحساس والحياة والحركة.. والإنسان قد يحمل صفات الدمية فيصير دميةً متحركة فيها حياة، ولكنه نوع من الحياة جدير بأن يزهد فيه الإنسان العاقل الحصيف.

وهنا نتساءل - متى يصبح الإنسان دُمِيَّةً؟

سؤالٌ وأيُّ سؤال... ليس الجواب بعيداً ولا صعباً ولا مستعصياً.. فالإنسان يغدو كالدمية في كثير من حالاته.. عندما يفقد الشعور بالرحمة والعطف، عندما يفقد الشعور بحرمة الحرام، وخطورة الانحراف، عندما ينساق في طريق الظلم والضياع والظلام، عندما تلامس مسامعه كلمات الحق

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلاذنا والتميز

فلا يستجيب لها، ثم يهتزُّ لكلمة باطل تراود سمعه، عندما يفقد كرامته فلا يسخط ولا يغضب، ثم يغضب لفقدان درهمٍ أو دينار.. عندما يستجيب لكل ناعق وفاسق.. ويتذمَّر من نداء الله فلا يستجيب، عندما يبيع نفسه لشهوته وشيطانه وعدوّه.. فإذا به لا يملك من نفسه إلا حركاته الظاهرة المحسوسة، أما قلبه وعقله فهما في يد غيره... وفي هذه الحالة يستحق الإنسان لقب الدُّمية بجدارة!. ومن هنا تكثر الدُّمى في عالم البشر.

وحتى يكون الأمر أكثر وضوحاً في أذهاننا أقول:

تأمل معي عالم اليوم.. وارحل معي على متن الخيال إلى كل بقاع الدنيا... ثم تأمل صفات الدُّمية في كثير من البشر الذين تراهم.. فسترى أنك في عالم الدُّمى، الذي يسمونه عالم البشر.

كم من إنسان في هذا الزمن ينساق وراء الباطل، والباطل يدفع به إلى حيث يريد، تماماً.. كما تفعل الطفلة عندما تدفع بدميتها حيث تريد... مع الفارق الكبير بين من يدفع الدمية هنا ومن يدفعها هناك... كم من أخٍ يجني على أخيه.. وابن يعتدي على أبيه، كم من رئيس يمتص دم مرؤوسه ويفسل قدمه بعرقه.. ثم لا يرى في ذلك المسكين إلا آلة أو ما يشبه

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

الآلة مسخرة لخدمته، كم من قويٍ يعتدي على الضعيف وقد خضع لسلطان غروره وجبروته.. فصار في يد ذلك المغرور دميةً ليس لها من الأمر إلا أن تظلم وتعتدي، وهي تفعل ذلك بغير إرادتها من حيث تشعر أنها تفعله بإرادتها.

الدُّمى تسحق الدُّمى والمواثيقُ مُبرَمةٌ

كم من إنسان لو قلت له: إنك دمية يغضب ويثور، ولكنه في حقيقته دمية تسيّرُها الشهوة حيث تريد.. ألم أقل لك: إنك لو تأملت حال الدنيا اليوم لوجدت أنك تسيّر منها في عالم من الدُّمى، من حيث تحسب أنك تسيّر في عالم من البشر.

ونتساءل: كيف يستطيع الإنسان الدُّمية أن يعود إنساناً حقيقياً..؟ سؤال جوابه أقرب إلى ذهن السائل منه.

فإن ارتفاع الإنسان عن جمود العواطف وموت الأحاسيس، وإن تعلُّقه بخالقه ولجوءه إليه هو الطريق الحقيقي الذي يمكن أن يعبره الإنسان ليصل إلى إنسانيته.

وكلما ابتعد الإنسان عن هذا الطريق ابتعد عن ساحة الإنسانية، واقترب من حظيرة «الدُّمى» وإذا صار الإنسان دميةً فاقراً عليه السلام!..

على نفسها جنت براقش:

جاء إلى (ربعه) يصيح وشكا إليهم حاله .. وحاله تستحق الشكوى .. فله ابن وحيد من أجله - كما يقول - تعب وشقي حتى جمع المال فصار في حوزته كالجبال .. ومضت به السنوات وهو يسعى إلى جمع ماله، ويخوض في سبيل ذلك كل محيطات الأعمال التجارية إقامةً وسفراً .. ومضت عليه سنوات، وبعد أن أجبرته معركة الحياة الاقتصادية على الوقوف .. التفت إلى بيته وأخذ يتأمل وجوه زوجته وبناته وكأنه لا يعرفهن مع أنه يراهن .. ثم حاول أن يقرأ وجه ولده الوحيد، ولكن أنى له ذلك وولده لا يكاد يدخل البيت حتى يخرج منه، فهو يدخل البيت مساءً لينام، وظهراً ليتغدى، وربما جاء إلى البيت في بعض الأوقات ليبدل ملابسه ثم يعود من حيث أتى .. وسكت الرجل وأصحابه ينظرون إليه بعطف وإشفاق، ويحاولون أن يسألوه، وكيف يستطيع السلوان؟ ..

وسأله أحدهم سؤالاً عميقاً: كنت كما نعرفك كثير الأسفار قليل الاهتمام بشؤون منزلك .. لقد تركت بيتك للسائق والخادمة ولجهاز الفيديو الذي كنت تتفنن في اختيار الأشرطة التي تقدمها هدية إلى أهلك .. لا تراعي في ذلك أدباً طالبت به ولدك، ولا حياءً طالبت به بناتك، وكنا قد

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

نصحناك ولكنك أبيت، فها أنت تجني ثمرة ما زرعت.. وبكى
الرجل.. وكان بكاؤه حاراً.. ثم قام من مجلسه وصوت صاحبه
يملاً مسامعه «على نفسها جنت براقش» فمن الذي يتعض؟..

من شعري:

تجيء إليه ثقلاً خفافاً	تطوف الهموم بقلبي طوافاً
فألقي أمامي خيولاً عجافاً	وأركب ظهر جوادٍ أصيلٍ
وما تحسن الكرّ والإنعطافاً	فأعجب، كيف تسيّر أمامي
يُريك وفاءً، وهذا تجافى	وذلك شأن الحياة، فهذا



عندما يغرد طائر الأمل

١٤٠٨/١١/١٨ هـ

صفاء الحياة ونقاؤها والشعور بالسعادة فيها مرهونٌ بالأمل الذي يُضيء جنبات النفوس المؤمنة بالله تعالى. ولا يكون الأمل عظيماً ورائعاً إلا عندما يكون الإيمان قوياً راسخاً، شأنه في ذلك شأن الزهرة.. لا تكون جميلة نديّة العود إلا عندما تحظى بتربة صالحة، وسقي متتابع، يطرد عنها شبح الجفاف.

والإيمان يسعد قلب الإنسان بالأمل حتى في أحلك المواقف وأشدّها سواداً. وذلك لأن النفس البشرية إذا كانت مضيئة من الداخل، استطاعت أن تنشر ذلك الضياء في الوجود كله، مهما كان ليل الوجود بهيماً، أو ما رأيت إلى رسول الله ﷺ وأصحابه عندما كانوا في «شعب أبي طالب» محتجزين كيف كان الإيمان بالله يشعل لهم قناديل الأمل، وكيف كانت تلك الحشرة الصغيرة تأكل بيان قريش الظالم، فإذا بالظلام الدامس يتحوّل إلى نهارٍ مشمس جميل؟

لو لم تكن نفوس القوم مشرقة من الداخل بنور الإيمان لما

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

كان ثباتهم كما كان، لما حصل لهم فرج الله الذي حصل. بل
تعال معي في نقلةٍ أخرى، وقفَ معي على هذه الراية، ومدَّ
بصرك إلى حيث مددت بصري لترى معي رجلين يجلسان في
غار ثور مختبئين عن المشركين، وخيول قريش تجوب المكان
وتشرق فيه وتغرب؛ طمعاً في العثور على هذين الرجلين
الكريمين.. ثم أنصت معي قليلاً لتسمع في هذا الموقف المظلم
تلك الكلمة التي أشرق بها وجه الكون «ما بالك باثنين الله
ثالثهما»؟! لولا الإيمان في قلب الرسول ﷺ لما أضاء بهذه
الكلمة قنديل الأمل في نفس صاحبه أبي بكر.

بل، ماذا دهاني حتى أنسى أن الأمل طائر مغرّد كما أنه
قنديل مضيء.. ما من نفس تنمو فيها شجرة الإيمان إلا وعلى
غصنٍ من أغصانها طائر أملٍ ينشد ألحان السعادة.

وطائر الأمل حرٌّ في تغريده، لا يلتفت إلى مالٍ، ولا إلى
جاهٍ، ولا إلى قوةٍ ماديةٍ مهما عظمت.. فهو يغرّد وينشد
أناشيد الصفاء بدافعٍ حقيقيٍّ من قوةٍ معنويةٍ يفجرها في
النفس الإيمانُ بالله العظيم، الذي يصغر أمام عظمته كل
عظيم.

تعال معي - أيها القارئ الكريم - إلى هذا الموقف:

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

كان غنياً كثير المال، من أقرب علامات غناه تلك الرايية الكبيرة التي تكتنفها الخضرة من جهاتها الأربع، ويرقص ماء النهر أمام جهتها الشمالية، لا يكل ولا يمل، كانت الرايية وحيدة عصرها جمالاً وخضرةً وثماراً شهية، وعلى قممتها قصر ذلك الفني، بناه وتفنن في بنائه حتى لم يدع زخرفةً إلا وزين بها جدرانها، ولم يدع تحفةً شهيرةً إلا جلبها إليه.

وإياك أن يبهر عينيك جمال القصر، فتتسى أن تركّز نظرك على شرفةٍ من شرفاته العالية، حيث ترى رجلاً بدا على وجهه التعب، وقد أرسل عينيه الدامعتين إلى ناحيةٍ من نواحي الرايية، فلم يسمح لأجفانه أن تفارق ذلك المكان، وحول عينيك إلى حيث ينظر الرجل لترى فلاحاً قد حزم وسطه بحبل، وجلس إلى قدرٍ فيه طعام وأمامه زوجته تفتُّ له الخبز في الإدام، وقد علت ضحكاتهما وبدت السعادة في وجهيهما، ثم اعجب لذلك الرجل المطلّ من شرفة ذلك القصر كيف ينظر إلى هذين دامع العين؟!

ولا تدع العجب يذهب بك بعيداً، بل توجه دون خوف إلى ذلك الرجل وسلّم عليه، واطلب أن يأذن لك بحديثه.

ماذا قال لك..؟

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

قال: إنه يبكي لأن أمواله وثورته الطائلة - وهو صاحب القصر - لم تستطع أن تجلب له ضحكة عميقة الصفاء، ولا جلسة سعيدة، كضحكة ذلك الفلاح وجلسته تحت ظل الشجرة مع زوجته، وإياك أن تجلس دون أن تذهب إلى الفلاح لتحدثه...

فماذا قال لك..؟

قال: أنا سعيد بالقناعة، سعيد بطائر الأمل الذي يغرد في داخلي، وبقنديله الذي يضيء جنبات نفسي.

ثم اترك لنفسك أن تتأمل الحياة، فسوف تعلم حينها أن طائر الأمل لا يغرد إلا فوق أغصان شجرة الإيمان النابتة في نفس مطمئنة صادقة اليقين.

قارئ الكريم...

عندما يغرد طائر الأمل.. تشرق الحياة، وتصغر الأحداث مهما كانت كبيرة... وتتضاءل الأخطار مهما كانت عظيمة، ويستطيع الإنسان أن يعطي عطاءً صافياً، وأن يقدم على حياته إقدام من يشعر بلذة العطاء.

ويخطئ كثير من الناس عندما يظنون أن إشراق الأمل مرهون بمظاهر الحياة الدنيا.. يخطئون بذلك خطأ كبيراً،

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ويعيشون بهذا في وهم لا ينجيهم منه إلا الارتطام القوي
بصخرة الواقع حيث يتبهون عند ذلك، وقد يكون هذا التبه
بعد فوات الأوان.

والأمل ضرورة ملحة في حياة الأمم والأفراد، إذ إنه يفتح
نوافذ الحياة، ويقطع دابر اليأس والقنوط.

وهنا أقف لأقول:

إن أمتنا الإسلامية بأمس الحاجة في هذا المحيط الهائج
من الأحداث أن تكون أكثر أملاً، ولن تكون كذلك إلا إذا كان
إيمانها باللة راسخاً، وبقينها به قوياً صادقاً.

الإيمان هو الذي سيُجلب طائر الأمل.. وطائر الأمل
عندما يغردُّ يجلب بتغريده السعادة.. ويدفع مركبة المجد والعز
إلى الأمام.

في معركة بدر الكبرى.. كان طائر الأمل يغردُّ؛ لأن شجرة
الإيمان كانت راسخة في تربة النفوس، وكذلك في غزوة حنين
التي ثبتت فيها نفوس مؤمنة، لم يسكت طائر الأمل فيها عن
التغريد.

وفي عصرنا هذا غردَّ طائر الأمل في نفوس إخوة لنا في
أفغانستان، ولا يزال يطرب الكون بتغريده الجميل، كما غردَّ

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

في نفوس أطفال فلسطين فجعل من حجارته ناراً تتلظى
على المعتدين.

هكذا يجب أن يكون الأمل في حياة الأمة مشرقاً إشراقاً
شمس في يوم ربيعي جميل.

أمتنا الإسلامية مطالبة بغرس شجرة الإيمان في القلوب؛
لتسمع تغريد طائر الأمل، بعيداً عن محاولات التئيس
والإحباط التي يحاول أعداء الأمة أن يقتلوا بها طيور الأمل
المغردة في حياتنا.

وقفه:

تحدثت مرة عن الأمل وإشراقه.. وعن عدم اليأس،
فبادرني أحد الحاضرين قائلاً: تدعو إلى إشراق الأمل، وأنت
قد وقفت شعرك على تصوير مواجع الأمة، فقلت:

عندما يقول الأخ لأخيه: جرحك عميق لا بد من الذهاب
إلى الطبيب، حتى يكتب لك الله الشفاء على يده، فهل معنى
ذلك أن الأخ قد قتل الأمل في نفس أخيه؟

كلاً.. إن تجسيد الداء خطوة أولى مهمة في علاجه..
والإنسان المخلص لأمته، لا يملك إلا أن ينفعل لأحداثها
وآلامها.. ويجسدها.. ويتحسس مع أمته طريق النجاة منها.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ثم إن تصوري للمواقع في شعري مقرونٌ بتصوري للأمل
المشرق.

عضواً بني قومي فإن قصائدي
جسراً إلى أملٍ قريبٍ منتظراً
أدعو إلى الإيمان دعوة شاعرٍ
شرب الأسي من أجلكم وبه انصهر

وأخيراً..

غرد يا طائر الأمل فإن تغريدك يطربنا.



حروف من نور

٢٩/١٠/١٤٠٦هـ

قفي من قمم الحب حيث تشائين.. وخذي من قلبي
المساحة التي تريدن، وانظري إلى الآفاق البعيدة التي تبرز
منها ملامح الأمل المشرق بل.. وطيري إلى تلك الآفاق ففيها
سترين عشاً لا يتسع إلا لعصفورةٍ واحدة.. أنت تلك
العصفورة.. وقلبي ذلك العش.

هو ذاك.. أوما ترين السماء في اتساعها وعظمتها.. ومع
ذلك، فإنَّ شمساً واحدة هي التي تجري فيها.. وقمرأً واحداً
هو الذي يطل عليها.

لا تتحركي إلى الأمام.. خطواتك محسوبة وطريقك طويل
طويل.. وأنا منك مرمى سهمٍ أو أقرب.. وأعجب كل العجب
كيف لا ترين من يقف أمامك وأنت ترين ذرات الأمل في سماء
الحب التي لا حدود لها.. انظري إلى وجهي.. اقرئي فيه
حكاية الشوق التي بدأت ولم تنته عيناك تذر فان.. عيناك
وأنت تنظرين إلى ما وراء الأفق.. وعيني وأنا أنظر إليك،
أراك كأنتي أراك من وراء زجاجة من امتلاء عيني بدموعها..

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

فكأنني في ذلك أقف منك حيث وقف الشاعر العربي القديم
من عصفورته .. والدموع تترقرق في عينيه.

نظرتُ كأنني من خلال زجاجة

إلى الدار من قَرطِ الصبابة أنظرُ

أرأيت إلى هذه الصورة الشعرية البديعة، يرسمها شاعر
عربي قديم.. أين الغارقون في تهويمات المخدوعين من شعراء
هذا العصر ليقرؤوا هذه الصورة الشعرية؟

يا أنتِ.. لا تسألني عن متاعب الطريق.. ووعورة المسالك..
ولكنْ أسألني عن الراحة التي تنتظر المسافر المتعب.. واقرئي
وأنت سائرة قول القائل «فإنَّ طريقَ الراحةِ التعبُ».
هُوَ ذاك...

أما رأيت المجاهد الصادق في سبيل الله، يقارع الأعداء
ويجالدهم، ويتلقى ضربات السيوف الهندوانية.. ووخزات
الرَّماح.. ثم هو بعد ذلك يصل إلى منزلة عليا، حيث تنسيه
الراحة ذلك التعب، ويبقى عند ربه حياً يُرَزَّقُ.. إنها الشهادة
في سبيل الله.. وما أرقاها من منزلة، وما أعظمها من مكانة.

سألتُ زوجة أحد العلماء زوجها: متى تريح نفسك من
هذا العناء؟ فأجابها والابتسامة تشيع في وجهه فتجعله روضةً

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

مملوءة بأزاهير السعادة، قال لها: «عن الراحة يزوجتي
أبحث»!..

هنا تصغر أماننا متاعب الطريق.. وتكبر في أعيننا
معاناتنا فيها.. الراحة تُولد من رحم التعب.. لا ينكر هذا إلا
جاهل بمعنى الراحة.. يا أنت.. زفرات قلبي تحدثك بما
فيه.. أما تفهمين لغة الزفرات؟ ألحان شعري تخرج إليك من
داخل النفس.. تنقل إليك نبضات القلب.. أما تدركين معنى
هذه الألحان؟.

قضي مكانك وتلفتي يمنةً ويسرةً.. فلن تري إلا وفوداً من
البشر أتعبها السعى في مناكب الحياة.. ولوَّحت وجوهها
شمس الصحراء المحرقة، وهي لا تزال في سعيها الحثيث إلى
أن تعلن الحياة توقُّفها في عروقهم، وعندها يتوقفون وهم
يلهثون.

ولكن تأملي وجهاً واحداً من بين تلك الوجوه، فستدركين
أنه يتوجه إلى الله تعالى في دعاءٍ صادقٍ بأن تتضاءل بينك
وبينه المسافات وأن تتحطَّم الحواجز.. أما ترين ذلك الوجه؟
إذا فأنت في غيبوبةٍ من الغفلة لا حدود لها.

يا أنت.. يا راكبةً متن الوقوف.. فلم تبرحي مكانك.. وأنى

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

يبرح مكانه من جعل الوقوف مطيِّته؟ أما ترين خيول الأمل
تجري من حولك تسابق الريح؟ أما ترين مراكب الشوق تحمل
المشتاقين إلى حدائق الأشواق؟.. هناك حيث خرير المياه..
وعبق الزهور.. وتفريد العصافير.. وحفيف الأشجار.. هناك
حيث الخضرة والجمال.. فما بالك تصرين على هذا الحصان
الأعمى الذي تجري من حوله الدنيا، وهو واقف ليس به
حرك..؟

تجري بنا الأيام لاهثاً

فالفجر تلمس كفه العَصْرَا

يا أنتِ.. كل حدود المكان تنمحي، وتمحي حدود الزمان..
ويصبح البعيد قريباً .. والقريب بعيداً.. يتصاغر الجبل
الأشم.. وتتطاول السهول المنخفضة.. أتدرين متى؟.. عندما
يشعر إنسان بإنسان.. وعندما يخفق قلب لقلب.. وترمش عين
لعين.. عندما يصبح للكلمة ينطقها اللسان حلاوة العسل..
وللنظرة ترسلها العين نفاذ السهم.. وللبسمة يتزيّن بها الثغر
أثر السحر.. عندما تتجذب الأرواح إلى الأرواح.. هنا يصبح
للأشياء معنىً أعمق من معناها الظاهر، وأسمى.
وهنا... فقط... يصبح القبح جمالاً وأيُّ جمال.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

ألم تقرئي تلك القصة التي تحتفظ بها ذاكرة ماضينا؟
قصة «قبح جميل»! اقرئيها في كتاب «وحي القلم» للرافعي،
لتعرفي تلك المعاني السامية التي حملتها تلك القصة..
ولتدركي أن كثيراً من مظاهر القبح تخفي وراءها جمالاً، وأن
كثيراً من مظاهر الجمال تخفي وراءها قبحاً.

لقد كانت لجدي - رحمه الله - مزرعة صغيرة، تلوذ
أرضها بجبلٍ من الجبال فيه شموخٌ وأنفه.. كانت تلك المزرعة
في عيني جدي ملكة المزارع وسيدتها.. ولو رآها عابر سبيل لما
أطال النظر فيها لصفرها والتصاقها بسفح ذلك الجبل.. لكنَّ
مزرعة جدي في حقيقتها كانت مصدراً للرزق، بارك الله فيه،
حتى غدا بمثابة الكنز الذي لا ينتهي.. في تلك المزرعة
الصغيرة التي تقتمها العيون.. كانت تتبض حياة، وفيها كانت
ترفرف سعادة... وتخفق قلوب.

يا أنت.. يا زهرة أراها تثبت في كل أرض إلا في أرضي.. ولو
أنها نبتت في هذه الأرض لكانت أروع زهرة وأجمل.. فما بالك لا
تتبتين إلا في أطراف أرضٍ بور، لا أثر فيها لماء أو خضرة.

اقفزي إلى راحتي.. فسوف تجدين فيها أرضاً أوسع من
كل أرض برغم مساحتها الصغيرة.. فهي قريبة من ذلك
الخافق المكدود.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

لله أمر الناس كلُّ حول حاجته يطوفُ..

إي والله «كلُّ حول حاجته يطوفُ»، ولكنَّ الناس في هذا يتباينون ويختلفون، فمنهم من يطوف حول حاجته طواف ذئبٍ غادر، ومنهم من يطوف حولها طواف عاشقٍ مجنون.. وبين هذا وذاك تختلف نيات الطائفين.

أما ترين الناس يطوفون بالكعبة المشرفة طوافاً ذا شكلٍ واحد في ظاهره، لكنهم في حقائقهم أشدَّ اختلافاً من اختلاف السماء عن الأرض، والبيضاء عن السوداء..

وما الناس إلا كالمعادن بعضها

خفيفٌ وبعضٌ طيبٌ وثمانٍ*

لو اتفق الناس في نياتهم لأصبحت الأرض بمن فيها روضةً من رياض الجنان.

في الناس من يحمل الأعباء محتسباً

فنفسه دائماً مخنوقة الذاتِ

وفيهم المرتمي في حزن رغبتهِ

فما يجيد سوى جرِّ العباءاتِ*

كذلك أمر الناس...

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

أيتها العصفورة.. قفي من قمم الحب حيث تشائين،
واقرئي على جدران الأمل تلك الأحرف التي نقشناها، إنها
على عهدنا بها.. تنتظر يداً حانية تزيل عنها الغبار.
إنها حروف من نور..

وهل يطمح الإنسان إلى قراءة حرفٍ يكون أجمل من حرفٍ
يكتب بنور الحب والوفاء؟

خذي من القلب ما تبفين واعطيني

ومتعيني بمنثورٍ وموزونٍ*

(*) الأبيات المستشهد بها من شعري .

بين الانطلاق والوقوف

الرؤى تطوف بنا من كل مكان.

الأفق يتضاءل حتى يغدو لوحةً صغيرةً أمام عينيّ، يرسم
عليها الغروب أشكالاً مختلفة من السحاب، يلونها بحمرة
الأصيل ويصبغها بصبغة الشفق.

الليل يزاحم النهار على نافذتي الصغيرة، التي أتطلع من
خلالها إلى قادمةٍ لا تتوق الأقدار إلى ملامسة طرف رداؤها
الطويل...

القمر كان يرسم بنوره على أشجار التل المقابل لمنزلنا ظلالاً
مختلفة، توحى بالرهبة، وتسكب في النفس لذةً لا حدود لها.

القمر... أرمقه من نافذتي الصغيرة، التي تمكّن الليل أن
يبعد عنها ضوء النهار ولم يتمكنّ بالرغم من ظلامه الدامس
أن يبعد أشعة القمر الهادئة.

أرمق القمر من خلال نافذتي.. وأحسُّ بأنه صامتٌ وأنا
أتحدّث.. ما أعجب أمر الإنسان!. لا يرى إلا نفسه، ولا يسمع
إلا صوته.. نعم أقول هذا لأنني أحسست وأنا أنظر إلى القمر
إنه يتحدّث...

يتحدّث؟!

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشاوي

نعم لم يكن صوته يُحَدِّثُ ضجيجاً كأصواتنا، ولكنَّ صوت القمر كان يأتي حروفاً من نور تلامس وجهي، وتضفي على الأرض وقاراً حالمًا، أو ما يشبه الوقار، كنت أستقبل الليل مبتهج النفس مبتسم الثغر.. لا لأنني أحب الظلام.. ولكن لأن القمر والنجوم تحمل إليَّ خيالاً قادمًا من وراء الأفق.. خيالاً لا أستطيع أن أصف ملامحه، لأنني لم أره رؤية تتيح لي ذلك.. ولكنه خيالٌ مُفَعَّمٌ بالطهر والنقاء.. ينساب منه إلى سمعي صوت يشبه النغم، فيُشيع في نفسي إحساساً بالسعادة لا حدود له.

إنه خيال «المرأة الحلم»..

عجباً.. إذن فأنا سعيد.. كيف استطعت أن أقبض على عصفورة دائمة الطيران لا تستقر، ولا تتيح لأمهر الصيادين أن يصطادها؟. عصفورة «السعادة» كيف قبضتُ عليها.. عفواً.. أيها الحلم البعيد القريب...

لستُ سعيداً إلى هذه الدرجة.. أنا سعيدٌ برؤيتي لتلك العصفورة الشاردة.. ولكنني شقيٌّ؛ لأن بيني وبينها مسافات طويلة من الغفلة والاستسلام.

الغفلة؟ .. الاستسلام؟

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

نعم غفلتها هي عن خفقان قلبي ونبض أحاسيسي،
واستسلامي أنا لعجزي عن الطيران.. ومن أين لي بجناحين
أطير بهما إليها؟

أيتها القادمة الحاملة.. المرأة الحلم.. العصفورة الهاربة..
إلى أين المسير؟

سؤال يطير إليك بجناحين من الصدق، لا يتعبهما
الطيران.. إلى أين المسير؟

سؤال أنتزع به حشاشة نفسٍ معذبةٍ، وأبعثها إليك طبقاً
شاعرياً لتضعي فيها جوابك الصريح.

إنَّ الأفق الذي نتخيَّله صغيراً ونحصره في إطارٍ من
أحاسيسنا وأحلامنا، بعيدُ المدى.. إي والله.. بعيدُ المدى.

أخشى عليكِ أن تضيعي فيه.. أن تجدي في جوانبه من
أعاصير الضياع ما يكسر قوادم جناحيك الصغيرين.. أخشى
عليك من نزوات الريح، وهمزات الخوف والقلق، فإنها تعصف
بقمم الراحة التي نبنيها.. إذا لم نُقمِ دونها حاجزاً من الطهر
والنقاء والإيمان.

ولذلك فإنني أسألك بحرقه وألم:

إلى أين المسير؟

أيتها «المرأة الحلم»..

ربما كانت الأرض من حولنا أشواكاً وصخوراً.

ربما كانت وحلاً تنزلق فيه الأقدام.

ربما كانت السماء من فوقنا ضباباً معتماً، وليلاً حالك

الظلام، ولكن شمعاً صغيرة من تصميمنا تستطيع أن تعصف

بذلك كله.

إن من الحكمة - أيتها القادمة - ألا نضيع وقتنا في وصف

الظلام وشدته.. فخير لنا من ذلك أن نشعل قنديلاً لنخرق به

صدر الليل..

إن من الحكمة ألا نطير في السماء.. إذا كانت عاقبة

الطيران ضياعاً في الآفاق البعيدة.. أو سقوطاً مروّعاً في

الحضيض، بل من الحكمة هنا أن نقف.

أن نضع تحت أرجلنا أساساً نعتمد عليه.

وأن نتشوق إلى الآفاق من حولنا، لننطلق بعد ذلك إلى

عالمٍ حافلٍ بالطهر والنقاء.

عفواً أيتها «العصفورة الشاردة».

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

فاليأس ظلامٌ يكتُم الأنفاس.

ولكنَّ الأمل نورٌ يفتح أمامنا أبواباً واسعةً، ندخل منها إلى
دنيا معطرَّة بالوفاء والإخلاص.

هكذا يمكن أن ننطلق.

والأفما أجمل الوقوف لمن لا يعرف أين تنتهي به
الطريق!..



أيتها المسافرة إلى المجهول

١٤٠٢/٨/١ هـ

أيتها المسافرة...

ما زال الفجر مبهوراً بذلك الموقف الغريب.. حين هربت
من ضيائه الساطع إلى أعماق الليل، وألقيت بنفسك في
أحضانة المظلمة.

لو رأيت الدهشة في وجه الشمس، لعلمت بأنك صنعت
شيئاً عظيماً.

حتى أنا تساءلت - حينها - كيف تهرب فتاة عاقلة من ضوء
الفجر إلى ظلمة الليل؟

كيف تتحدر من القمة إلى السفح؟!

حتى البلبل الذي عودنا على شدوه الجميل مع إطلالة
الصباح، تضائل وارتعش، وأخذ يسكب في آذاننا شذواً
مأساوياً حزيناً، وكأننا في مأتم من المآتم، ولسنا في عرس من
أعراس الزمان.

هل نلوم البلبل على ذلك؟ كلا.. فإنه يعبر عن حزنه عليك
أيتها المسافرة.

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

لقد تذكرت عند هروبك تلك الفتاة الشقراء (كارينا)، التي هربت من مزرعة أبيها الوادعة في إحدى الضواحي البعيدة، وارتمت بين أحضان مدينة من المدن (الصاخبة)، ولم تنزل تنتقل من حانة إلى حانة، ومن مرقص إلى مرقص، حتى شاء لها الله أن تصحو ذات يوم على مأساتها «الحقيقية».

لقد أفنت ما يزيد على الخمسين عاماً من عمرها.. فماذا جنت في هذه الرحلة الطويلة؟ المال؟ الشهرة؟ وماذا بعد؟

أخذت كارينا تنظر إلى تلك العيون التي كانت تهيم بها.. وكانت ترتع في ملامح وجهها الوسيم، وفي تقاسيم جسدها الرشيق.. فها لها أن تلك العيون لم تعد تنظر إليها.. فقد اتجهت إلى ملامح وجه آخر، وتقاسيم جسد آخر، لم تنزل صاحبته تشق طريقها في خضم الحياة مبهورة بأضواء تخفي وراءها اللهب.

كادت (كارينا) أن تموت من الحسرة، وحاولت أن تجذب إليها صاحبة ذلك الجسد الجديد والوجه الجديد لتحذرهما من خطورة الطريق، ولكنها لم تستطع.. فأخذت تستعرض أمامها شريطاً طويلاً من الذكريات، لم تكذب تأنس فيه إلى صورة من الصور، حتى وقعت عيناها على صورة رائعة، صورة تبدو فيها فتاة في ميعة الصبا، تنقل عينيها الساحرتين بين

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العشاوي

وردة حديقتها وأزهارها، وتقفز من مكان إلى مكان، ولولا أنها كانت تتحرك بين تلك الأزاهير لظنها الناظر إليها واحدة منها. لم تعرف كارينا من هي تلك الفتاة التي تهيم بالزهور، وإن الزهور لأشد هياماً بها، وتعشق الروض، وإن الروض لأكثر عشقاً لها.

وتمنت (كارينا) لو أنها إلى جوار تلك الفتاة تنعم ببسمتها الحلوة الساحرة، ولكنها عادت تسأل نفسها (كيف أستطيع ذلك؟) وهل تقبل تلك الزهرة أن أصحابها..؟ وأين أنا منها؟ هي زهرة بريئة بين الزهور، وأنا...

وتركت (كارينا) دموعها تتحدث عن مأساتها، فهي التي تستطيع أن تعبر عن حقيقة شعورها. وفجأة توقفت (كارينا) عن البكاء.

وأخذت تتأمل الصورة التي أمامها من جديد.. فرأت رجلاً عجوزاً قد تركت متاعب الأيام آثارها على تجاعيد وجهه، وهو يدنو من تلك الفتاة (الزهرة) ويقبلها على جبينها، ويقول لها ببسمة حنونة: هيا يا كارينا، تعبت يا ابنتي..

وما هي إلا لحظات حتى انكبت (كارينا) على وجهها وهي تتعجب، ثم رفعت رأسها وهي تقول: كنت في تلك الروضة

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

كالزهرة.. والآن.. أصبحت عجوزاً تقتحمي العيون التي كانت
توهمني بالعشق، وتساءلت (كارينا) في حسرة قاتلة.. أي
جناية جنيت على نفسي؟ ثم أسلمت الروح.
أيتها المسافرة.

لقد تذكرت قصة (كارينا) وأنا أراك تشيحين بوجهك عن
ضوء الفجر، وتهربين إلى الليل.. لقد عرفت جزءاً من سبب
هروبك.. إذ شاهدت بريقاً يشق ظلام الليل.. كان بريقاً قوياً
- بلا شك -، ولكنه سرعان ما يخبو عندما يبدو ضوء الفجر.
فانظري.. إلى أي الضوءين تأنسين، وبأيهما تستتيرين؟!

هنالك أسباب دفعتك إلى الهروب - بلا شك - ولكنها
أهون مما تقدمين عليه فهل تريدين أن تكوني (كالمستجير من
الرمضاء بالنار)؟
سلام عليك.

أيتها المسافرة إلى المجهول.. ليت شعري أي جواد قد
امتطيت؟ وأية وجهة قد اتجهت إليها..؟
ليت شعري.. كيف تأنس خصل شعرك إلى عبث الريح
الهوجاء، ولا تأنس إلى مداعبة النسيم العليل؟

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

أيتها المسافرة إلى الأفق البعيد.. أتدرين ما ستجدين
هناك؟

هنالك شوك في صورة زهور.

هنالك ليل في صورة فجر.

هنالك ذئب في صورة حمل.

وهنالك حقد في صورة بسمه.

أيتها المسافرة.. عودي إلينا.. روضي جوادك الجموح،
فمازلت ألمح في عينيك لهفة إلى شموخ جبالنا، ورحابة صدر
صحرائنا.

مازلت ألمح في عينيك شوقاً إلى ذلك الفارس الذي يريك
الزهرة زهرة، والشوكة شوكة، ويريك الفجر فجراً، والظلام
ظلاماً، دون أن يضع على وجهه قناعاً جميلاً ليستر وراءه ما
تحمل تقاسيمه من قبح وتقطيب.. ولن تجدي هذا الفارس في
ذلك العالم المسحوق الذي أراك تُيمِّمين وجهك إليه.

أيتها المسافرة..

هل لي أن أنقل إليك عجبي من رجل وامرأة رأيتهما ذات

يوم..

كان الرجل يبحث في أرض مقفرة عن زهرة، مع أنني كنت

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

ألمح في يده زهرة ناضرة وإنه لكذلك فما راعني منه إلا سقوطه على الأرض، حيث انفلتت الزهرة من يده لتحملها الريح إلى حيث لا أعلم ولا يعلم صاحبها .. وما هي إلا لحظات حتى قام الرجل من سقطته وعلى وجهه آثار الخيبة والخسران.

أما المرأة .. فكانت تسير بخطى ثابتة وقورة في الطريق، دون أن تمتد إليها يد، أو تقتحمها عين .. وما هي إلا لحظات حتى رأيتها تتلفت يمناً ويسرة .. فاضطربت خطواتها .. وتلاشى ذلك الوقار الذي كان يكسوها .. فإذا بها لا تدري أين تتجه لتهرب من نظرات العابرين، ولتنجو من تلك الأيدي التي أخذت تمتد إليها من يمين وشمال ..

أيتها المسافرة ..

أرجو ألا تكوني تلك المرأة .. وألا أكون ذلك الرجل ..

حكاية

يروى أن كسرى كان جالساً في إيوانه ذات يوم، فإذا بحية تزحف إلى عش حمامة في إحدى زوايا الإيوان، فأخذ (كسرى) سهماً وصوبه إلى تلك الحية فقضى عليها وقال: هكذا نفع بمن يؤذي من استجار بنا .. ومضت أيام قلائل وبينما كسرى جالس في ذلك المكان وحوله عدد من وزرائه

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي
وكبار دولته، إذا بالحمامة تقبل حتى إذا حازت المجلس أقت
ببذرة فأمر كسرى بغرسها، فنبتت تلك البذرة (ريحانة)، وكان
ذلك أول عهدهم بالريحان، فقال كسرى عندما علم بذلك: ..
نعم ما كافأنا به الحمامة..



الركض في عروق القصيدة

١٤٠٦/٤/١٩ هـ

اركضي في عروق قصيدتي.. فأنت دمها.. وروحها..
وحياتها.. سافري بألحاني إلى كل مكان.. حلقي في كل
سماء.. غوصي في كل محيطات الدنيا.. قلبي للفجر الطالع:
يا فجر توقف.. فأنا هنا.

قلبي لرمال الشاطئ: يا رمل تحول تحت قدمي ذهباً..
فأنا هنا.

اركضي في عروق شعري..

لا تدعي حرفاً من حروفه يفلت من بين يديك.

أسمعيني نغماً عذباً يغسل عن قلبي أدران الحزن.. ينقلني
فوق قطار الأمل إلى كل رياض الدنيا.. ويحلق بي في الآفاق،
ويعلمني كيف يكون الصبر.. كيف يكون الإحساس الصادق،
كيف يكون الإخلاص.

عجباً، من أنت ؟ ومالي أسكب شعري في كأس الشوق
وأبعثه نحوك.

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوي

من أنت .. وكيف سمحت لقلمي أن يطلب منك الركض في
عروق شعري؟

هل أنت اللففة تخطر في ثوب فتاة؟

أم أنك ذوب الحب يصير أمامي جسداً؟

أم أن خيالي يوغل في التصوير، فيجعل من هبات نسيم
الروض خيال نسيم .. ويجعل من ضوء القمر بحاراً من نور ..
وأنا أمخرها من غير شراع؟

عفواً إنني أكتب وسؤال يتسلل إلى ريشة قلمي .. يجعلني
أسأل نفسي لمن أكتب يا سيدتي؟

ولماذا أقتل هذا القلم بهذا الركض؟

إن قلت بأني أكتب للحب ولك، فلماذا لا أكتب شيئاً تقرأه
عيناك فيغوص إلى أعماق فؤادك؟

ولماذا لا أرسم من ومضاتي صوراً للحب، ترين ملامحها
رأي العين؟ أكتب للحب ولك؟

فلماذا يبقى ما أكتب كالظلمة لا يتبين فيها السائر دربه؟

ولماذا أغمس هذا القلم المسكين الحائر في زيت اللاوعي؟

عفواً .

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

إن قلت بأني أكتب للناس، فلماذا لا أكتب للناس؟ ولماذا
أجعلهم يقضون أمام حروفي مشدوهين.. ولماذا أغلق أبواب كلامي
في وجه العقل.. وأقول بأن الناس بلا أفهام؟ الناس بلا أفهام؟
هذه بدعة بعض المبهورين.. الناس بلا أفهام؟ فإذن.. كيف
يعيشون؟ بل كيف يرون الحق ويسعون إليه..؟.. ويرون الباطل
ويثورون عليه؟

الناس لهم أفهام وعقول.. لكن الكاتب حين يكون ضحية
لحظات «اللاوعي» يكون بغير فهم.. وبلا تفكير.. اللاوعي..؟
أعجب من هذا التركيب الأعمى.. أعجب من هذا
التخريب الأدبي يجتاح عقول كثير من حملة أقلام اليوم.
اللاوعي..

لحظة ضعف الإنسان.. لحظة غياب التفكير.. وغياب
العقل.. ماذا ينتظر القارئ ممن يكتب في لحظات اللاوعي؟
أكتب للناس؟

فلماذا لا أتلمس بالوعي قضاياهم؟ ومشاعرهم؟ ولماذا لا
أجعل من قلمي مشرط جراح لأعالج كل جراح الناس؟ بل لماذا
لا أجعل من قلمي منديلاً يمسح كل دموع المنكوبين؟

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

الوعي.. العقل.. الإدراك.. الإيمان.. كلمات كتبت في
قاموس البشرية منذ قديم الأزمان.. كلمات تعني المجتمع
الإنساني الصالح.. تعنى الخير.

أتراني آتي في ظلمات القرن العشرين لأبدل خارطة
الدنيا.. ولأجعل من كل الناس ضحايا للأوهام.. واللذة..
واللاوعي؟ ما أعجب أمر المتهاون بالكلمة.. ما أفضح أمره.
الكلمة يا سيدتي نرف للقلب في لحظة وعي الإنسان.. وهنا
تأتي الكلمة كاللبنة في إتمام بناء البشرية.. والكلمة حين
تجيء ملفعة بضياح «اللاوعي»، تأتي كالمعول يهدم بنيان
البشرية..

وهنا أتوقف لأقول:

اركضي في عروق قصيدتي.. حباً.. وأملاً.. وإشراق
حياة.. اركضي.. نبراساً يضيء طريقي.. ثوباً يسترني، يمنعي
من سطوات البرد القارس في ليل شتاء.

اركضي.. بسمة خضراء تجعلني أرسم للعالم منها صورة حب
ووفاء.. تجعلني أنسج للعالم منها خيمة إيمان وأمان.. يا أنت.

دنيانا تغدو غابة.. تغدو صحراء قاحلة جرداء.. حين
نسير بغير هدى..

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

الدنيا تغدو روضة غناء.. تغدو فجراً ينبض بالنور.. حين
نسير على وعي وبصيرة.

الكلمة.. ما الكلمة؟ نبض فؤاد؟.. دمة عين.. حمرة وجه
خالطه الحزن.. أو خالطه الفرح.

والقلم الغائص في بحر الكلمة.. كم هو بحاجة إلى يد لا
تخبط خبط عشواء.

وبعد ذلك - تتراءى أطراف الأمل الباسم تشرق شمس
الخير.. تمتد يد الفجر مبلة بالطل، لتغسل عن أزهار الروض
غبار الخوف.

ويظل الصدق علامة مميزة لكثير من الأقلام، ويظل
الناس بخير.

ويظل الوعي يحطم أوهام «اللاوعي»، وأظل أقول:

اركضي في عروق قصيدتي.. فأنت دمها.. وروحها.

من شعري:

وقبيح من الفتى أن يكون الرأس

في قومه، فيصبح ذيلاً

وقفتان:

الوقففة الأولى:

القصيدة قلب آخر لصاحبها.. قلب ترسمه الكلمات...
ويشكل الإحساسُ الصادقُ عروقه.. وهو قلب نابض.. لنبضاته
إيقاع جميل.. يتسلل إلى داخل النفوس، ويحدث فيها من الأثر
ما الله به عليم.. وعروق القصيدة لا تحتل إلا ركض
الأحباب، تماماً كما أن عروق القلب لا تحتل إلا ركضهم..
القصيدة «القلب» تنبض عندما يكون صاحبها صادقاً مع
نفسه لحظة كتابتها.. عندما يكون واعياً بالحروف التي
يسطرها... واعياً بقيمة الكلمات التي يكتبها.

القصيدة «القلب» لا تأتي من تقليد فارغ تفقد معه معنى
حياتها ونبضها.. ولكنها تأتي في لحظة من لحظات الإلهام
الغنية بعطاء الشاعر وصدق العطاء..

وما أدراك ما عطاء الشاعر؟! إنها تعطي حباً.. ووفاء..
وثقة و يقيناً.. عند ذلك يكون القلب «قصيدة»، وتكون القصيدة
«عروفاً» تصلح لركض الأحباب، كما أن للقلب «عروفاً»، وهنا
تجدين القصيدة «القلب»، وتقرئين القلب في «قصيدة»!..

الوقفه الثانية:

من شعري:

أَوْ تَدْعِي حَبِي، فَأَيْنَ عَطَاؤُهُ؟

أَسْمَعْتَ عَن حَبِّ بَغِيرِ عَطَاءِ؟!

أَسْمَعْتَ عَن شَوْقِ بَغِيرِ تَحْرِقِ

أَسْمَعْتَ عَن أَرْضِ بَغِيرِ سَمَاءِ؟

أَسْمَعْتَ عَن لَيْلِ بَغِيرِ ظَلَامِهِ

أَسْمَعْتَ عَن فَجْرِ بَغِيرِ ضِيَاءِ؟

هَبْنِي فَمَا يَشْدُو، وَهَبْنِي خَاطِرًا

يَسْلُو، وَخُذْ مِنِّي أَرْقَ غِنَاءِ



بين الحياة والموت

١٤٠٦/٦/٢هـ

لحظات الغفلة تمتد في حياة الإنسان حتى تصل به أحياناً إلى موت الضمير.. وعلى مقدار قرب الإنسان وبعده عن منهج الله يكون نصيب لحظات الغفلة من حياته.. وإذا تجاوزت لحظات الغفلة حدودها، وأحكمت مد أسلاكها الشائكة حول قلب الإنسان، فإنها تصل به حينئذ إلى مرحلة «الران» التي عبّر عنها القرآن الكريم تعبيراً واضحاً في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وهنا يصبح القلب كالحجر، أو يكون أشد قسوة منه.

رحلة الإنسان بين الحياة والموت رحلة مليئة بالتعب الذهني والجسدي.. ولذلك فإن من أهم ما يميز الحياة الدنيا أنها حياة تعب وعمل متواصل.. أي أنها تمثل مرحلة الحرث والزرع بما فيها من دأب على البذر والعناية بما هو مزروع، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الحصاد. ومرحلة الحصاد بالنسبة للإنسان هي الآخرة.. فإما أن تكون الثمار طيبة، وإما أن تكون غير ذلك.

لحظات الغفلة في حياة الإنسان تفسد عليه لذة المرحلة

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

القادمة أعني مرحلة الحصاد.. تماماً.. كما يحدث ذلك
بالنسبة للفلاح الغافل عن مزرعته المتهاون بها .

رحلة الإنسان بين الحياة والموت.. مرحلة عطاء.. والعطاء
يتخذ أشكالاً مختلفة.. ولكنه يظل فيها جميعاً مرهوناً بصفاء
سريرة المعطي وحسن نيته .

فمن الناس من يُعطي ليأخذ أكثر مما أعطى، ومنهم من
يعطي ليأخذ مثل ما أعطى.. ومنهم من يعطي من باب
التمهيد للانتهاز والاحتيال، ومن الناس من يعطي العطاء
الطيب لوجه الله تعالى.. وهذا هو الصنف البشري الراقى
الذي يمارس إنسانيته المطهرة من شوائب الاعتداء والحقْد
والحسد، بل هو الإنسان المثالي الواقعي!

عجباً.. كيف تجتمع المثالية والواقعية في إنسان؟!

سؤال له ما يبرره في ظل التكالب البشري على الدنيا وما
فيها.. لكنه سؤال غير منطقي في ظل الحقيقة الصافية
لفطرة الإنسان السليمة، تلك الفطرة التي كان الإسلام العظيم
الدين السماوي الخاتم الذي جاء بما يحقق صفاء فطرة
الإنسان، أو يحقق ما أسميناه «بالمثالية الواقعية» وحتى لا
تشط بنا هذه «الاستطرادة» أضرب مثلاً سريعاً..

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وهو أمير المؤمنين - يقوم بدور العسس في الليل يتفقد أحوال الناس.. إنه بذلك يقوم بعمل مثالي في عرفنا.. ولكنه في نفس الوقت عمل واقعي طبعي في عرف سلفنا الصالح، الذين أدركوا حقيقة الإسلام، والذين رأوا المثالية الواقعية تتحقق أمامهم في شخص رسول الله ﷺ.

إذن نستطيع أن نقول: إن لحظات الغفلة التي تسيطر على ذهن الإنسان وقلبه تسلبه جانبين مهمين من جوانب إنسانيته، فهي تسلبه «صفة العطاء الطيب»، وتسلبه «المثالية الواقعية» التي أشرنا إليها.

وفي ظل لحظات الغفلة الإنسانية نشأت صفات الحقد.. والحسد.. والخداع.. والاحتيال.. والظلم.. وجميع أصناف المفاسد والأخطاء.

عفواً - قارئ العزيز -..

أتدري ما الذي دفعني إلى هذه المعالجة لموضوع لحظات الغفلة.. أو «رحلة الإنسان بين الحياة والموت»؟

ليس معنى ذلك - أبداً - أنني بمنجاة منها.. ولكنني رأيت ذات يوم.. آثار الغفلة ماثلة أمامي.. وإليك البيان:

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

كنت أقف على رصيف أحد شوارع الرياض الكبرى.. وكان الوقت ليلاً والأضواء تجعل من جنبات الشارع مهرجاناً لضوء بيتدئ مع بداية الظلام.. وتركزت عيناى على الحائط المقابل، وأخذت أتأمل ما فيه من لوحات الدعاية والإعلان التجاري بأشكال فنية مختلفة، والملصقات تبهر العين بتعدد ألوانها الجميلة.. كل ما على الحائط يدل على الحياة والتجارة والحركة المادية النشطة.. إعلانات ودعايات عن أصناف الكماليات التي تزيد من راحة الإنسان، حتى حركة الشارع توحى بمدى سعي الإنسان الدائب.. السيارات تنهب الطريق، والمارة يغدون ويروحون وبأيديهم أصناف مما ابتاعوه من السوق.

لقد استغرقت حينها، في تفكير عميق.. وأنا أتأمل حياة الإنسان وسعيه وكدحه من أجل لقمة العيش.. ولا أدري كيف عادت عيناى إلى الحائط المقابل أتأمل ما عليه من ملصقات الدعاية ثم أحسست حينها برعشة تسري في جسدي وسؤال يبرز أمامي يتحدى صمتي وحيرتي..

أتدري ما وراء هذا الحائط؟

وتحوّلت كل معالم الحياة التي أراها أمامي إلى أشباح

بلادنا والتميز = عبد الرحمن بن صالح العثماوى

أو ما يشبه الأشباح، ورحت عن مكاني قليلاً لأتكئ على مقدمة سيارة فارهة كانت ورائي.. وشعرت أن تلك الرعشة قد تحولت إلى دمعة نجحت عيني في إخفائها.. ولكن تلك الدمعة تحولت إلى غصة في الحلق.. وبرز السؤال مرة أخرى..

أتدري ما وراء الحائط المقابل؟

وأحسست أنني أقول: نعم.. لأنني أعرف من قبل أن هذا الحائط يحيط بمقبرة قديمة.

مقبرة؟ نعم.. أي أنه حائط يفصل بين بشر قد سكنوا، - فهم في قبورهم هامدون - وبشر يتحركون، يغدون ويروحون.. حائط فقط يحول بين الأموات والأحياء.. من هنا حركة دائبة، وملصقات تجارية، وبيع وشراء، وصدق وكذب، وأمانة وخيانة.. إلى غير ذلك من أشكال التعامل بين البشر.

أمّا من هناك.. فالقبور بدل القصور، والأموات بدل الأحياء، والأعمال بدل الأموال.. هناك التمحيص والسؤال.. هناك مرحلة الحصاد..

ألم أقل لكم إن مرحلة الغفلة طويلة في حياتنا؟

ألم أقل لكم إننا نبذل للحياة الفانية أضعاف ما نبذله

للباقية؟

عبد الرحمن بن صالح العشاوي بلادنا والتميز

عندها أحسست إحساساً عميقاً بغفلتي.. كم من مرة
أقف فيها أمام ذلك الحائط أقرأ ما عليه من الملصقات..
وتصرفني غفلتي عن قراءة ما وراءه من العبر والعظات.

عفواً - قارئ الكريم - لست راهباً ولا متزهّداً.. ولكنني
إنسانٌ مسلمٌ شعر في تلك اللحظة بمدى انصرافه في خضم
الحياة المعاصرة. عن ذلك الصمت المطبق وراء ذلك الحائط
المملوء بالملصقات .. اللهم عونك!

من شعري:

لَقُنْتُنَا مَدَارِسَ الْعَصْرِ شَيْئاً

فَنَسِينَا بِهِ جَلَالَ الْقَدِيمِ

وَعَدُونَا مِثْلَ الْفَرَابِ ضِياعاً

وَمَشِينَا مَشْيَ الضَّعِيفِ السَّقِيمِ

رَبِّمَا يَرْتَدِي الْعَدُوَّ - نَفَاقاً

وَعَدَاعاً - ثَوْبَ الصِّدِّيقِ الْحَمِيمِ

وَيَرِينَا مِنْ ثَفَرِهِ بِسُمَمَاتِ

وَبِأَحْشَاءِهِ سُمَمَارِ جَحِيمِ

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	هذه الخواطر
٧	بلادنا والتميز
١٥	زهور بستاننا أجمل
٢٤	مركبة الثقافة إلى أين تتجه؟
٢٦	قضية تستحق النقاش
٣٤	إلى أين يا عزيزتي
٤٦	أيتها الزهرة
٤٩	رويدك يا قلبي
٥١	الموروث الشعبي «إلى أين»؟
٦٢	أطفال الحروب إلى أين؟
٧٠	وراء كل عظيم امرأة
٧٥	شهداء الأمة واستهلاك الكلمة
٧٧	في ظل اليقين تتبدد المخاوف
٨٥	هكذا يصنعون فماذا نصنع؟
٩٣	من الباحة إلى فلسطين وأفغانستان
٩٩	على خشبة المسرح

الصفحة	الموضوع
١٠٣	لوحتان في رمضان
١٠٧	العملية الإبداعية عند الشاعر
١١٢	على أبواب كابل
١١٨	جمعية البر، ومصحف لكل كفيف
١٢٥	في ذكرى فتح القسطنطينية.. بيتسم التاريخ
١٣٤	الأيدي المتوضئة تقرع أبواب كابل
١٤١	روافد الأدب الإسلامي ورابطته
١٤٨	اعتزال أصحاب الغناء ومسؤولية المجتمع
١٥٧	مهلاً.. فإن الكلمة أمانة
١٦٥	عبدالله عزام في ذمة الله
١٧٣	إنه السلوك الحضاري
١٨١	جرجي زيدان وحقائق التاريخ الإسلامي
١٨٦	لبنان المرابطين.. متى يندمل الجرح؟
١٩٣	المخدرات بداية النهاية
٢٠٠	طالت غفوتكم أيها الكتاب الأشاوس
٢٠٦	وفي أنفسكم أفلا تبصرون
٢١٥	جائزة نوبل ومؤتمر المدائح النبوية

الصفحة	الموضوع
٢٢٢	الامتحان الأكبر
٢٢٥	لكل مسافر إلى الخارج مع التحية
٢٢٣	قضية المرأة.. من جديد
٢٣٧	عندما ينعد اللسان
٢٤١	حتى لا تختلط الأوراق
٢٤٦	حتى لا ينهار الجدار
٢٥١	الثبات على المنهج وراحة النفس
٢٥٩	وقفة مع الجهاد الأفغاني
٢٦٧	الدمى تحصد الدمى
٢٧٣	عندما يغرد طائر الأمل
٢٨٠	حروف من نور
٢٨٧	بين الانطلاق والوقوف
٢٩٢	أيتها المسافرة إلى المجهول
٢٩٩	الركض في عروق القصيدة
٣٠٦	بين الحياة والموت
٣١٣	الفهرس